مخطوطات جديدة مهمة :

صلة الصلة لابن الزبير
و
الذيل والتكملة لابن عبد الملك

نشر الأستاذ ليفي بروفنسال فى عام ١٩٣٨ فى الرباط قطعةً من كتاب صلة الصلة لأبى جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير (٦٢٧ — ٧٠٨ ه)(١) أصلُها موجود فى الخزانة الكَتّانية بفاس . وهذه القطعة تبدأ بمن اسمه عبد العزيز من الغرباء ، وتنتهى بيوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن المُرينَة . والأصل الذى اعتمد عليه المستشرق الفرنسى مبتور الأول والآخر ، غير مثبت عليه عنوان الكتاب ولا اسم المؤلف . ولكن الأستاذ حقّق نسبةَ الكتاب وعنوانه معتمداً على مراجعة بعض تراجمه بما ورد فى الإحاطة للسان الدين ابن الخطيب وما ورد فى كتاب التكملة لابن الأبار(٢) . والنسخة الجديدة من صلة الصلة — وفيها العنوان واسم المؤلف — تؤيد النتيجة التى انتهى إليها الأستاذ المحقق .

---

(١) زيادة على المراجع التى ذكرها ليفى بروفنسال عن ترجمة ابن الزبير فى مقدمة نشرته لصلة الصلة نضيف :

١ — غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (م سنة ٨٣٣) نشره Bergstrasser — القاهرة سنة ١٩٣٢ . جـ ١ ص ٣٢ ترجمة رقم ١٣٢ .

٢ — شذرات الذهب لابن العماد جـ ٦ ص ١٦ (القاهرة سنة ١٣٥١ ه) . وانظر :
GAL. Suppl. I, 733, 10 a

(٢) ابن الأبار (توفى سنة ٦٥٨) سابق على ابن الزبير . وعبارة ليفى بروفنسال فى مقدمته المذكورة توهم عكس ذلك لقوله (إن بعض التراجم الكائنة فى المخطوطة [أى صلة الصلة] انتسخها باللفظ ابن الأبار فى تكملة الصلة) . وتفسير ذلك أن المطبوع من التكملة فى مدريد أدخلت فى متنها تعليقات لمتأخرين نقلوا عن ابن الزبير .

أما النسخة الجديدة فهى فى خزانة أحمد تيمور باشا من قسم التاريخ تحت رقم ٨٥٠ والخزانة التيمورية الآن جزء من دار الكتب المصرية بالقاهرة ، لم يكمل طبع فهرسها بعد(١) ، لذلك ظل الكتاب مجهولا لدى الباحثين الغربيين — فيما أعلم — ، ولم يذكره بروكلمان فى تاريخه بطبيعة الحال .

والنسخة التيمورية نسخة قيمة فى ٢٨٠ صفحة بخط مغربى جميل واضح قد ضُبطت بعضُ كلماتها ، فى الصفحة ٢٥ سطراً حجم المخطوط من قَطْع الرُّبْع (٢٧ سم فى ٤٠ سم) والمكتوب (١٨,٥ سم فى ١٤ سم) وورقها سَميك ، إلا أنّ الرُّطوبة مَسّت أجزاءً منه وعَبثت فيه العثّة مما يجعل قراءة بعض كلماتها عسيراً أو غير ممكن . ولكنْ النسخة فى مجموعها سليمة تصلح أصلا لنشر ما ورد فيها من الكتاب . وقد ورد فيها النصف الثانى من الكتاب كاملا ، يبدأ بالغرباء من المحمدين وينتهى بآخر التأليف حيث تراجم النساء ، وآخرهن عائشة بنت أبى الخَطّاب ثم تليها دِيباجةُ الختام وهى طويلة قيمة فى ٢٤ سطراً يتحدث فيها المؤلف عن منهجه فى التأليف . وسنتحدث عنها وننشر نصها بعد . والنسخة غير مؤرخة وليس بآخرها إسم الناسخ . ولكنها عتيقة نرجّح أنها نُسخت فى القرن الثامن الهجرى . ولها هامش واسع فيه بعض تعليقات قليلة بخط مغاير .

وأهمية هذه النسخة بالنسبة للنسخة الكتانية تجىء من ناحيتين ، الأولى ، أنها تزيد زيادة ضخمة ما وصل إلينا من كتاب ابن الزبير ، فهى تسد الفَجْوة الكبيرة التى تقع فى النسخة الكتانية بين حرف الغين فى التراجم وحرف الواو وقدره ٢٦ صفحة فى أصلنا المخطوط وهو ما يوازى أكثر من ٥٠ صفحة من المطبوع(٢) ، يشتمل على بقية الغين ثم الفاء ثم القاف والسين والشين كاملة ثم

---

(١) طبعت دار الكتب المصرية ثلاثة أجزاء من فهارس الخزانة التيمورية فى سنة ١٩٤٨ تشتمل على التفسير — الحديث — العقائد — والأصول .

(٢) أنظر ص ١٦٩ من المطبوع . وقد ذكر الناشر فى هامشها (هنا حذف نحو ورقة من الأصل) . وهو سهو . فالمحذوف قدر ضخم كما ذكرنا .

جزء من الواو إلى أن ينتهى خرم النسخة المطبوعة[١] . هذا بالإضافة إلى إكمال الجزء المبتور من آخر تلك النسخة وهو عندنا فى ١٢ صفحة ثم فى أولها وهو ضخم يشغل ١٢٤ صفحة حتى تعود فتلتقى مع ابتداء المطبوع . وحساب ذلك ينتهى إلى أن النسخة الفاسية تشتمل على أقل من نصف ما تشتمل عليه النسخة القاهرية .

والناحية الثانية من أهمية النسخة القاهرية هى أنها النشرة الثانية من صلة الصلة والكتانية هى النشرة الأولى . ووجود نشرتين قديمةٍ وحديثةٍ ظاهرةٌ شائعة فى كتب التراجم ، وذلك أن يُصدر المؤلف كتابه ، ثم يطول عمره ، فيوجد بين معاصريه من العلماء من تنطبق عليه الشروط التى التزمها ، أو تزداد معلوماته ويكتشف بعض أشخاص سابقين كان حقهم أن يكونوا فى كتابه ، فيلحقهم فى هامش نسخته أو فى جزازات منفصلة ثم يعود بعد ذلك ، هو أو أحد الآخذين عنه فى حياته أو بعد موته ، فيضمها ويصدر نسخة جديدة أكمل وأوفى من الأولى سواء فى عدد المترجم لهم أو فى تحقيق بعض تاريخ الوفيات[٢] . وقد حدث هذا لصلة الصلة فصدرت نشرته الأولى فى تاريخ لا نعلمه على التدقيق ولكن قبل سنة ٦٧٩ كما صرح المؤلف نفسه فى مخطوط القاهرة حيث قال فى ترجمة يوسف بن يَحْيى ابن أبى الدنْيَا .

« . . . وأخذت عنه وتكررت عليه بموضعه وتوفى بالجبل المذكور (يريد جبل الفتح) بعد تأليفى لهذا الكتاب وكان ذلك (أى وفاته) فى سنة ٦٧٩ رحمه الله[٣] » .

ولقد راجعنا الأسماء المشتركة فى المطبوع وفى مخطوط القاهرة فوجدنا هذا قد انفرد بالتراجم التى توفى أصحابها بعد هذا التاريخ أو قُبَيله . فتحت أسماء (علي) تنفرد القاهرة بذكر على بن محمد المعروف بابن الخَضّار المتوفى سنة ٦٧٦ وكذلك تحت (عيسى) انفردت بعيسى بن لُب الذى توفى سنة ٦٧٩ وكذلك تحت

---

(١) التراجم فى النسخة مرتبة حسب حروف الهجاء على الطريقة المغربية .

(٢) كتاب الإحاطة للسان الدين ابن الخطيب مثال واضح لهذه المسألة .

(٣) صفحة ٢٠٧ من المخطوط .

(عَيّاش) نجد فيها وحدها عياش بن يزيد المتوفى سنة ٧٠٢[١] وغير أولئك ممن هم فى آخر أبواب الأسماء نظراً لأن المؤلف يرتب الأسماء حسب تاريخ الوفيات كما فعل ابن الفَرَضى وابن بشكُوال . وبين هذه التراجم التى أضيفت فى النشرة الثانية سنجد ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشى صاحب الذيل والتكملة وسننقلها لأهميتها بعد الحديث عنه .

ولا تقتصر نسخة القاهرة على إضافة الذين تأخرت وفاتهم عن النشرة الأولى وإنما أضيفت فيها تراجم لِمُتَقَدِّمين مثل يحيى بن عبد الملك بن قَيْس[٢] المتوفى سنة ٤٣٦ وهو أول من افتتح به المؤلف حرف يحيى . كما زادت فى وسط هذا الباب تراجم أخرى . وقد يحدث أن تُنقل بعضُ الأسماء من أماكنها فى الأبواب ليستقيم الترتيب الزمنى .

بقى أن نقول إن النسخة الكتانية قد وجدت فيها ترجمة لمن توفى فى سنة ٧٠٣ وهى لعبد المنعم بن سالم ولكنها الترجمة الوحيدة فى المطبوع كله وقد نص الأستاذ بروفنسال على أنها منقولة من طرة الأصل[٣] ولعل أحداً ممن امتلك النسخة الكتانية كان قد اطَّلَع على النشرة الثانية فأراد أن يثبت فيها الزيادات ولكن لم يتم له ذلك . كما نذكر أيضاً أن تراجم قليلة جداً قد سقطت من نسخة القاهرة وانفردت بها الكتانية مثل الترجمة رقم ٣١٥ وهى قصيرة لا تبلغ السطرين ومثل الترجمة ٣٤٠ وهى فى ثلاثة سطور ولا ندرى هل كان ذلك من فعل المؤلف أو سهو من الناسخ .

الذيل والتكملة

أما كتاب (الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة) لأبى عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الملك المراكشى ، فالنسخة الخطية التى نتحدث عنها توجد

---

(١) هذه التراجم الثلاث نجدها فى صفحات ٢٠٧ ، ١٥١ ، ٢١٠ من المخطوط .
(٢) رسمه فى الأصل (كيس) ويحتمل (كبير) والتصحيح عن البغية للضبى ص ٤٨٩ رقم ١٤٨٣
(٣) هى الترجمة رقم ٣٠ من المطبوع . وهى فى مخطوط القاهرة ص ١٣٥

أيضاً فى دار الكتب المصرية فى مجموعة (حليم) وهى تحت رقم ٦١ من قسم التاريخ[١] .

ومعروف أن كتاب الذيل والتكملة يشتمل على تسعة أجزاء حسب تقسيم المؤلف[٢] وأن أجزاء منه مفرقة فى عدة مكتبات ، الاسكوريال[٣] والمكتبة الأهلية بباريس[٤] والمتحف البريطانى[٥] والقرويين فى فاس[٦] .

ونسخة القاهرة تتألف من مجلد واحد هو الجزء الخامس من الكتاب كما هو مثبت عليها . وهى فى ٢١٥ ورقة بخط مغربى جيد واضح . فى الصفحة ٢٥ سطراً وحجمها أيضاً من حجم الربع ، وأكثر ألفاظها مشكول وخاصة الأعلام وكثيراً ما توضع عليها كلمة (صح) تأكيداً للضبط . وللنسخة هوامش متسعة

---

(١) أنظر : فهرس دار الكتب — الجزء الثامن — الملحق الثانى لقسم التاريخ . القاهرة سنة ١٩٤٢ ص ١٤٤

(٢) أشار المؤرخ المصرى السخاوى (٨٣١ = ١٤٢٧ / ٩٠٢ = ١٤٩٧) فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ » (دمشق سنة ١٣٤٩) ص ١١٢ أنه قرأ (الخمسة الأول من تسعة من التكملة لابن عبد الملك ، إلى قوله فى السادس محمد بن أحمد بن عثمان القيسى) وقد ترجم Franz Rosenthal كتاب السخاوى إلى الانجليزية وجعل الترجمة قسماً من كتابه Leiden 1925 *A. History of Muslim Historiography.* والنص السابق فى ص 366 . وقد أخطأ المترجم فأضاف بعد لفظ التكملة أنها تكملة لتاريخ الطبرى to At-Tabarî's History.

وكذلك أشار السيوطى فى بغية الوعاة (القاهرة سنة ١٣٢٦) فى مقدمته ص ٢ إلى أن الذيل والتكملة فى (تسع مجلدات) . وانظر Dozy, *Recherches* T I, 403 n-j .

(٣) نسخة الاسكوريال (تحت رقم 1682 = الغزيرى Cas 1677) وهى تبدأ بمن اسمه (سابق بن عبد الرحمن) وتنتهى فى (عبد الله بن رشيق) . أنظر :

Lévi-Provençal, *Catalogue des Manuscrits arabes de l'Escorial*, tome troisième, Paris, 1928, p. 205

(٤) تحت رقم 2156 أنظر : Slane, Baron de, *Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1883—95

(٥) تشتمل نسخة المتحف البريطانى وهى تحت رقم (Or. 7940) على جزءين من الكتاب فى مجلد واحد أنظر : F. Krenkow, *Deux Nouveaux Manuscrits Arabes sur l'Espagne Musulmane acquis par le Musée Britanique - Hespéris*, Tome X, 1930 . Fascicule I, p. 1—4

(٦) ليس لدى معلومات عن نسخة القرويين أكثر مما ورد فى ص ١٠٢ من برنامج خزانة القرويين الذى نشره Alfred Bel تحت رقم ١٣٠٤ وليس فيه إلا (من الذيل والتكملة — مبتور الطرفين — لابن الأبار) (!)

كانت موضعاً لمراجعة عالم هو تلميذ للمؤلف فيما نعتقد لتشابه خط الهامش بخط ديباجة الختام التى يقول فيها عن الكتاب أنه « . . . من تصنيف شيخنا القاضى النبيل . . . رحمه الله . . . » ولا نعرف إسم هذا العالم ولكن تعليقاته تشتمل على فوائد جمة وتحقيقات وإضافات قيمة جداً .

وفى آخر ورقة من المخطوط نص لمحمد بن ابراهيم بن مسلمة الخزرجى يذكر أنه « أكمله (أى الكتاب) مطالعة بمدينة تونس فى عام ثمانية وستين وسبعمائة » . وهذا النص نفسه موجود فى مخطوط باريس مما يدل على أن المجلدين يؤلفان نسخة واحدة .

وتبدأ نسخة القاهرة بترجمة من اسمه (عبد الملك) وتنتهى فى المحمدين وكلهم (محمد بن احمد . . .) وجاء فى ديباجة الختام « ... يتلوه فى السادس إن شاء الله محمد بن احمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك . . . ابن أبى جمرة »

ومن مراجعة ما كتبه Krenkow عن نسخة المتحف البريطانى يتضح أن نسخة القاهرة تتفق مع النصف الأول من نسخة المتحف البريطانى . فكلاهما الخامس ، كما أن مخطوط باريس هو السادس من الكتاب وهو أيضاً يتفق مع النصف الثانى من نسخة المتحف البريطانى ، ولا عبرة باختلاف تسمية الأجزاء . إذ أن ناسخ مخطوط المتحف البريطانى سمى الخامس رابعاً والسادس خامساً . وعبارة السخاوى تؤيد القاهرة وباريس من حيث التقسيم العددى(١) .

ابن عبد الملك

كثر الخلط حول ابن عبد الملك هذا بين من تحدثوا عنه من العلماء المحدثين ولم يحقق أحد منهم تاريخ وفاته أو ميلاده ولا البيئة التى عاش فيها . أما دى سلان(٢) فيظن أن عبد الملك أطلق عليه لفظ (قاضى القضاة)

---

(١) أنظر التعليقة السابقة رقم (١٢) .

(٢) فهرس المكتبة الأهلية تحت رقم الكتاب .

لولايته قضاء قرطبة ، وليس بصحيح كما سنرى . ويقول أنه أتم كتابه قبل سنة ٦٧٥ (١٢٧٦/٧) مستنداً إلى نص فى المخطوط (ورقة ١٧٦ و) مع أن الورقة الثانية من نفس المخطوط يقول فيها المؤلف متحدثاً عن كتاب لابى عامر السالمى (وقفت عليه بخطه وصار إلى فى سفرى إلى تلمسين سنة ٦٩٩)

أما الأستاذ بونس بويجس فى كتابه عن مؤرخى الأندلس[١] فيقول أن ابن عبد الملك كان معاصراً للعبدرى فينبغى أن يكون موته حوالى سنة ٦٦٩ ﻫ (١٢٧٠ م) مستنداً فى ذلك إلى نص ورد فى المقرى (ج ١ ص ٨٧٤) .

أما بروكلمان[٢] فلا يذكر تاريخ وفاته ويتبع Pons فى الإشارة إلى أنه معاصر للعبدرى .

ولا يشير دوزى إلى شيء من حياة ابن عبد الملك فى (أبحاثه) ولا كرنكاو فى مقالته المذكورة قبل .

وفى كتاب درة الحجال لابن القاضى[٣] ما يزيل هذا اللبس إذ أنه يذكر العام الذى توفى فيه ابن عبد الملك وهو عام ٧٠٨ ﻫ ويذكر أنه تولى القضاء فى مراكش . ولكن ترجمة الدرة قصيرة لا تتجاوز سطرين .

أما الترجمة التى تزيد بها معلوماتنا عن الرجل وعن شخصيته فهى التى كتبها ابن الزبير نفسه . فان ابن الزبير ترجم فى صلة الصلة لابن عبد الملك . وهو أمر لم يكن منتظراً ، لأن الدلائل كانت تشير إلى أن ابن عبد الملك تلميذ لابن الزبير وقد نقل ابن حجر عن ابن عبد الملك ترجمة طويلة لابن

---

(١) Pons Boigues, *Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles.* Madrid, 1898, p. 414

(٢) C. Brockelmann, *GAL.* T. I, 326 (=415). Supl. I, 580

(٣) نشره I. S. Allouche فى مجلدين Rabat 1934 والترجمة فى ج ١ ص ١٦٢ رقم ٤٦٤ ولقد غفل عنها بروكلمان وإلا لاهتدى إلى وفاة ابن عبد الملك . وابن القاضى هو أحمد بن محمد بن أحمد بدأ فى تأليف كتابه سنة ٩٠٩ كما نص على ذلك فى مقدمته ص ٢

الزبير(١) . وليس من شك فى أن ابن الزبير أضاف ترجمة ابن عبد الملك فى الزيادات التى ألحقها بنشرته الثانية من صلة الصلة . وقد مات ابن عبد الملك بعد النشرة الأولى — التى اطلع عليها واستفاد منها ونقد بعض أخطائها فى كتابه الذيل — والنشرة الثانية .

ونحن ننقل هنا ترجمة ابن عبد الملك كما كتبها ابن الزبير فى نسخة القاهرة وقد وضعه تحت (الغرباء) من المحمدين ص ١٨ .

ترجمة ابن عبد الملك بقلم ابن الزبير

قال : « محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصـــارى ثم الأوسى ، من أهل مراكش ، يُكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عبد الملك . روى عن الكاتب الجليل أبى الحسن على بن محمد الرعينى(٢) ، وصحبه كثيراً ، وهو أعلى مَن عندنا راويةً(٣) ، وعن أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن هشام ، وأبى الوليد بن عُفير وغيرهم . واستجازنى قبل سنة ثمانين وبعد ذلك ، فكتبت له مراراً ، واستوفى جملة من تواليفى استنساخاً ، وتكرر على سؤالُه فيما يرجع إلى باب الرواية ، وكان رحمه الله نبيل الأغراض ، عارفاً بالتاريخ والأسانيد ، نقّاداً لها ، حسن التهدِّى ، جيد التصرف وإن قلّ سماعُه أديباً بارعاً شارعاً مجيداً . إمتدح بعض كبراء وقته . وكان مع نقده الأسنادى ذا معرفة بالعربية واللغة والعروض ومشاركة فى الفقه . وما تقدمت الإشارة إليه من معارفه أغلب عليه . وكان الكاتب أبو الحسن الرعينى يستحسن أغراضه ، ويستنبل منازعه ، وكتب له على بعض كتبه بخطه بـ « صاحبى ومحل إبنى » لفتاء سنه وفائقَى نباهة خاطره وذكاء ذهنه ، وكان يفخر بذلك .

---

(١) الدرر الكامنة جـ ١ ص ٨٤ . وقد نقلها بروفنسال فى مقدمته لصلة الصلة : المطبوعة ص (د).

(٢) ترجم له ابن الزبير (رقم ٢٨٣ من نشرة بروفنسال) ولد سنة ٥٩٢ وتوفى سنه ٦٦٦ . وقد ترجم له ابن عبد الملك أيضاً فى ذيله . والرعينى هذا هو المعروف بابن الفخار .

(٣) كذا فى الأصل . والشائع أن يقال (رواية) مكان (راوية) فى مثل هذه الجملة .

ألف كتاباً جمع فيه بين كتابى ابن القطّان وابن المَوّاق على كتاب الأحكام لعبد الحق ، مع زيادات نبيلة من قبله .

وكتابه المسمى بالذيل والتكملة لكتاب الصلة . وعلى هذا الكتاب عكف عمره ، ولم يتم له مرامه منه إلى أن لحقته وفاته ، لأنه ألزم نفسه فيه ما يعتاص الوفاء به ، من استيفاء ما لم يلتزمه ابن بشكوال ولا الحُميدى ولا ابن الفَرَضى ومن سلك مسلكهم . وقد ذكرت مقصد هؤلاء الأئمة فى ذلك فى أول كتابى هذا وفى آخره بأشفى مما ذكرت هنا . لا جرم إن ترجمة كتابه (بالذيل والتكملة) تستلزم ما عزم عليه وتطابقه ، إلا أن مقصود من قدم ذكره ليس ذلك . وهما مقصدان . ومقصده منهما واف بما قصد الآخرون وزيادة لا تعيب مقصدهم ، وفيها زيادة فائدة ، نفعه الله ونفعهم بمنه .

ولى أبو عبد الله قضاء مراكش مدة ثم أُخِّر عنها ، لعارض سببه ما كان فى خُلقه من حدّة أثمرت مناقشة موتور وجد سبيلا (١٩ و) فنال منه .

توفى — رحمه الله — بتلمسان الجديدة فى أواخر محرم سنة ثلاثة وسبعمائة . ومولده ليلة الأحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ومن شعره (بسيط)

لله مراكُش الغراءُ من بـلدٍ ... وحبَّذا أهلُها الساداتُ من سَكَنِ
إن حلّها نازحُ الأوطانِ مُغترِبٌ ... أسلَوْه بالأُنسِ عن أهل وعن وطن
عن الحديث بها أو العيان لهـا ... نشا التماسك بين العَين والأُذُنِ

مقصدان فى كتب التراجم

ذكر ابن الزبير أن مقصد ابن عبد الملك إختلف عن مقصد من تقدمه وعن مقصد ابن الزبير نفسه . والناظر فى كتاب الذيل والتكملة يراه يختلف فى أشياء عن تلك الكتب .

وأول ما يستلفت النظر أن تراجم ابن عبد الملك طويلة النفس بالقياس إلى ابن الزبير وغيره من مؤلفى التراجم السابقين عن علماء الأندلس. ونستطيع أن نجد أمثلة كثيرة لذلك. فترجمة ابن جبير الرحالة تستغرق أكثر من ١٧ صفحة فى كتاب ابن الملك[١].

والثانية أن المؤلف لا يقف عند ذكر الناحية العلمية — كما فهمها أهل عصره — من سرد أسماء الشيوخ والتلاميذ والمؤلفات، وإنما يتجاوز ذلك إلى الأدب نثراً وشعراً، فيورد القصائد الطوال والرسائل الأدبية التى يدخل فى باب (الاخوانيات) مما يجعل بعض أجزاء كتابه أشبه بكتاب الدخيرة لابن بسام منه بكتاب ابن الفرضى وابن بشكوال. فهو فى ترجمة أبى الحسن الجَيَّانى[٢] يورد للمترجَم قصائد نبوية طويلة ورسالة كتب بها إلى قبر النبى. وكثيراً ما يذكر معارضات الشعراء، وتنافس الكتاب فى أنواع من الرسائل غريبة كأن يلتزم أحدهم أن لا تخلو كل كلمة فيها من حرف العين. ويورد ابن عبد الملك رسائلهم كلها[٣]. وهذا كله يتفق مع طبعه وشغفه بالأدب كما ذكر ابن الزبير ولاستطراده هذا فائدة لمن يريدون دراسة الأدب الأندلسى فى ذلك العصر ولكنها تخرجه عن القصد، والمؤلف يتعرض أيضاً لنواحى من التاريخ السياسى لهـا خطرها.

والثالثة أن ابن عبد الملك فى كتابه حريص على الرد على أصحاب كتب التراجم فى كثير من المواضع ومنهم ابن بشكوال نفسه، ولا يقتصر المؤلف على تصحيح الانساب والأسمـاء وتواريخ الوفاة، بل يتجاوز ذلك إلى أحكام شخصية على آثار بعض هؤلاء العلماء، وقد استهدف ابن الزبير نفسه لحملات منه فى عدة مواضع، ولكن أشد حملاته نجدها فى ترجمته لمحمد بن على بن

(١) تبدأ فى ورقة ١٧٩ ظ وتنتهى فى ورقة ١٨٨ و من نسخة القاهرة.
(٢) من ورقة ٨٧ و إلى ٩١ ظ من نسخة القاهرة.
(٣) ورد ذلك فى ترجمة ابن الجنان ورقة ٩٩ وما بعدها من نسخة القاهرة.

أحلى اللورقى[١]، فقد تحدث عن رَجَز لابن الزبير فقال « وأما الرجل المشار إليه فقد تقدم التنبيه عليه فى رسم ابن الزبير ورداءة نظمه وخلوه من المعنى وأنه هزءة المستهزئين ، ولقد كان فى غنى عن التعرض لنظمه وأولى الناس بستر عاره منه ، والله يبقى علينا عقولنا ويرشدنا إلى ما يرضيه عنا بفضله وكرمه » وهو نقد قاس قرأه بغير شك ابن الزبير فى موضعه من كتاب ابن عبد الملك ويزيده قسوة أن ابن الزبير نفسه هو الذى أرسل نسخة من رجزه إلى ابن عبد الملك كما صرح هذا ، ومع ذلك فقد التزم ابن الزبير معه كثيراً من الأنصاف حين ترجم له بعد وفاته وإن كانت ترجمته لا تخلو من غمرات لا تخفى على من يعرف أساليب ابن الزبير وأمثاله .

والأمر الرابع من خصائص كتاب ابن عبد الملك أنه لم يقتصر على التذييل على كتاب واحد كما فعل ابن الأبار وابن فرتون وابن الزبير فى تكملتهم وتذييلهم ووصلهم لكتاب ابن بشكوال ، ولكنه تصدى للتذييل على ابن بشكوال والتكميل لابن الفرضى أصل ابن بشكوال فى وقت واحد وجعل ذلك فى عنوان كتابه فجعل نفسه نِدًّا لابن بشكوال . وقد أحس ابن الزبير بخطورة ذلك وثقله .

هذه هى الملاحظات العامة التى يراها من يقرأ كتاب ابن عبد الملك بشيء من الإمعان مع مقارنتها بسلسلة المؤلفات التى بدأت بابن الفرضى والحميدى وسائر أفراد المدرسة التى يعتبر ابن الزبير من أبنائها[٢] .

على أن ابن الزبير قد فصّل المسألة فى أول كتابه وفى آخره كما ذكر ، ولما كان أول الكتاب مفقوداً فليس لنا بد من عرض رأيه الذى سجّله بشيء من التفصيل فى ختامه ناقلين نصه كاملا لقيمته العظيمة إذ أنه سيلقى ضوءاً على التقاليد التى توارثها أصحاب كتب التراجم فى الأندلس وصلتها بتقاليد المشارقة ،

---

(١) فى مخطوط باريس ورقة ١٧٤ ظ .

(٢) يقول كرنكو — نفس المصدر — إن تراجم ابن عبد الملك بوجه عام قصيرة جداً *(Les biographies en général très courtes)* وهو صحيح فيما يتصل بكتب تراجم الأدباء والشعراء لا بتراجم المحدثين والفقهاء .

وستظهر بجلاء الاتجاه الجديد الذى دخل به ابن عبد الملك فى المدرسة الأندلسية أو المغربية بوجه عام .

وهذا النص لا يوجد إلا فى نسخة القاهرة لأن نسخة فاس مبتورة الآخر .

النص الختامى لكتاب ابن الزبير

قال : « هنا انتهى ما تيسر فى الإمكان ، وإن لم نبلغ الغاية فى الإحسان ، فالاجتهاد مشروع ، والكمال لعالمنا (ممنوع)(١) ، آثرت الاستيفاء فى الرجال ، على الوفاء بتعريف الأحوال . إذ لم أجد حيث اقتصرت إلا ما إليه أشرت ، وإذ الفائدة فى ذلك الاقتصار أولى من الاختصار ، إقتداء بسَلَفى فى هذا الفن وعلى ما شرعه إمام الطريقة والأستاذية أبو عبد الله محمد بن اسماعيل فى ذلك وما سن(٢) .
كقوله فى المحمدين ، محمد بن إسحاق بن زُهير المروزى سمع أبا عبيد بن الأشجعى(٣) .
محمد بن أعين أبو العلا المَرائى ، رأى ابن أبى أوفى(٤) .
محمد بن أحمد بن أبى (خلف) البغدادى أبو عبد الله(٥) سمع اسماعيل بن عمر .
ومن هذا الضرب فى كتابه كثيراً (كذا) .
وعلى ذلك جرى الإمام أبو الوليد بن الفرضى فى الأندلسيين ، ففى المحمدين من كتابه :

محمد بن فرحون بن ناصح الغافقى من أهل تطيلة ، سمع من اسماعيل إبن موصل(٦) فاقتصر — كما ترى — على طريق من الطرق الأربعة التى قدمنا أول الكتاب ، وبينا الحاصل عنها من الفائدة فى هذا الباب ، وقد نزلا عنها

---

(١) محو فى الأصل رجحنا أن يكون ما أثبتناه .
(٢) هو البخارى صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٥٦ . وهو يشير إلى كتابه (التاريخ الكبير) وقد طبع فى حيدر اباد الدكن سنة ١٣٦١
(٣) التاريخ الكبير ج ١ ص ٤١ ولا خلاف بين النصين .
(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة .
(٥) نفس المصدر ج ١ ص ٤٢ وعنه أثبتنا لفظ (خلف) المحو بأصلنا .
(٦) ابن الفرضى رقم ١٢٦٨ وفيه (فرجون) وينص ابن الفرضى على مصدره بقوله (من كتاب محمد بن أحمد) .

فى النادر بحسب ما تيسر للخاطر كقوله البخارى فى حرف القاف ، قدامة بن عبد الله بن عبيدة العامرى الذُهلى (١) وكقول ابن الفرضى فى حرف الحاء ، حمدون بن حوط من أهل (رَيّه) ذكره ابن سعدان فى (رجالها) (٢) .

. . . (٣) لى هذا القدر ، وقد تقدم فى أول الكتاب ضعف (صفحة ٢٨٠) الفائدة فى مثل هذا ، ولذلك يقل جداً فى الكتب الحديثية .

فإذا إستطلع من أحواله العلمية والدينية على ما يفى بالأُمنية ، وعرف من أعمارهم ضوابط أخبارهم فإذ ذاك يُلْمع بعيون من الأخبار بعوارف الأحبار ، وليس من شأن هذا الضرب من التاريخ إطلاق العِنان بمُحْدثات الأزمان وتقلبات الأكوان إلا . . . (٤) يحرز رضى الأحوال ومقادير الرجال ، وبالجملة فللتواريخ الحديثية منحى يخصها ، وقد وقعت الإشارة إلى ذلك فى خطبة الكتاب ، ولتكاثف أهل هذا الشأن ، فيما غبر من الزمان ، لم يغتفر من تقدم إلى الاعتذار ، مما اعتذرت منه من الاقتصار ، وقد لزمنا (التبيين (٥)) حين جُهل الغرض ، وفيما أومأنا إليه كفاية ، وربما فى . . . (٦) هذا ما نقلت تحليته ووصفه حيث يقع ذلك أثناء كلام قد أوردته بجملته عن جليل يُعتمد ، وعارف بهذا الشأن إلى مثله يركن ويستند ، ممن شاهد واختبر ، ولم يكن علمه بذلك الشخص عن خَبَر ، أو كان ممن يؤثر لجليل حاله العلمى عرفناه (٧) ، وان تأخر عن المعرَّف به زمانه ، ولعله أطنب وأسهب أو اقتصر فأَحْسَب أو عدل عن الوصف الأخص اكتفاء بما رآه وفاء ، فرأيت أن لا أعدل عما به حَلاّه ، وأن

---

(١) التاريخ الكبير ج ٤ ص ١٧٩

(٢) ابن الفرضى رقم ٣٧٧ . ومنه أثبتنا الكلمتين المحوتين فى صلة الصلة .

(٣) بياض بالأصل لعله [مقتصرين على. . .] أو ما فى معناها .

(٤) بياض . والسياق يقتضى (إلا ما به) أى إلا الضرورى لفهم الترجمة .

(٥) مكانها بياض والسياق يقتضيها أو ما فى معناها .

(٦) بياض بقدر كلمتين ولعل النص (وربما هو فى كتابى هذا . .) .

(٧) كذا فى الأصل . وأحسب أن صواب الجملة (عرفان) أو (. . الذى عرفناه) .

أوليه من ذلك ما تولاه ، وإن هذا أولى وأسلم ، وإن كان مثله لقرب الأمر فيه لا يلزم ، وما لم أورده فيه نصَّ كلام أحد اعتمدت على ما علمته وذكرت الشخص بما تحققته من حاله وفهمته .

وقد آن أن أختم بالصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، وعلى سائر أنبياء الله ورسله وكافة عباده الذين اصطفى .

ذلك هو دفاع ابن الزبير عن المسلك الذى اختاره فى كتاب (صلة الصلة) اتباعاً للبخارى ثم لابن الفرضى ، ولقد سار على هذا النمط حقاً ابن الفرضى فى كتابه عن تاريخ علماء الأندلس من إيراد التراجم قصيرة موجزة مجردة عن الأخبار والنوادر ، ولكن مقدمة ابن الفرضى لتآليفه هذا تشير إلى أن مسلكه لم يكن استجابة لمبدإ يدين به كما يصوره ابن الزبير ، وقد ذكر فيها أنه كان أكثر مَيْلا إلى المذهب الذى اختاره ابن عبد الملك فيما بعد منه إلى مذهب ابن بشكوال وابن الزبير قال : « هذا كتاب جمعناه فى فقهاء الأندلس وعلمائهم ورواتهم وأهل العناية منهم ملخَّصاً على حروف المعجم قصدنا فيه قصد الاختصار إذ كانت نيَّتُنا قديماً أن نؤلف فى ذلك كتاباً موعباً على المدن يشتمل على الأخبار والحكايات ثم عاقت عوائق عن بلوغ المراد فيه فجمعنا هذا الكتاب مختصرا »[١] .

وبعد فعلم التراجم الذى نشأ أول أمره متصلا بعلم الحديث أو علم الرواية كان هدفه الأول معرفة رجال الأسانيد وحالهم من الثقة أو عدم الثقة وما يتصل بأسنانهم وبلادهم ورحلاتهم ومن لقوه وأخذوا عنه لتُعرف من ذلك الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الزائفة التى دخل أسانيدها الخلل ، فانصبت عناية المؤرخين كالبخارى وغيره على الناحية التى تحقق هذا الغرض فكان للتعديل والتجريح مكان الصدارة ولأسماء الشيوخ المروىّ عنهم وأسماء الرواة المركزُ الممتاز فى تلك الكتب ، ولما كان أكثر هؤلاء الرواة حمَلَةَ علم لا علماء لتقدم زمانهم ولبعد أكثرهم عن مراكز العلم فى المدن الكبيرة كان من

(١) ابن الفرضى : ص ٥

الطبيعى أن يكون الإيجاز والاقتصار على المطلوب طابع تلك الكتب .

ولكن تقدم الزمن وانتشار الثقافات واتساع حركة التأليف وشيوع الكتب وكثرة النسخ قللت من خطورة الراوى وجعلته أقل مرتبة من ذى قبل فكان لابد أن يتغير طابع كتب التراجم بتغير الظروف وزوال الغرض الأول منها أو تضاؤله ، فيحل العالم مكان الراوى ويُعنى بآراء العلماء ووجهات نظرهم وما وصلوا إليه من نتائج علمية فى ميادين الثقافة المختلفة ، ولكن التطور فى هذا العلم كان ضعيفاً ، ومع ذلك فقد حدث شيء من تطور حتى بين أنصار المدرسة التى يعتبر ابن الزبير نفسه واحداً منها . فلقد رأينا مقصداً جديداً لابن الفرضى حال الزمن بينه وبين تحقيقه ، ورأينا الحميدى يورد فى كتابه جذوة المقتبس (١) كثيراً من النوادر ، ورأينا ابن الزبير نفسه ينقل فى كتابه شعراً غير قليل متساهلا فى التزام الطابع الذى سيطر على تاريخ ابن الفرضى حيث لا يكاد هذا يورد من الشعر إلا ما يعد على الأصابع ، كما أن الضبى فى البغية مال إلى كثير من التبسط وأدخل فى كتابه عدداً ممن يعدون فى الشعراء والأدباء أكثر مما يعدون فى العلماء .

ولكن هذا التطور — كما قلنا — كان محدوداً ضيق النطاق لنزعة التقليد التى غلبت على الحياة العلمية فى تلك العصور ولحرص كثير من العلماء ، تقديراً منهم للسلف ، على شكليات وظواهر فات أوانها ، فالحرص على جمع الإجازات من البلاد البعيدة بالمراسلة دون قراءة للكتب ودون لقاء للعلماء المجيزين ، بل وجمع هذه الإجازات للصبيان والأطفال يدل على أنها كانت شكليات فرضتها العادات الموروثة وحفزها الاعتقاد فى البركة والدعوة الطيبة (٢) .

---

(١) طبع جذوة المقتبس أخيراً فى القاهرة سنة ١٩٥٢ بعناية الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى .

(٢) فى الأوراق الدشت بمكتبة الاسكوريال (رقم 1877) مجموعة من الإجازات جمعها ابن رشيد فى رحلته إلى المشرق . ومن بينها نسخة إجازة كتبها عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى فى فسطاط مصر سنة ٦٨٤ إلى عدد ضخم من علماء المغرب والأندلس منهم (ولكاتب الأحرف محمد بن عمر... ابن رشيد الفهرى الأندلسى المحتد السبتى المولد ولأولاده أبى القاسم محمد وأم السعد عائشة وأم المجد أمة الله ولأخواته عائشة وولدها المسمى إبراهيم وفاطمة ورحمة) . إنها لإجازة طريفة !

ومسلك ابن عبد الملك خير مثال للتطور الذى كان مصدره شكوى الناس من جفاف كتب التراجم ، وقد شكا القاضى عياض فى مقدمة كتابه ترتيب المدارك من الايجاز الذى سلكه ابن أبى دُلَيم فى تراجمه للمالكيه لأنه « اقتصر على ذكر تطبيقهم واسمائهم دون شئ من أخبارهم وبيان أحوالهم[١] » وجاء بعد ابن عبد الملك من ينكر فائدة جانب مما تشتمل عليه تلك الكتب إنكاراً تاماً وهو جانب التجريح وإن يكن قد ألبس دعواه ثوباً دينياً والعجيب أن يكون قائل هذا أحد تلامذة ابن الزبير ، قال السخاوى فى الحديث عن المتعرضين لذم كتب التاريخ « ومنهم من نسب المتعرض منهم للتجريح فى الأزمان المتأخرة إلى إرتكاب المحرم . . . وممن صرح بهذا أبو عمرو بن المرابط وقال إن فائدته إنقطعت من رأس الأربعمائة ودندن هو وغيره ممن لم يتدبر مقاله بعيب المحدّثين بذلك[٢] » .

ومع هذا فقد فات ابن عبد الملك ما فاتهم جميعاً فى تلك الكتب من وجوب الحديث عن الآراء العلمية للمترجمين مثل فتاوى الفقهاء ووجهات المفسرين إلى غير ذلك مما يتصل بالعلوم التى يحملونها .

أترانا نكلفهم فوق ما يطيقون أو ما تطيق كتبهم ؟

عبد العزيز محمد الأهوانى

---

(١) نشر الأستاذ محمد بن شنب مقدمة ترتيب المدارك فى Centenario di Michele Amari - Palermo 1910 . ومقاله فى الجزء الأول صفحة ٢٠٢ تحت عنوان : *Additions a la «Biblioteca Arabo - Sicula»*

وللطريف أن شكوى القاضى عياض شكى منها أيضاً الأستاذ Emilio García Gómez فى مقاله عن ابن حيان وكتاباته فى مجلة الأندلس :

Emilio García Gómez, *A propósito de Ibn Hayyan. Al-Andalus*, vol. XI fasc. 2 (1946) p. 400

أما ابن أبى دليم الذى ذكره عياض فقد توفى سنة ٣٥١ (ابن الفرضى ج ١ ص ١٩٢ . رقم ٧٠٥) .

(٢) الإعلان ص ٥٠ . وأبو عمرو بن المرابط هذا غرناطى من تلامذة ابن الزبير . قدم إلى المشرق . ولد سنة ٦٨٠ وتوفى سنة ٧٥٢ (أنظر ابن حجر ، درر ج ٤ ص ٤٥ رقم ١٣٠).

مقدمة

لوصية القاضى أبى الوليد الباجى لولديه

ابتدأ الباجى فى وصيته التى نقدم لها فى هذا العدد — من مجلة المعهد المصرى بمدريد — بمقدمة قصيرة متناسبة مع حجمها الصغير . . وقد أعرب فيها عن السبب الذى دفعه إلى إنشائها وكتابتها ، كما أنه أعرب فيها بوضوح وجلاء عن المنزلة الاجتماعية والدينية التى كانت لأسلافه ، طمعاً منه فى أن يسير أولاده على نهج أسلافهم وأجدادهم من قبل .

وقد قسم المؤلف وصيته إلى قسمين : القسم الأول تناول فيه الشئون العامة للدين ، وما يتطلبه هذا الدين من واجبات أو التزامات ، وقد جعل المعرفة والعلم أساساً لتلك الواجبات والالتزامات . وقد تناول فى هذا القسم الكلام على نقط كثيرة ، سنقتصر فى هذه المقدمة على ثلاث منها فقط ، لأنها ربما تكون مفيدة لمن تعنيهم الدراسات الأندلسية ، وخصوصاً الناحية العقلية والناحية الفقهية ، والنقط الثلاث هى : (١) ظاهرة اعتناق مسلمى الأندلس للمذهب المالكى ، (٢) دراسة علوم القدامى — أعنى المنطق والفلسفة — (٣) دراسة الفلك والتنجيم .

فأما ما يتعلق بالنقطة الأولى فقد ابتدأ أولا بشرح السياسة التعليمية التى يجب على الطالب تتبعها ، بل نَوَّه بها تنويهاً كبيراً واعتبرها أفضل سياسة فى التعليم ، ويُجمل هذه السياسة فى حفظ القرآن الكريم ، وحفظ الحديث النبوى الشريف ، والتعرف على ما كان صحيحاً منه وما كان منه غير صحيح ، ودراسة علم أصول الفقه الذى هو أصل لمعرفة القرآن ومعرفة الحديث ، ويوجب على الطالب أن يتدرب تدريباً سليما على معرفة طرق النظر وتصحيح الأدلة وإقامة البرهان .

وفى الناحية الفقهية يفضل مذهب — مالك — على غيره من المذاهب الأخرى ، لأن مالكاً — فى نظره — قد اجتمعت لديه الإمامتان ، أولاهما الإمامة فى الرأى ، وثانيهما الإمامة فى الحديث ، فى حين أنه ليس لأحد ممن تقدم مالكاً أو تأخر عنه هاتان الفضيلتان ، وإنما يوجد من يشاركه فى كثرة المسائل الفقهية ، وذلك كأبى حنيفة والشافعى ، ولكن ليس لأحدهما درجة الإمامة فى الرأى ولا درجة الإمامة فى الحديث(١) . . وهذا النص المذكور فى تلك الوصية يوضح لنا بجلاء سبباً من أهم الأسباب التى حدت بمسلمى الأندلس إلى الاحتفاظ بدراسة مذهب إمام المدينة والعكوف على قراءته وشرحه(٢).

وهذا النص له وجاهته إذا أدخلنا فى حسابنا أن الباجى كان يعيش فى وسط البيئة الأندلسية ، بل كان أندلسياً ، وعضواً بارزاً من أعضاء مشيخة الفقه المالكى فى الأندلس ، فالنص من هذه الناحية له قوته إذ أن صاحبه لم يكن خارجاً عن هذا القطر ، تصل إليه الأخبار عن طريق السماع أو عن طريق الرواية والنقل ، كما هو الحال فى الأخبار الواردة مثلا عن المقدسى وهو بصدد الكلام عن هذا الموضوع . ويزيد من قيمة هذا النص أن الباجى كانت له رحلة طويلة فى المشرق بلغت حوالى الثلاثة عشر عاماً ، قضاها فى الرحلة إلى العواصم الكبرى التى كانت مهداً لتلك الثقافة الاسلامية ، وذلك كالمدينة وبغداد والموصل وفلسطين والقاهرة ، وقد درس فى رحلته هذه على أساتذة منتمين إلى المذهب المالكى ، كما درس على آخرين منتمين إلى المذهبين السائدين فى ذلك الوقت ، ذلك المذهبان هما مذهبا أبى حنيفة والشافعى . . . . على أنه يجب علينا أن نتحوط للأمر ، فلا نحب أن يصل هذا الرأى على علاته دون أن يخضع لقانون المناقشة والجدل ، لأنه قد صدر من هذا العالم فى عصر ملوك الطوائف ،

---

(١) راجع فقرة رقم ١٢ ، ١٣

(٢) هناك نصوص كثيرة متفرقة فى حواشى الكتب عن سبب انتشار مذهب مالك بالأندلس ، ويمكن الرجوع إليها مثلا فى المقدسى والمقرى — نفح الطيب ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٨ ، ط محيي الدين عبد الحميد .

بيد أن مذهب مالك قد دخل الأندلس فى عصر عبد الرحمن الداخل ، وذلك حينما أدخل الغازى بن قيس موطأ إمام المدينة إلى الأندلس .

وأما بالنسبة للدراسات الفلسفية فهو يبدو فيها حذراً ، لا يبيح قراءتها ومطالعتها إلا على سبيل التحقق من بطلانها وعدم صلاحيتها لأن تكون دستوراً أو قانوناً صالحاً ، حتى ولو كان ذلك قائماً على أساس خدمة الدين ، لأن القرآن فيه شفاء للناس ، وفيه غناء كبير عن مثل تلك الدراسات ، وهذه الفكرة تقريباً ، هى الفكرة السُّنِّيَّة التى كانت تسود روح العصور الوسطى ، التى لم يكن يسمح فيها بمثل هذه الدراسات إلا لمن نضج عقله وتهذبت فكرته ، وأصبح قادراً على صيانة نفسه ودينه من ضلالات الفلاسفة والمنطقيين ، يقول الباجى مخاطباً أولاده :

« وأحذركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويان به على فهم فساده وضعف شبهه ، وقلة تحقيقه ، مخافة أن يسبق إلى قلب أحدكما مالا يكون عنده من العلم ما يقوى به على رده ، ولذلك أنكر جماعة العلماء المتقدمين والمتأخرين قراءة كلامهم لمن لم يكن من أهل المنزلة والمعرفة خوفاً عليهم مما خوفتكما منه . . » ويستمر فى استهجان دراسة هذين العلمين إلى أن يقول : « وقد رأيت بغداد وغيرها من يدعى هذا الشأن مستحقراً مستهجناً مستضعفاً ، لا يناظره إلا المبتدئ ، وكفاك بعلم صاحبه فى الدنيا مرموق مهجور ، وفى الآخرة مدحور مبثور ، وأما مَنْ يتعاطى ذلك من أهل بلدنا (الأندلس) فليس عنده منه إلا إسمه ولا وصل إليه إلا ذكره »(١) .

ولكن مع هذا يمكن أن يقال : هل الدراسة الفلسفية والمنطقية كانت منعدمة أو شبه منعدمة فى اسبانيا الاسلامية خضوعاً لرغبة رجال الدين الذين كانوا يتمتعون بسلطة كبيرة فى ذلك الوقت ؟

---

(١) راجع فقرة رقم ١٤

الجواب عن ذلك أن الفلسفة قد وجدت تربة خصبة فأثمرت ثمراً محموداً ، إذ بالرغم من وجود أمثال تلك النصوص نجد نصوصاً أخرى تدل على براعة الأندلسيين وإجادتهم لمثل تلك الدراسات . . . فمثلا يقول أبو محمد على بن حزم الظاهرى فى رسالة له رداً على رسالة أبى على الحسن بن محمد بن أحمد ابن الربيب التميمى القَيْرَوَانى : « وأما الفلسفة فإنى رأيت فيها رسائل مجموعة وعيوناً مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار دالة عَلَى تمكنه من هذه الصناعة ، وأما رسائل أستاذنا أبى عبد الله محمد بن الحسن المذحجىّ فى ذلك فمشهورة متداولة ، وتامة الحُسْن ، فائقة الجودة ، عظيمة المنفعة » .

وورد فى تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم السابقة ما نصه : « وأما كتب الفلسفة فإمامها فى عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبى ، وله فيها تصانيف جحدها لمّا رأى انحراف منصور بنى عبد المؤمن عن هذا العلم ، وسجنه بسببها ، وكذلك ابن حبيب الذى قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم بإشبيلية »[1] . . . وبجانب النصين السابقين الواردين عن ابن حزم وابن سعيد نجد صاعداً الطليطلى يذكر لنا أيضاً من اشتغل بهذا العلم من مدينة طليطلة وجهاتها فيقول : « ومنهم أبو الحسن على بن خلف بن أحمد ، وأبو اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال ، وأبو مروان عبدان بن خلف الاستيجى ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن غالب التهلاكى ، وعيسى بن أحمد ابن العالم ، وابراهيم بن سعيد السهلى الاسطرلابى ، وأعلمهم بحركات النجوم وهيئة الأفلاك أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال ، فإنه أمهر أهل زماننا بأرصاد الكواكب ، وهيئة الأفلاك ، وحساب حركاتها ، وأعلمهم بعلم الأزياج ، واستنباط الآلات النجومية »[2] .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج ٤ ص ١٧٦

(٢) شكيب أرسلان ، ج ٢ ص ٣٩

ويذكر المقرى نقلا عن ابن حيان من كتاب « المقتبس » فى ترجمة يحيى ابن الحكم الشاعر الأندلسى الملقب بالغزال ، والمتوفى فى حدود سنة (٢٥٠ هـ)، أنه كان حكيم الأندلس وشاعرها وعرافها[١] . . ومن رسالة الشَّقُنْدِى فى فضل أهل الأندلس ما نصه : « وهل لكم فى النجوم والهندسة والفلسفة مَلِكٌ كالمنتدر ابن هود صاحب سرقسطة ؟ . . فإنه كان آية فى ذلك »[٢] .

وبجانب هؤلاء جميعاً نستطيع أن نقول إنه نبتت شخصيات أخرى — فى بيئات إسلامية وغير إسلامية — كان لها أثر محمود فى هذا الميدان وذلك كابن جيبرول المتوفى سنة (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) وابن باجة المتوفى سنة (١١٣٨ م)، وابن طفيل المتوفى سنة (١١٨٥ م) ، وابن ميمون المتوفى سنة (١٢٠٤ م) .

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول إنه بالرغم من فرض هذا الحصار الشديد الذى عانت الفلسفة بسببه الكثير من المحن ، قد ظهرت أحياناً فى ثوبها الجميل ، وأخذت حصتها من الظهور والازدهار ، وذلك حينما كان يقدر لها التأييد من ملك أو أمير ، وأحياناً أخرى تنكمش بعيدة عن قصور الخلفاء و بيوت الوزراء ، ولن نذهب بعيداً إذا قلنا أن ظهورها دائماً كان مشوباً بالقلق ، وممزوجاً بالخوف ، إذ أن الفقهاء والعامة من خلفهم كانوا شديدى الحرص على مقاومتها ، والوقوف فى سبيلها ، ولقد حدثت مأساة احراق الكتب الفلسفية والمنطقية أكثر من مرة . فقد ورد مثلا فى نفح الطيب أن المنصور أحرق مكتبة الحكم ابن هشام . وورد عن النباهى فى كتاب « تاريخ قضاة الأندلس » أن القاضى محمد ابن يَبْقَى بن زَرْب اعتنى بأصحاب ابن مسرة والكشف عنهم ، وأظهر للناس كتاباً حسناً ، وضعه فى الرَّدِّ على أصحابه ، ثم يقول : وفى سنة (٣٥٠ هـ)

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ص ٢١ ، ط. محي الدين عبد الحميد .
(٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ص ١٨٢ ، ط. محي الدين عبد الحميد .

جئ إليه بأصحاب ابن مسرة ، وجلس أمام باب المسجد ، وأحرق بين يديه جملة كبيرة من كتبهم وهم ينظرون (١) ...

هذا بالنسبة للنقطتين السابقتين ، أما فيما يتعلق بالنسبة للنقطة الأخــــيرة — فقد أشرت إليها فيما سبق من اهتمام بعض العلماء بدراستها — فيعتبر الباجي فى وصيته أن مَنْ يعتقد أن هناك تأثيراً للنجوم والأفلاك مِنْ أحداث فى الكون مخالفاً للشريعة الإسلامية ، ويعدُّ مَنْ يتصدى لدراسة هذا العلم من جملة المارقين من الدين ، لأن الاسلام باعتباره ديناً سماوياً يرد جميع الاعتبارات من خلق وإماتة إلى الله وحده لا شريك له . ولكنه مع ذلك يستثنى ما إذا كان نوع تلك الدراسات الفلكية المتعلقة بتعديل الكواكب ، ومعرفة بروجها ومنازلها ، ومعرفة نزول الشمس والقمر ، وطريقة سيرهما ودورانهما ، مردود إلى علم الحساب ، الذى لا حرج فى تعلمه . بل هو مِنْ قسم المباحات المستحسنة ، وشاهده من القرآن الكريم قول الله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصلُ الآيات لقوم يؤمنون » (٢) .

وهذا الاستثناء الذى رأيناه للقاضى أبى الوليد الباجي السُّنِّيّ المالكى نرى مثله لفقيه آخر كان معاصراً له ، ذلك الفقيه هو أبو محمد على بن حزم الذى كان من عشاق مدرسة داود بن على الظاهرى ، والذى صار فيما بعد أستــاذاً للمدرسة الظاهرية فى المغرب الاسلامى ، إذ كان يعتقد أن دراسة هذا العلم — أعنى علم الفلك — من حيث معرفة مطالع الكواكب وارتفاعها واختلاف مراكز أفلاكها هى دراسة صحيحة ومستحسنة ، لأن فى دراستها ما يساعد على معرفة الخالق وحسن

---

(١) النباهى : المرقبة العليا ص ٧٨

(٢) راجع فقرة رقم ١٧

تدبيره وإتقان صنعته ، وتعين الناظر فيها إلى معرفة القبلة وأوقات الصلاة ومعرفة الأهلة لفرض الصوم والفطر . . الخ[١] .

أما القسم الثانى من أقسام الوصية فيشتمل على وصايا ومواعظ خلقية كريمة رسم فيهـا الخطوط الرئيسية للعلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبينه وبين إخوانه وعشيرته وجيرانه ، بل بينه وبين الدولة والسلطان ، مِنْ أجل هذا كان لتلك الوصية أثر كبير فى الوسط العلمى الذى كان يعيش فيه المؤلف ، فلم تكن — فيما يبدو — مقصورة على ولديه الذين أنشئت من أجلهما تلك الوصية ، بل أخذت سبيلهـا إلى قلوب تلاميذه الذين احتلوا مكان الأستاذ ، تقرأ فى حلقات الدروس ، ويحاضر بها فى المجالس العلمية ، ومن الأدلة على ذلك ما يرويه لنا ابن الأبار أن أبا اسحاق بن جمعة القاضى كان يحدث بوصية الباجى لابنيه عنه[٢] ، ويحدثنا أيضاً أن ابراهيم بن أحمد بن خلف بن جماعة بن مهدى قاضى دانية ثم قاضى شاطبة قد كانت له رواية عن أبى على الصدفى (تلميذ الباجى) وناوله أبو على المذكور وصية أبى الوليد الباجى[٣] .

ونحن من جانبنا نرى أن هذا التـأثير لم يكن مقصوراً على أولاده أو على تلاميذه فحسب ، بل تعدى ذلك بصورة واضحة إلى عصور متأخرة عن العصر الذى كان يعيش فيه الباجى ، من ذلك مثلا ما نشاهده فى وصية الوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى (سنة ٧٧٦ هـ) لأولاده من مشابهة كبيرة واتحاد تام ، فابن الخطيب قد ابتدأ وصيته بما ابتدأ الباجى به وصيته ، وختمها بما ختم به الباجى وصيته ، واستعمل الوزير — تقريباً — نفس الآيات ونفس الأحاديث التى استعملها الفقيه ، وطرق نفس الموضوعات التى طرقها ، ووضع قدمه حيث وضعها ، وكل ما هنالك من فروق — إذا كانت هناك فروق تذكر — أن

---

(١) ابن حزم : الفصل جـ ٥ ص ٣٧
(٢) ابن الأبار : المعجم ، ص ٩١
(٣) ابن الأبار : المعجم ، ص ٦٢ ، ٦٣

أسلوب الفقيه مرسل غير مسجوع ، بينما جرى الوزير على عاداته تقريباً على السجع المتكلف ، ولو شئنا أن ننحى سجعاته جانباً ما أخالنا قد ظفرنا بشئ جديد فى وصية هذا الوزير ، وما علينا إلا نضرب الأمثلة شاهدة على ذلك ليتبين للقارئ صحة ما ذهبنا إليه بوضع فقرات من كلتا الوصيتين ، وسنشير بالحرف (ب) للباجى ، وبالحرف (ل) للسان الدين ، وفيما يلى بعض تلك الفقرات :

ب — فلا يستزلكما عنه شئ من أمور الدنيا (أى الدين) وابذلا دونه أرواحكما ، فكيف بدنياكما ، فإنه لا ينفع خير بعده الخلود فى النار ، ولا يضر ضر بعده الخلود فى الجنة « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »(١).

ل — « ومَنْ يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وقد علت شرائعه (يعنى الدين) وراع الشكوك رائعه ، فلا يستزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلا دونه النفوس فِعْلَ المهتدين ، فلن ينفع متاع بَعْدَ الخلود فى النار أبد الآبدين ، ولا يضر مفقودٌ مع الفوز بالسعادة ، والله أصدق الواعدين(٢).

ب — ثم الحج إلى بيت الله الحرام مَن استطاع إليه سبيلا ، فهو فرض واجب ، وقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « الحج المبرور ليس له جزاء عند الله إلا الجنة » ، ثم الجهاد فى سبيل الله إن كانت بكما قوة عليه ، أو عون مَن يستطيع إن ضعفتما عنه ، فهذه فرائض الإسلام ، وإن كان الايمان حافظاً عليها وسابقاً إليها(٣).

ل — والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قدره فيما فرض عن

(١) راجع فقرة رقم ٣
(٢) المقرى : نفح الطيب ج ١٠ ص ٢٥١
(٣) راجع الفقرات رقم ٩ ، ١٠

ربه وسَنَّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى إن كانت بكما قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا مَنْ يستطيعه ، هذه عُمُدُ فرائض الاسلام وفروضه ونقوده ومهوره[١] .. الخ

ب — واعلما أنكما إنما تصلان إلى آداء هذه الفرائض ، والإتيان بما يلزمكما منها ، مع توفيق الله لكما بالعلم الذى هو أصل الخير ، وبه يتوصل إلى البِر..... ويستطرد فى سرد الآيات الدالة على الحث على طلب العلم إلى أن يقول : والعلم سبيل لا يفضى بصاحبه إلا إلى السعادة ، ولا يقصر به عن درجة الرفعة والكرامة ، قليله ينفع ، وكثيره يُعْلى ويرفع كنز يزكو على كل حال ، ويكثر مع الانفاق ولا يغصبه غاصب ، ولا يخاف عليه سارق ولا محارب ، فاجتهدا فى طلبه ، واستعذبا التعب فى حفظه ، والسهر فى درسه ... إلى أن يقول : والعلم ولاية لا يعزل عنها صاحبها ، ولا يعرى من جمالها لابسها ، وكل ذى ولاية وإن جَلَّت ، وحرمة وإن عظمت ، إذ خرج عن ولايته ، أو زال عن بلدته ، أصبح مِنْ جاهه عارياً ، وَمِنْ حاله عاطلا غير صاحب العلم[٢] .. الخ

ل — واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب .. ثم يستطرد هذا أيضاً فى ذكر محاسن العلم والاستدلال بالآيات إلى أن يقول : (والعلم) هو السبيل فى الآخرة إلى السعادة ، وفى الدنيا إلى المنحلة عادة ، والذخر الذى قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، مَنْ لم ينله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جَمَّ مَالُه ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فلتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ما

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١٠ ص ٢٥٤

(٢) راجع الفقرة رقم ١١

خرج مِنْ أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثرى لغرسه ، واستسهلوا ما ينالهم مِنْ تَعَب من جَرَّاه ، وسهر يهجر الجفن له كراه ، تعقدوا لهم وِلاَيَة عِزّ لا تعزل ، وتحلوهم مثابة رفعة لا يحط فارعها ولا يستنزل (١) .

ب — وأفضل العلوم علم الشريعة ، وأفضل ذلك لمن وفق أن يجود قراءة القرآن ، ويحفظ حديث النبي — صلى الله عليه وسلم — ويعرف صحيحه من سقيمه ، ثم يقرأ أصول الفقه ، فيتفقه فى الكتاب والسنة ، ثم يقرأ كلام الفقهاء ، وما نُقِل من المسائل عن العلماء ، ويدرب فى طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج ، فهذه الغاية القصوى ، والدرجة العليا ، ومَنْ قصر عن ذلك فليقرأ بعد تحفظ القرآن ورواية الحديث على مذهب مالك — رحمه الله — فهى إذا انفردت أنفع من سائر ما يقرأ فى باب التفقه (٢) .

ل — وخير العلوم علم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المريعة ، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها ، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هى آلات لغير . وأسباب إلى خير منها وخير فمن كان قابلا للازدياد ، وألفى فهمه ذا انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ثم حفظ الحديث ، ومعرفة صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع فى أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة ، المهدى إلى كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة ، والتدرب فى طرق النظر وتصحيح الأدلة ، وهذه هى الغاية القصوى فى الملة ، ومَنْ قصر إدراكه عن هذا المرمى ، وتقاعد عن التى هى أسمى ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه (٣) .

ب — وعليكما بالأمر بالمعروف وكونا من أهله ، وانهيا عن المنكر واجتنبا فعله ، وأطيعا مَنْ وَلاه الله أمركما ما لم تدعيا إلى معصية فيجب أن تمتنعا منها ،

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج ١٠ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

(٢) راجع فقرة رقم ١٢

(٣) المقرى : نفح الطيب ، ج ١٠ ص ٢٥٥

وتبذلا الطاعة فيما سواها ، وعليكما بالصدق فإنه زين ، وإياكما والكذب فإنه شين ، ومن شهر بالصدق فهو ناطق محمود ، ومن عرف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم ، وأقل عقوبات الكذاب ألا يقبل صدقه ، ولا يتحقق حقه(١) . . الخ

ل — وأطيعوا أمْرَ من ولاه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة جمرا ، ولا تداخلو فى الخلاف زيداً ولا عمراً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومَن أكثر مِن شيءٍ عُرِفَ به .

وإياكم والكذب ، فهو العورة التى لا توارى ، والسوأة التى لا يرتاب فى عارها ولا يتمارى ، وأقل عقوبات الكذاب بين يدى ما أعد الله له من العذاب أن لا يقبل صدقه إذ صدق ، ولا يُعوَّل عليه إن كان بالحق نطق(٢) .

ب — وإياكما والعون على سفك دم بكلمة ، أو المشاركة فيه بلفظة ، فلا يزال الإنسان فى فسحة من دينه ما لم يغمس يده أو لسانه فى دم إمرىء مسلم . قال الله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » (٣) . . الخ

ل — والله الله أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان فى فسحة ممتدة ، وسبل الله تعالى غير منسدة ، ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه ، ويمس الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سنناً قويماً ، وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيما « ومن يقتل مؤمناً متعمداً(٤) . . الخ »

وبعد . . فإنى أعتقد بعد كل ما تقدم أن البرهان واضح تمام الوضوح فى تأثر لسان الدين بالباجى تأثراً كبيراً ، رغم أن الباجى توفى سنة (٤٧٤ هـ) وولد

---

(١) فقرة رقم ١٥
(٢) المقرى : جـ ١٠ ص ٢٥٦
(٣) فقرة رقم ١٥
(٤) المقرى : جـ ١٠ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

لسان الدين سنة (٧١٣ هـ) وهو فرق فى الزمان ليس بالقليل . . ولو شئنا أن نتتبع الوصيتين فقرة فقرة ، لما ظفرنا — كما قلنا من قبل — بشئ جديد فى الأغراض والأهداف ، اللهم إلا إذا كان ذلك بتقديم جملة على جملة ، أو صناعة لفظية كما هو صنيع ابن الخطيب ، وآثرت ألا أطيل الأمثلة على القارئ ، وكلتا الوصيتين تحت يده فليرجع إليهما إن أحب .

وما دمنا قد وصلنا إلى ابن الخطيب وتأثره بالباجى ، فهناك ملحظ جميل يجدر بنا أن نذكره فى هذا المكان ، لأنه — فيما أظن — مرتبط أيضاً بموضوعنا أوثق ارتباط . ذلك أن صديقى وزميلى الدكتور مختار العبادى فى بحث له حول (مادية ابن الخطيب)[1] إنتهى فيه إلى بعد غور الوزير وسداد نظره فى سياسته المالية التى جرى عليها ، لأن نظرته إلى هذا الوطن (غرناطة) كانت مشوبة بالقلق والارتياب والشكوك ، فتطلع إلى مكان آخر يصلح لأن يكون موضعاً لاستثمار الأموال ، وقد إعتمد الدكتور مختار فى بحثه على بعض الوثائق التي تؤيد ما ذهب إليه ، كما استند أيضاً إلى عبارة وردت فى وصيته لأولاده ، والعبارة نصها كما يلى : « ومَن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ، الذى لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع فى العقار » . . وأحب أن أضيف إلى رأى زميلى رأياً آخر ، هو أن تلك السياسة المادية لم تكن لابن الخطيب فحسب ، أو بعبارة أدق لم تكن سياسة جديدة أبدعها هنا الوزير ، لأن نص العبارة موجود تقريباً فى وصية الباجى ، والعبارة هى : « ومن رزق منكما مالا فلا يجعل فى الأصول إلا أقله » وما أظن كلمة الأصول عند الباجى وكلمة العقار عند ابن الخطيب أنهما يقعان إلا على معنى واحد ، وما أظن أيضاً إلا أن الظرف السياسى الذى كانا يعيشان فيه — رغم بعدهما فى الزمن — هو

---

(١) راجع مقال الدكتور العبادى فى مجلة « لسان الدين » تحت عنوان « لسان الدين بن الخطيب ونزعاته الاقتصادية » — العددان التاسع والعاشر سبتمبر اكتوبر ١٩٥٤

الذى أملى عليها وعلى أضرابها تلك السياسة المالية التى لاحظها زميلى فى بحثه .

أما بالنسبة للشكل الظاهرى لوصية الباجى فهى مخطوطة محفوظة بمكتبة الأسكوريال تحمل رقم ٧٣٢ ، وهى ضمن مجلد يحتوى على عدة رسائل ، وهى الرسالة الرابعة من هذا المجموع ، وهذه المخطوطة تقع فى اثنا عشرة ورقة من الحجم المتوسط وقد كتبت بخط مغربى وبمداد أسود ، سهل القراءة ، وقد كتبت هذه الرسالة بعد وفاة الباجى بـ ٢٧٥ سنة فقد ختمها الناسخ بقوله :

كمل المجموع بحمد الله تعالى وحسن عونه
وذلك فى ثانى شهر حجة مختتم عام
تسعة وأربعين وسبعمائه

وكتب على الصحيفة التى تحمل عنوان الوصية البيتين الآتيين :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ثم انتهى عما أتاه واقترف
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وصية الشيخ الفقيه الامام الحافظ أبي الوليد الباجي نفعنا الله به ورحمه ، لولديه رحمهم الله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبو الوليد الباجي رضى الله عنه ورحمه .

(١) يابَنِيَّ هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما ، وتفضل عليكما بخير الدنيا والآخرة ، ووقاكما محذورهما برحمته ، انكما لما بلغتما الحَدَّ الذى قَرُبَ فيه تَعيّنُ الفروض عليكما ، وتوجه التكليف إليكما ، وتحققت أنكما قد بلغتما حَدَّ مَن يفهم الوعظ ويتبين الرشدَ ويصلح للتعليم والعلم ، لزمَنى أن أقدم إليكما وصيتى ، وأظهر إليكما نصيحتى ، مخافةَ أن تخترمنى منيةٌ ولم أَبلغ مباشرة تعليمكما وتدريبكما وإرشادكما وتفهيمكما . فإن أنسأ الله تعالى فى الأجل ، فسيتكرر النصح والتعليم، والإرشاد والتفهيم . « وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ(١) » بيده قلوبكما ونواصيكما ، وإن حال بينى وبين ذلك ما أتوقعه وأظنه من اقتراب الأجل وانقطاع الأمل ، ففيما أرسمه من وصيتى ، وأبينه من نصيحتى ، ما إن عملتما به ثَبَتُّما على منهاج السلف الصالح ، وفزتما بالمتجر الرابح ، ونلتما خير الدنيا والآخرة ، وأستودعُ الله دينكما ودنياكما ، وأستحفظه معاشكما ومعادكما ، وأفوض إليه جميع أحوالكما ، وهو (١٧٤) حسبى فيكما ونعم الوكيل . واعلما أنه لا أحَدَ أنصحَ منى لكما ، وأشفق منى عليكما ، وأنه ليس فى الأرض من تطيب نفسى أن يفضل عَلَيّ غيركما ، ولا أرفع حالا فى أمر الدين والدنيا سواكما . وأقل ما يوجب ذلك عليكما أن تصيخا إلى قولى ، وتتعظا بوعظى ، وتتفها إرشادى ونصحى ، وتتيقنا أنى لم أنهكما عن خير ، ولا أمرتكما بشر ، وتسلكا السبيل التى نهجتها ، وتمتثلا الحال التى مَثّلْتُها .

---

(١) سورة يوسف (١٢) آية رقم ٦٧

(*) قام الدكتوران جمال محرز ومحمود مكى بمراجعة ما أعده السيد الدكتور جودة هلال للنشر على الأصل ، واستدركا ما كان قد فاته ، وصححا بعض القراءات .

(٢) واعلما أننا أهل بيت لم نخل بفضل الله ما انتهى إلينا منه من صلاح وتدين ، وعفاف وتصاون ، فكان بنو أيوب بن وارث عفا الله عنا وعنهم أجمعين ، جدنا سعد ، ثم كان بنو سعد سليمان وخلف وعبد الرحمن واحمد ، وكان أوفر الصلاح والتدين والتبرع والتعبد في جـــدكم خلف ، كان مع جاهه وحاله واتساع دنياه منقبضاً عنها ، متقللا منها ، ثم أقبل على العبادة والاعتكاف إلى أن توفى — رحمه الله — ثم كان بنو خلف ، عمّاكما عليٌّ وعمر وأبوكما سليمان وعماكما محمد وابراهيم ، فلم يكن في أعمامكما إلا مشهور بالحج والجهاد ، والصلاح والعفاف حتى توفى منهم على ذلك عفا الله عنا وعنهم ، وكأنني لاحق بهم ، ووارد عليهم ، ويصير ركامى إليكما ، فلا تأخذا غير سبيلهم ، ولا ترضيا غير أحوالهم ، فإن استطعتما الزيادة فلأنفسكما تمهدان ، ولها تبنيان ، وإلا فلا تقصرا عن حالهم .

(٣) وأول ما أوصيكما (٧٤ ب) به ما أوصى به ابراهيم بنيه ويعقوب «يا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ»(١) وأنهاكما عما نهى عنه لقمان لإبنه وهو يعظه «يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئاً إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»(٢) .. وأؤكد عليكما في ذلك وصيتى وأكررها حرصاً على تعلقكما وتمسككما بهذا الدين الذى تفضل الله تعالى علينا به ، فلا يستزلكما عنه شئ من أمور الدنيا ، وابذلا دونه أرواحكما ، فكيف بدنياكما ، فإنه لا ينفع خير بعده الخلود في النار ، ولا يضر ضُرٌّ بعده الخلود في الجنة «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٣)» فإن متما على هذا الدين الذى أصطفاه الله واختاره وحرم ما سواه ، فأرجو أن نلتقى حيث لا نخاف فرقة ، ولا نتوقع إزاله ، ويعلم الله تعالى شوقى إلى ذلك وحرصى عليه ، كما يعلم إشفاقى من أن تزل بأحدكما قدم أو تعدل به فتنة ، فيحل عليه من سخط الله تعالى ما يحله دار البوار ،

(١) سورة البقرة (٢) آية رقم ١٣٢
(٢) سورة لقمان (٣١) آية رقم ١٣
(٣) سورة آل عمران (٣) آية رقم ٨٥

ويوجب له الخلود فى النار ، فلا يلتقى مع المؤمنين من سلفه ، ولا ينفعه الصالحون من آبائه « يَوْمَ لاَ يُغْنِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُور »(١).

(٤) وتنقسم وصيتى لكما قسمين : فقسم فيما يلزم من أمر الشريعة أبين لكما منه ما يجب معرفته ويكون فيه تنبيه على ما بعده . وقسم فيما يجب أن تكونا عليه فى أمر دنيا كما (١٧٥) وتجريان عليه بينكما .

(٥) فأما القسم الأول : فالإيمان بالله عز وجل ، وملائكته وكتبه ورسله ، والتصديق بشرائعه ، فإنه لا ينفع مع الإخلال بشئ من ذلك عمل ، والتمسك بكتاب الله تعالى جَدُّه ، والمثابرة على تحفظه وتلاوته ، والمواظبة على التفكر فى معانيه وآياته ، والامتثال لأوامره ، والانتهاء عن نواهيه وزواجره ، روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله تعالى وسنتى عضواً عليها بالنواجذ . . . وقد نصح لنا — صلى الله عليه وسلم — وكان بالمؤمنين رحيما ، وعليهم مشفقاً ، ولهم ناصحاً ، فاعملا بوصيته ، وأقبلا من نصحه ، وأثبتا فى أنفسكما المحبة له ، والرضى بما جاء به ، والاقتداء بسنته والانقياد له والطاعة لحكمه والحرص على معرفة سنته وسلوك سبيله ، فإن محبته تقود إلى الخير ، وتنجى من الهلكة والشر ، وأشربا قلوبكما محبة أصحابه أجمعين ، وتفضيل الأئمة منهم الطاهرين ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ونفعنا بمحبتهم . والزما أنفسكما حُسْن التأويل لما شجر بينهم ، واعتقاد الجميل فيما نُقِل عنهم . فقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه . فمن لا يبلغ نصيف مُدِّهِ مثل أُحُدٍ ذهباً فكيف يُوَازَنُ فضله أو يُدْرَكُ شأوه ؟ وليس (٧٥ ب) منهم — رضى الله

(١) سورة آل عمران (٣) آية رقم ٨٥

عنهم — إلا من أنفق الكثير . ثم تفضيل التابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء — رحمهم الله — والتعظيم لحقهم ، والاقتداء بهم والأخذ بهديهم ، والاقتفاء لآثارهم ، والتحفظ لأقوالهم ، واعتقاد إصابتهم .

(٦) وإقام الصلاة فإنها عمود الدين ، وعماد الشريعة ، وآكد فرائض الملة ، فى مراعاة طهارتها ، ومراقبة أوقاتها ، وإتمام قراءتها ، وإكمال ركوعها وسجودها ، واستدامة الخشوع فيها ، والإقبال عليها ، وغير ذلك من أحكامها ، وآدابها فى الجماعات والمساجد فإن ذلك شعار المؤمنين ، وسنن الصالحين ، وسبيل المتقين .

(٧) ثم أداء زكاة المال ، لا تؤخر عن وقتها ، ولا يبخلُ بكثيرها ، ولا يغفل عن يسيرها — ولتخرج من أطيب جنس وبأوفى وزن ، فإنّ الله تعالى أكرم الكرماء ، وأحق من اختير له ، ولتعط بطيب نفس ، وتيقن أنها بركة فى المال وتطهيرٌ له ، وتدفع إلى مستحقها دون محاباة ولا متابعة هوى ولا هوادة .

(٨) ثم صيامُ رمضان فإنه عبادة السر وطاعة الرَّب ، ويجب أن يزاد فيه من حفظ اللسان ، والاجتهاد فى صالح العمل ، والتحفظ من الخطأ والزلل ، ويراعى فى ذلك لياليه وأيامه ، ويتبع صيامه قيامه وقد سُنَّ فيه الاعتكاف .

(٩) ثم الحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا ، فهو فرض واجب ، وقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : الحج المبرور ليس له جزاء عند الله (٧٦ ا) إلا الجنة .

(١٠) ثم الجهاد فى سبيل الله إن كانت بكما قوة عليه ، أو عون من يستطيع إن ضعفتما عنه ، فهذه عُمُدُ فرائض الإسلام وإن كان الإيمان حافظاً عليها ، وسائقاً إليها ، تحوزا الخير العظيم ، وتفوزا[1] بالأجر الجسيم ، ولا تضيعا حقوق الله فيها وأوامره بها ، فتهلكا مع الخاسرين ، وتندما مع المفرطين .

---

(١) وردت فى الأصل تحوز وتفوز بغير ألف .

(١١) واعلما أنكما إنما تصلان إلى اداء هذه الفرائض ، والإتيان بما يلزمكما منها ، مع توفيق الله لكما بالعلم الذى هو أصل الخير ، وبه يتوصل إلى الْبِرّ ، فعليكما بطلبه ، فإنه غنى لطالبه ، وَعِزٌّ لحامله ، وهو مع هـذا السبب الأعظم إلى الآخرة ، به تُجْتَنَبُ الشبهات وتصح القربات ، فكم من عامل يبعده عمله من ربه ، ويكتب ما يتقرب به من أكبر ذنبه . قال الله تعالى : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً »(١) . وقال تعالى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ »(٢) . وقال تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ »(٣). وقال تعالى : « يَرْفَعُ [اللهُ] الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »(٤) .. والعلم سبيل لا يفضى بصاحبه إلا إلى السعادة ، ولا يقصر به عن درجة الرفعة والكرامة ، قليله ينفع ، وكثيره يعلى ويرفع ، كنز يزكو على كل حال ، ويكثر مع الانفاق ، ولا يغصبه غاصب ، ولا يُخَاف عليه سارق ولا محارب ، فاجتهدا فى طلبه ، واستعذبا التعب (٧٦ ب) فى حفظه ، والسَّهَرَ فى درسه ، والنَّصَبَ الطويل فى جمعه ، وواظبا على تقييده وروايته ، ثم انتقلا إلى فهمه ودرايته ، وانظرا أى حالة من أحوال طبقات الناس تختاران ، ومنزلة أى صنف منهم تؤثران(٥) ، هل تريان أحداً أرفع حالا من العلماء ، وأفضل منزلة من الفقهاء ؟ .. يحتاج إليهم الرئيس والمرءوس ، ويقتدى بهم الوضيع والنفيس — يرجع إلى أقوالهم فى أمور الدنيا وأحكامها وصحة عقودها وبياعاتها ، وغير ذلك من تصرفاتها ، وإليهم يلجأ

(١) سورة الكهف (١٨) آية رقم ١٠٣
(٢) سورة الزمر (٣٩) آية رقم ٩
(٣) سورة فاطر (٣٥) آية رقم ٢٩
(٤) سورة المجادلة (٥٨) آية رقم ١١ ، سقط لفظ [الله] من الأصل . (التحرير)
(٥) وردت فى الأصل يؤثران .

فى أمور الدين ، وما يلزم من صلاة وزكاة وصيام وحلال وحرام ، ثم مع ذلك السلامة من التبعات ، والحظوة عند جميع الطبقات — والعلم ولاية لا يعزل عنها صاحبها ، ولا يعرى من جمالها لابسها . وكل ذى ولاية وإن جلت ، وحرمة وإن عظمت ، إذا خرج عن ولايته أو زال عن بلدته أصبح من جاهه عارياً ، ومن حاله عاطلا غير صاحب العلم ، فإن جاهه يصحبه حيث سار ، ويتقدمه إلى جميع الآفاق والأقطار ، ويبقى بعده فى سائر الأعصار .

(١٢) وأفضل العلوم علم الشريعة ، وأفضل ذلك لمن وفّق أن يجوّد قراءة القرآن ، ويحفظ حديث النبى — صلى الله عليه وسلم — ويعرف صحيحه من سقيمه ، ثم يقرأ أصول الفقه ، فيتفقه فى الكتاب والسنة ، ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل عن العلماء ، ويدرب فى طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج ، فهذه الغاية القصوى (٧٧ ا) والدرجة العليا .

(١٣) ومن قصّر عن ذلك فليقرأ بعد تحفظ القرآن ورواية الحديث المسائل على مذهب مالك — رحمه الله — فهى إذا انفردت أنفع من سائر ما يقرأ مفردا فى باب التفقه ، وإنما خصصنا مذهب مالك — رحمه الله — لأنه إمام فى الحديث وإمام فى الرأى وليس لأحد من العلماء ممن انبسط مذهبه ، وكثرت فى المسائل أجوبته ، درجة الإمامة فى المعنيين ، وإنما يشاركه فى كثرة المسائل وفروعها ، والكلام على معانيها وأصولها أبو حنيفة والشافعى ، وليس لأحدهما إمامة فى الحديث ولا درجة متوسطة .

(١٤) وإياكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة فإن ذلك مبنى على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة . وأحذركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويان به على فهم فساده وضعف شبهه وقلة تحقيقه ، مخافة أن يسبق إلى قلب أحدكما ما لا يكون عنده من العلم ما يقوى به على رده ، ولذلك أنكر جماعة العلماء المتقدمين والمتأخرين قراءة كلامهم لمن لم يكن من أهل المنزلة والمعرفة به خوفاً عليهم مما خوفتكما منه ، ولو كنت أعلم أنكما تبلغان

منزلة المَيِّز والمعرفة والقوة على النظر والمقدرة ، لحضتكما على قراءته ، وأمرتكما بمطالعته ، لتحققا ضعفه وضعف المعتقد له ، وركاكة المغتر به ، وأنه من أقبح (٧٧ ب) المخاريق والتمويهات ، ووجوه الحيل والخزعبلات التى يغتر بها من لا يعرفها ، ويستعظمها من لا يميزها ، ولذلك إذا حقق من يعلم عند أحد منهم وجده عارياً من العلم بعيداً عنه ، يدعى أنه يكتم علمه وإنما يكتم جهله ، وهو قيم عليه ، ويروم أن يستعين به وهو يعين عليه . وقد رأيت ببغداذ وغيرها منْ يدَّعى منهم هذا الشأن مستحقراً مستهجناً مستضعفاً لا يناظره إلا المبتدئ . وكفاك بعلمٍ صاحبه فى الدنيا مرموق مهجور ، وفى الآخرة مدحور مبثور . وأما من يتعاطى ذلك من أهل بلدنا فليس عنده منه إلا اسمه ، ولا وصل إليه إلا ذكره .

(١٥) وعليكما بالأمر بالمعروف وكونا من أهله ، وانهيا عن المنكر واجتنبا فعله ، وأطيعا من ولاه الله أمركما ما لم تدعيا إلى معصية فيجب أن تمتنعا منها وتبذلا الطاعة فيما سواها . وعليكما بالصدق فإنه زين ، وإياكما والكذب فإنه شين ، ومن شُهِرَ بالصدق فهو ناطق محمود ، ومن عُرِف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم ، وأقل عقوبات الكذاب ألا يقبل صدقه ولا يتحقق حقه ، وما وصف الله تعالى أحداً بالكذب إلا ذامّاً له ، ولا وصف الله تعالى أحداً بالصدق إلا مادحاً له ومرفعاً به . وعليكما بأداء الأمانة ، وإياكما والإلمام بالخيانة ، أديا الأمانة إلى من ائتمنكما ، ولا تخونا من خانكما . «وأوفيا بالعهد (١٧٨) إنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلاً»(١) . . أوفيا الكيل والوزن ، فإن النقص فيه مقت ، لا ينقص المال ، بل ينقص الدين والحال . . وإياكما والعونَ على سفك دَمٍ بكلمة ، أو المشاركة فيه بلفظة ، فلا يزال الإنسان فى فسحة من دينه ما لم يغمس يده

(١) سورة الإسراء (١٧) آية رقم ٣٤

أو لسانه في دم امرئ مسلم ، قال الله تعالى : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً »(١) .. واجتناب الزنا من أخلاق الفضلاء ، ومواقعته عار في الدنيا وعذاب في الأخرى ، قال الله تعالى : « وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً »(٢) .. وإياكما وشرب الخمر فإنها أُمّ الكبائر والمجرية على المآثم ، وقد حرمها الله تعالى في كتابه العزيز فقال عزّ من قائل : « إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُم الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ »(٣) .. وحسبكما بشيء يذهب العقل ويفسد اللب ، وقد تركها قوم في الجاهلية تكرّماً ، فإياكما ومقاربتها والتدنس برجسها ، وقد وصفها الله تعالى بذلك وقرنها بالأنصاب والأزلام ، فقال عز مِنْ قائل : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »(٤). فبين تعالى أنها من عمل الشيطان ووصفها بالرجس ، وقرن الفلاح باجتنابها ، فهل يستجيز عاقل بصدق الباري في خبره — تبارك اسمه — ويعلم أنه (٧٨ ب) أراد الخير لنا فيما حذرنا عنه منها أن يقربها [ ](٥) حين نهاه ، وإياكما والربا ، فإن الله تعالى قد نهى عنه ، وتوعد بمحاربة من لم يتب منه ، قال عز من قائل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ »(٦) وقال تعالى : « يَمْحَقُ اللهُ

---

(١) سورة الإسراء (١٧) آية رقم ٣٢
(٢) سورة الإسراء (١٧) آية رقم ٣٠
(٣) سورة المائدة (٥) آية رقم ١٩
(٤) سورة المائدة (٥) آية رقم ١٠
(٥) توجد عنها كلمة غير مقروءة لتلف في الصحيفة .
(٦) سورة البقرة (٢) آية رقم ٢٧٨

الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَات » (١) . . ولا تأكلا مال أحد بغير حق ، وإياكما ومال اليتيم ، فقد قال عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً » (٢) . . وعليكما بطلب الحلال واجتناب الحرام فإن عدمتما الحلال فالجآ إلى المتشابه . وإياكما والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، والظالم مذموم الخلايق مبغض إلى الخلائق . وإياكما والنميمة ، فإن أول من يمقت عليهـا مَن تُنقل إليه ، وقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : لا يدخل الجنة قَتَّاتٌ (٣) . وإياكما والحسد ، فإنه داء يهلك صاحبه ، ويعطب تابعه . وإياكما والفواحش ، فإن الله تعالى حرم ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق . وإياكما والغيبة فإنها تحبط الحسنات ، وتكثر السيئات ، وتبعد من الخالق ، وتبغض إلى المخلوق . وإياكما والكبر فإن صاحبه فى مقت الله متقلب ، وإلى سخطه منقلب ، وإياكما والبخل ، فإنه لا داء أدوأ منه ، لا تسلم عليه ديانـة ، ولا تتم معه سيادة . وإياكما ومواقف الخزى وكل ما كرهتما أن يظهر عليكما فاجتنباه ، وما علمتما أن الناس يعيبونه فى الملأ فلا تأتياه فى الخلاء .

(١٦) فإن بلغ أحدكما أن يسترعيه الله أمةً بحكم أو فتوى فليمتثل العدل جَهده ، ويجتنب الجور وغدره ، فإن الجائر مضاد لله فى حكمه ، كاذب عليه فى خبره مغير بشريعته ، مخالف له فى خليقته ، قال الله تعالى : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (٤) . وقد روى أن الخلق كلهم عيال الله وان أحب الخلق إلى الله أحوطهم لعياله ، وروى ما امرؤ استرعى رعية فلم

---

(١) سورة البقرة (٢) آية رقم ٢٧٦
(٢) سورة النساء (٤) آية رقم ١٠
(٣) قتات = نمام للحديث وناقل له .
(٤) سورة المائدة (٥) آية رقم ٤٧

يحطها بنصيحة إلا حرم الله تعالى عليه الجنة . وإياكما وشهادة الزور فإنها تقطع ظهر صاحبها ، وتفسد دين متقلدها ، وتخلد قبيح ذكره — وأول من يمقته وينم عليه المشهود له ، وإياكما والرشوة فإنها تعمى عين البصيرة ، وتحط قدر الرفيع . وإياكما والأغانى فإن الغناء ينبت الفتنة فى القلب ويولد خواطر السوء فى النفس . وإياكما والشطرنج والنرد فإنه شغل البطالين ، ومحاولة المترفين ، يفسد العمر ويشغل عن الفرض ، ويجب أن يكون عمركما أعز عليكما وأفضل عندكما من أن تقطعاه بمثل هذه السخافات التى لا تجدى ، وتفسداه بهذه الحماقات التى تَضُرُّ وتردى . وإياكما والقضاء بالنجوم والتكهن فإن ذلك (٧٩ ب) لمن صدقه مخرج عن الدين ومدخل له فى جملة المارقين .

(١٧) وأما تعديل الكواكب وتبيين أشخاصها ومعرفة أوقات طلوعها وغروبها وتعيين منازلها وبروجها ، وأوقات نزول الشمس والقمر بها ، وترتيب درجاتها للاهتداء به ، وتعرف الساعات وأوقات الصلوات بالظلال وبها ، فإنه حسن مدرك ذلك كله بعلم الحساب مفهوم ، قال الله تعالى : « وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ »(١) . وقال عز من قائل : « هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِيْنَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعلمونَ »(٢) .

(١٨) وأما القسم الثانى مما يجب أن تكونا عليه وتتمسكا به ، فأن يلتزم كل واحد منكما لأخيه الإخلاص والإكرام ، والمراعاة فى السر والعلانية ، والمراقبة فى المغيب والمشاهدة ، وليلزم أكبركما لأخيه الإشفاق عليه ، والمسارعة إلى كل ما يحبه ، والمعاضدة فيما يؤثره ، والمسامحة لكل ما يرغبه ، ويلتزم

---

(١) سورة الأنعام (٦) آية رقم ١٧

(٢) سورة يونس (١٠) آية رقم ٥

أصغركما لأخيه تقديمه عليه ، وتعظيمه فى كل أمر بالرجوع إلى مذهبه ، والاتباع له فى سره وجهره ، وتصويب قوله وفعله ، وإن أنكر منه فى الملأ أمراً يريده ، أو ظهر إليه خطأ فيما يقصده ، فلا يظهر إنكاره عليه ، ولا يجهر فى الملأ بتخطئته ، وليبين له ذلك على انفراد منهما ، ورفق من قولهما ، فإن رجع إلى الحق وإلا فليتبعه على (٨٠ ا) رأيه فإن الذى يدخل عليكما من الفساد باختلافكما أعظم مما يحذر من الخطأ مع اتفاقكما ما لم يكن الخطأ فى أمر الدين — فإن كان فى أمر الدين فليتبع الحق حيث كان ، وليثابر على نصح أخيه وتسديده ما استطاع ولا يخل يده عن تعظيمه وتوقيره ، ولا يؤثر أحدكما على أخيه شيئاً من عرض الدنيا ، فيخل بأخيه من أجله ، ويعرض عنه بسببه ، أو ينافسه فيه ، ومن وُسع عليه منكما فى دنياه فليشارك بها أخاه ، ولا ينفرد بها دونه ، وليحرص على تثمير مال أخيه كما يحرص على تثمير ماله . وأظهرا التعاضد والتواصل والتعاطف والتناصر حتى تعرفا به ، فإن ذلك مما ترضيان به ربكما وتغيظان به عدوكما ، وإياكما والتنافس والتقاطع والتدابر والتحاسد وطاعة النساء فى ذلك فإنه مما يفسد دينكما ودنياكما ، ويضع من قدركما ، ويحط من مكانكما ، ويحقر أمركما عند عدوكما ، ويصغر شأنكما عند صديقكما . ومن أسدى منكما إلى أخيه معروفاً أو مكارمة أو مواصلة فلا ينتظر مقارضة عليها ، ولا يذكر ما أتى منها ، فإن ذلك مما يوجب الضغائن ويسبب التباغض ، ويُقَبِّحُ المعروف ، ويحقر الكبير ، ويدل على المقت والفساد ودناءة الهمة .

(١٩) وإن أحدكما زل وترك الأخذ بوصيتى فى بِرِّ أخيه ومراعاته فليتلافى الآخر ذلك بتمسكه بوصيتى ، والصبر لأخيه ، والرفق به ، وترك المقارضة له على جفوته ، والمتابعة له على سوء معاملته (٨٠ ب) فإنه يحمد عاقبة صبره ، ويفوز بالفضل فى أمره ويكون لما يأتيه أخوه كبير تأثير فى حاله .

(٢٠) واعلما أنى قد رأيت جماعة لم تكن لهم أحوال ولا أقدار ، أقام أحوالهم ، ورفع أقدارهم اتفاقهم وتعاضدهم ، وقد رأيت جماعة كانت أقدارهم سامية ، وأحوالهم نامية ، مَحَقَ أحوالهم ، ووضع أقدارهم اختلافهم ، فاحذرا أن تكونا منهم . ثم عليكما بمواصلة بنى أعمامكما وأهل بيتكما والإكرام لهم ، والمواصلة لكبيرهم وصغيرهم ، والمشاركة لهم بالمال والحال ، والمثابرة على مهاداتهم ، والمتابعة لزيارتهم ، والتعاهد لأمورهم ، والبر لكبيرهم ، والإشفاق على صغيرهم ، والحرص على نماء مال غنيهم ، والحفظ لعيبهم ، والقيام بحوائجهم دون اقتضاء لمجازاة ، ولا انتظار مقارضة ، فإن ذلك مما تسودان به فى عشيرتكما ، وتعظمان به عند أهل بيتكما . وصلا رحمكما وإن ضَعُفَ سببها ، وقَرِّبا ما بعد منها ، واجتهدا فى القيام بحقها ، وإياكما والتضييع لها ، فقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : مَنْ أَحَبَّ النَسَأَ فى الأجل وَالسَّعَةَ فى الرزق فليصل رحمه . وهذا مما يشرف به ملتزمه ، ويعظم عند الناس معظمه ، وما علمت أهل بيت تقاطعوا وتدابروا إلا هلكوا وانقرضوا . ولا علمت أهل بيت تواصلوا وتعاطفوا إلا نموا وكثروا وبُورك لهم فيما حاولوا .

ثم الجار عليكما بحفظه (١٨١) والكف عن أذاه ، والستر لعورته ، والإهداء إليه ، والصبر على ما كان منه ، فقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : لا يُؤْمِنُ مَن لا يَأْمَنْ جَارُه بوائقَه . وروى عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . واعلما أن الجوار قرابة ونسب ، فتحببا إلى جيرانكما كما تتحببا إلى أقاربكما — ارعيا حقوقهم فى مشهدهم ومغيبهم ، وأحسنا إلى فقيرهم ، وبالغا فى حفظ غيبهم ، وَعَلِّمَا جاهلهم . ثم مَن علمتما مِنْ إخوانى وأهل مودتى فإنه يتعين عليكما مراعاتهم وتعيظمهم ، وبرهم وإكرامهم ومواصلتهم ، فقد روى عن عبد الله ابن عمر أنه حدَّث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : إنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ

أن يصل الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه . ثم إخوانكما عاملاهم بالإخلاص والإكرام وقضاء الحقوق ، والتجافى عن الذنوب ، والكتمان للأسرار . وإياكما أن تحدثا أنفسكما أن تنتظرا مقارضة ممن أحسنتما إليه وأنعمتما عليه ، فإن انتظار المقارضة تمسح الصنيعة ، وتعيد الأفعال الرفيعة وضيعة ، وتقلب الشكر ذماً ، والحمد مقتاً ، ولا يجب أن تعتقدا معاداة أحد ، واعتمدا التحرز من كل أحد ، فمن قصدكما بمطالبة أو تكرر عليكما بأذية فلا تقارضاه جهدكما ، والتزما الصبر له ما استطعتما ، فما التزم أحد الصبر والحلم إلا عز ونصر ، ومن بغى عليه (٨١ ب) لينصرنه الله ، وقد استعملت هذا — بفضل الله — مراراً فحمدت العاقبة ، واغتبطت بالكف عن المقارضة ، ولا تستعظما من حوادث الأيام شيئاً ، فكل أمر ينقرض حقير ، وكل كبير لا يدوم صغير ، وكل أمر ينقضى قصير . وانتظرا الفرج ، فإن انتظار الفرج عبادة ، وعلّقا رجاءكما بربكما وتوكلا عليه ، فإن التوكل عليه سعادة ، واستعينا بالدعاء والجئا إليه فى البأساء والضراء ، فإن الدعاء سفينة لا تعطب ، وحزب لا يغلب وجند لا يهرب .

(٢٢) وإياكما أن تستحيلا عن هذا المذهب ، أو تعتقدا غيره ، أو تتعلقا بسواه ، فتهلكا وتخسرا الدين والدنيا ، وربما دعوتما فى شئ فنالكما مع الدعاء معرة ، ووصلت إليكما مضرة ، فازدادا حرصاً على الدعاء ، ورغبة فى الاخلاص والتضرع والبكاء ، فإن[1] نالكما من المضرة بما سلف من ذنوبكما ، واكتسبتماه من سيئ أعمالكما ، ومع ذلك فالذى ألهمكما إلى الدعاء ووفقكما لابد أن يحسن العاقبة لكما ، وقد نجاكما بدعائكما عن الكثير ، وصرف به عنكما من البلاء الكبير .

(٢٣) وإذا أنعم عليكما ربكما بنعمة فتلقياها بالإكرام لها ، والشكر عليها ، والمساهمة فيها ، واجعلاها عوناً على طاعته ، وسبباً إلى عبادته ، والحذر الحذر

---

(١) ربما تكون كلمة (ما) ساقطة من الناسخ لأن السياق يقتضيها .

من أن تهينا نعمة ربكما فتترككما مذمومين ، وتزول عنكما ممقوتين ، روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ياعائشة أحسنى جوارَ نِعَمِ الله تعالى فإنها قل (١٨٢) ما زالت من قوم فعادت إليهم . وإياكما أن تطغيكما النعمة فتقصرا عن شكرها أو تنسيا حقها ، أو تظنا أنكما نلتماها بسعيكما ، أو وصلتما إليها باجتهادكما ، فتعود نقمة مؤذية ، وبلية عظيمة .

(٢٤) وعليكما بطاعة من ولاه الله أمركما فيما لا معصية فيه لله تعالى فإن طاعته من أفضل ما تتمسكان به وتعتصمان به ممن عاداكما ، وإياكما والتعريض للخلاف لهم ، والقيام عليهم ، فإن هذا فيه العطب العاجل ، والخزى الآجل ، ولو ظفرتما فى خلافكما ، ونفذتما فيما حاولتما لكان ذلك سبب هلاككما لما تكتسبانه من المأثم ، وتحدثان على الناس من الحوادث والعظائم ، ثم من سعيتما له ووثقتما به لا يقدم شيئاً على إهلاككما ، والراحة منكما ، فإنه لا يأمن أن تحدثا عليه ما أحدثتما له ، وتنهضان بغيره كما نهضتما به — فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة ، فإن السلطان الجائر الظالم أرفق بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدى والألسنة . فإن رابكما أمر ممن ولى عليكما ، أو وصلت منه أذية إليكما فاصبرا وانقبضا ، وتحيلا لصرف ذلك عنكما بالاستنزال والاحتمال والإجمال والا فاخرجا عن بلده إلى أن تصلح لكما جهته ، وتعود إلى الإحسان إليكما نيته .

(٢٥) وإياكما وكثرة التظلم منه والتعرض لذكره بقبيح يؤثر عنه فإن ذلك (٨٢ ب) لا يزيده إلا حنقاً وبغضة فيكما ، ورضى بأضراره بكما ، وابدئا بعد سد هذه الأبواب عنكما بترك منافسة من نافسكما ، ومطالبة من طالبكما ، فإنه قد يبدأ بهذه المعانى من يعتقد أنه لا يتوصل منها إلى محظور ، ولا يتشبث منها بمكروه ، ثم يفضى الأمر إلى ما لا يريده ولا يعتمده من مخالفة الرئيس الذى يقهر من ناوأه ويغلب من غالبه وعاداه ، وإن رأيتما أحداً قد خالف من ولى عليه ، أو قام على من أسند أمره إليه فلا ترضيا فعله ، وانقبضا عنه ،

وأغلقا على أنفسكما الأبواب ، واقطعا بينكما وبينه الأسباب حتى تنجلى الفتنة وتنقضى المحنة .

(٢٦) وإياكما والاستكثار من الدنيا وحطامها ، وعليكما بالتوسط فيها ، والكفاف الصالح الوافر منها ، فإن الجمع لها ، والاستكثار منها مع ما فيه من الشغل بها ، والشغب بالنظر فيها ، يصرف وجوه الحسد إلى صاحبها ، والطمع إلى جامعها ، والحنق على المنفرد بها ، فالسلطان يتمنى أن يزل زلة يتسبب بها إلى أخد ما عظم فى نفسه من ماله ، والفاسق مرصد لخيانته واغتياله ، والصالح ذام له على استكثاره منه واحتفاله ، يخاف عليه صديقه وحميمه ، ويبغضه من أجله أخوه شقيقه ، إن منعه لم يعدم لائماً ، وإن بذله لم يجد راضياً ، ومن رزق منكما مالا فلا يجعل فى الأصول إلا أقله ، فإن شغبها طويل ، وصاحبها (١٨٣) ذليل ، وليست بمال على الحقيقة إن تغلب على الجهة عدو وحال بينه وبينها ، وإن احتاج إلى الانتقال عنها تركها أو ترك أكثرها .

(٢٧) ومن احتاج منكما فليجمل فى الطلب فإنه لا يفوته ما قدر له ، ولا يدرك ما لم يقدر له ، وقد ذكر الله — تعالى — ما وعظ به العبد الصالح ابنه فى مثل هذا فقال : « يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ »(١) واجتنبا صحبة السلطان ما استطعتما ، وتحريا البعد منه ما أمكنكما ، فإن البعد عنه أفضل من العز بالقرب منه ، فإن صاحب السلطان خائف لا يأمن ، وخائن لا يؤمن ، ومسئ إن أحسن ، يُخاف منه ويخاف بسببه ، ويتهمه الناس من أجله ، إن قرب فتن ، وإن أبعد أحزن ، يحسدك الصديق على رضاه إذا رضى ، ويتبرأ منك ولدك ووالدك إذا سخط ، ويكثر لائموك إذا منع ، ويقل

(١) سورة لقمان (٣١) آية رقم ١٦

شاكروك[١] إذا شبع — فهذه حال السلامة معه ، ولا سبيل إلى السلامة ممن يأتى بعده ، فإن امتحن أحدكما بصحبته ، أو دعته إلى ذلك ضرورة فليتقلل من المال والحال ، ولا يغتب عنده أحداً ، ولا يطالب عنده بشرا ، ولا يعص له فى المعروف أمراً ، ولا يستنزله إلى معصية الله تعالى ، فإنه يطلبه بمثلها ، ويصير عنده من أهلها ، وإن حظى عنده بمثلها فى الظاهر (٨٣ ب) فإن نفسه تمقته فى الباطن .

(٢٨) ولا يرغب أحدكما فى أن يكون أرفع الناس درجة ، وأتمهم جاهاً ، وأعلاهم منزلة ، فإن تلك حال لا يسلم صاحبها ، ودرجة لا يثبت من احتلها . وأسلم الطبقات الطبقة المتوسطة ، لا تهتضم مِنْ دعة ، ولا ترمق من رفعة ، ومن عيب الدرجة العليا ان صاحبها لا يرجو المزيد ولاكنه يخاف النقص ، والدرجة الوسطى يرجو الازدياد ، وبينها وبين المخاوف حجاب ، فاجعلا بين أيديكما درجة يشتغل بها الحسود عنكما ، ويرجوها الصديق لكما .

(٢٩) ولا يطلب أحدكما ولاية فإن طلبها شين ، وتركها لمن دعى إليها زين ، فمن امتُحن بها منكما فلتكن حاله فى نفسه أرفع من أن تحدث فيه بأوا ، أو يبدى بها زهواً ، وليعلم أن الولاية لا تزيده رفعة ، ولاكنها فتنة ومحنة ، وأنه معرض لأحد أمرين : إما أن يعزل فيعود إلى حالته ، أو يسئ استدامة ولايته فيقبح ذكره ، ويثقل وزره ، وإن استوت عنده ولايته وعزله كان جديراً أن يستديم العمل فيبلغ الأمل ، أو يعزل لاحسانه فلا يحط ذلك من مكانه ، وأقلا ممازحة الإخوان وملابستهم ، والمتابعة فى الاسترسال معهم ، فإن الأعداء أكثر ممن هذه صفته ، وقل من يعاديك ممن لا يعرفك ولا تعرفه ،

---

(١) وردت فى المخطوط هكذا — يحسدك الصديق على رضاه إذا رضى ، ويتبرأ منك ولدك ووالدك إذا سخط ويكثر لاعوك إذا منع ، ويقل شاكروك إذا شبع — بكاف المخاطب ، وأعتقد أن الصواب أن تكون بهاء الغائب حتى يكون الكلام على وتيرة واحدة .

فهذا الذى يجب أن تمتثلاه وتلتزماه ولا تتركاه لعرض ولا لوجه طمع ، فربما (١٨٤) عرض وجه أمر يروق فيستزل عن الحقائق بغير تحقيق ، وآخره يظهر من سوء العاقبة ما يوجب الندم حيث لا ينفع ، ويتمنى له التلافى فلا يمكن فإن فقدتما وصيتى هذه ونسيتما معناها فعليكما بما ذكر الله تعالى فى وصية لقمان لابنه فان فيها جماع الخير . وهى : « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ[1] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ »[2]. وإنى لأوصيكما وأعلم أنى لن أغنى عنكما من الله شيئاً . « إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ »[3]. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كملت الوصية المباركة والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله
الطيبين وصحابته المنتخبين وسلم تسليما كثيراً إلى يوم [الدين] ، وذلك
فى يوم الخميس السابع لشهر ذى حجة مختتم عام تسعة وأربعين وسبعمائة

جودة عبد الرحمن هلال

---

(١) وردت فى الأصل تصاعر . (التحرير)
(٢) سورة لقمان (٣١) آية رقم ١٧
(٣) سورة يوسف (١٢) آية رقم ٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

كتاب العمل بالاسطرلاب وذكر آلاته وأجزائه لابن الصفار

أول ذلك الحلقة وتسمى العِلاقة وهى التى يُعلق الأسطرلاب بهـــا لأخذ الارتفاع ثم العروة وهى المتصلة بها ثم الكرسى ثم الأم وهى الصفيحة الكبرى الجامعة للصفائح وفيها الطوق تسمى (١) الحجرة وهى مقسومة بثلاث مائة وستين درجة دور الفلك ثم الصفائح داخلها وفى كل صفيحة منها ثلاث دوائر على مَرْكز الصفيحة فالصغرى منها مدار رأس السرطان والوسطى مدار رأس الحمل والميزان والكبرى مدار رأس الجدى ثم المقَنْطَرات وهى الدوائر المخطوطة فى النصْف الأعلى الظاهر إلينا وأولها الأفق وهو فرق ما بين ما يُرى و بين ما لا يرى والنقطة التى فى وسط هذه المقنطرات سمت الرؤوس ثم السموت وهى قطع دوائر مقـاطعة المقنطرات ثم الساعات وهى المخطوطة فى القطعة السُّفلى الخفية عنـا وفيما بين الساعات ثلاثة خطوط للظهر والعصر وآخر العصر وخطان لطلوع الفجر ومغيب

---

(١) تسما El ms. dice .

لاحظنا عند مراجعة المخطوط أن الكاتب لم يجر على قاعدة واحدة فى رسم بعض الكلمات فجاءت بذلك مخالفة للمعروف فمثلا كتب مرة الاسطرلاب بالصاد بدلا من السين (الاصطرلاب ورقة ١٠ ب) وأضاف فى مرات أخرى واواً بعد الطاء (الاسطورلاب ورقة ٤ ا — ٤ ب — ١٥ — ١٦ ا) وذلك علاوة على كتابتها على النحو المنشور الآن . وكذلك أسقط لاماً من أول لفظ الليل فجاءت هكذا اليل (ورقة ٨ب — ١٠ ب — ١١ ا — ١٢ ب — ١٦ ا) . وسيلاحظ القارئ اضطراباً فى بعض العبارات ، ولقد فضلنا تركها على النحو الذى وردت عليه فى هذا المخطوط إذ لا توجد تحت أيدينا الآن نسخ أخرى مخطوطة من هذا الكتاب نعتمد عليها فى المقارنة لاجراء التصويبات اللازمة . واكتفينا بإثبات وجهة نظرنا فى الهامش (التحرير) .

الشفق ثم خط وسط السماء وهو الخط الآخذ من موضع العلاقة ماراً على مركز الدائرة وتقسم الصفيحة بنصفين فما كان منه فوق الأفق فهو خط وسط السماء ويسمى[(١)] خط نصف النهار وخط الزوال وما كان منه تحت الأفق فهو خط وتد الأرض ويسمى خط نصف الليل وهو (fol. 4 r.) خط الزوال أيضاً ثم العنكبوت وهى الشبكة الموضوعة فيها البروج والكواكب ومنطقة البروج منها الدائرة المتضمنة لدرجات البروج وهى طريقة الشمس والشمالية من هذه البروج ماكان داخل مدار رأس الحمل وهى ستة من أول الحمل إلى آخر العذرى والجنوبية ما كان خارج من[(٢)] مدار رأس الحمل وهى الستة الباقية ثم المرى وهى الزيادة التى فى رأس الجدى ثم المحْور وهى الثقبة التى فى وسط الشبكة وفيها القطب الممسك للصفائح والفرس وهو الداخل فى القطب المُمْسك له ثم ظَهْر الاسطرلاب (sic) دائرة تعديل الشمس ودائرتان أحدهما مقسومة بعدد أيام السنة وذلك ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وعليها الشهور مكتوبة والأخرى مقسومة بثلاث مائة وستين درجة عدد درج الفلك وعليها البروج مكتوبة ثم ربع أخْذ الارتفاع وهو الربع الذى يلى الشمس إذا علق الأسطرلاب لأخذ الارتفاع ثم الربع وفيه ضلعان مقسومتان كل واحدة اثنا عشر قسما وكل قسم منها يسمى اصْبُعاً ثم العضادة وهى المتحركة على ظهر الاسطرلاب وفيها شطبتان مثقوبتان يؤخذ بها ارتفاع الشمس بالنهار والكواكب بالليل .

باب فى تعديل الشمس وهو موضعها من فلك البروج

إذا أردت أن تعلم فى أى برج تكون الشمس وكم درجة قطعت منه فاعرف ما مر للشهر العجمى من الأيام فضع العضادة على ذلك اليوم من الشهر فى دائرة الشهور فإذا فعلت ذلك وقعت (fol. 4 v.) العضادة فى دائرة البروج على الدرجة

(١) يسما El ms. dice .

(٢) لعل من هنا زائدة (التحرير)

التى الشمس فيها من البروج[١] الذى[٢] فيه إن شاء الله وتصل أيضاً إلى معرفة اليوم من قبل درجة الشمس بأن تضع العضادة عليها فى البروج[٣] الذى هى فيه فستريك اليوم الذى تريد معرفته كما أراك اليوم الدرجة إن شاء الله .

باب معرفة وضع درجة الشمس فى فلك البروج المخطوطة فى الشبكة ومعرفة النظير

تعدل الشمس على ما تقدم فإذا علمت ما قطعت من درجات البروج[٤] الذى هى فيه فعلم على مثل ذلك العدد من ذلك البروج[٥] (a) كذا (u) فى فلك البروج الموضوعة فى الشبكة بنقطة على الدرجة التى ألفيت الشمس فيها وكان فى النقطة فيما تريد من الاستدلال بها فى الشمس ثم اعْلم ما نظير البرج الذى فيه الشمس من سائر البروج وتصل إلى ذلك بأن تعد البرج الذى فيه الشمس وما يليه من البروج إلى تمام سبعة بروج فالسابع هو النظير فإذا علمته فخذ من درجته عددها أخذت الشمس من برجها وضع على ذلك الموضع علامة فهى نظير درجة الشمس إن شاء الله .

باب فى أخذ ارتفاع الشمس وارتفاع الكواكب

إذا أردت ارتفاع الشمس فعلق الاسطرلاب بيدك من حلقته وليكن غير مرفود وقابل برأس العضادة الشمس حتى يدخل ضياؤها عليها على الثقب الذى تقابلها به (fol. 5 r.) من الشطبة العليا وتقع على الذى تقابله من الشطبة

(١) البرج (التحرير)
(٢) الصواب : الذى هى فيه (التحرير)
(٣) البرج (التحرير)
(٤) » »
(٥) » »
Entre lineas (u)-(a)

العليا[1] وتقع على الذى يقابله من الشطبة السفلى فإذا فعلت ذلك فاعلم كم درجة ارتفعت العضادة فى المربع الموضوع لأخذ الارتفاع فما كان من الدرجات فهو ارتفاع الشمس على الأفق فيما يقابل منه وتعرف ارتفاع الكواكب بالليل بتعلق الاسطرلاب على ما تقدم وتنظر إلى الكواكب فى ثقب الشطبة السفلى حتى تراه من ثقب الشطبة العليا فإذا فعلت ارتك العضادة ارتفاعه على حسب ما ارتك ارتفاع الشمس .

باب فى معرفة أوقات النهار وما مر من ساعات زمانية ومعرفة الطالع فى الأوقات

إذا أردت معرفة ذلك فخذ ارتفـاع الشمس على ما تقدم واحفظه ثم ادر الشبكة عليه حتى تضع النقطة التى هى درجة الشمس فى المقنطرات على مثل عدد الارتفـاع الذى أخذت فإذا فعلت ذلك فانظر نقطة النظير فما وقعت عليه فى الأسفل من الساعات الموضوعة فهو ما مر من ساعات النهار وتضع درجة الشمس على مثل ارتفاعها من أول النهار إلى وقت الزوال فى مقنطرات المشرق ومن بعد الزوال إلى غروب الشمس فى مقنطرات المغرب وتستدل على أوقات النهار بنظير درجة الشمس وعلى أوقات الليل بدرجة الشمس وما وقع على الافق الشرقى من درجات البروج فهو طالع بذلك الوقت ونظيره الغارب وما وقع على خط وسط السماء فهو درجة وسط السماء لذلك الوقت ونظيره وتد الأرض فإن كان ارتفاع الشمس الذى أخذت (fol. 5 r.) واقعاً بين مقنطرتين واردت وضع موضع درجة الشمس عليه بالحقيقة فاعرف كم يزيد الارتفاع على ارتفاع المقنطرة

(١) كان العرف السائد عند الخطاطين فى كتابة المخطوطات هو أن يكتبوا الكلمة الأولى من النص الواردة فى السطر الأول فى أوراق المخطوط فى الهـامش السفلى للاوراق السابقة لهـا مباشرة ليسهل الاستدلال على تتابع وتسلسل الأوراق . غير أن كاتب هذا المخطوط قد خالف هذه القاعدة بأن أدمج هذه الكلمات « الدالة » فى صلب المتن بدلا من كتابتها فى الهامش ومن هنا نتج التكرار فى بعض الكلمات بل وفى بعض العبارات على النحو الوارد هنا وفى صحيفة ٢٠ (التحرير)

التى قبله وسم ذلك من عدد ما بين كل مقنطرتين إن كان الاسطرلاب نصفياً فمن اثنين أو ثلثيا فمن ثلاثة أو سدسيا فمن ستة واحفظ تلك النسبة ثم ضع درجة الشمس على المقنطرة التى قبلها وانظر كم قطع المرى من الحجرة وعلم على موضع المرى من الحجرة علامة ثم حرك درجة الشمس حتى يقع على المقنطرة التى فوقها وانظر كم قطع المرى من أجزاء الحجرة وخذ من تلك الأجزاء مثل النسبة التى حفظت مما كان حركت المرى من العلامة التى علمت فى الحجرة مثل تلك الأجزاء التى أخذت فإذا فعلت هذا وقعت درجة الشمس بين المقنطرتين على مثل الارتفاع الذى أردت وكذلك تصنع فى وضع الكواكب بالليل إذا وقع لك الارتفاع بين مقنطرتين فاعلمه .

باب معرفة أوقات الليل وما مر من ساعة الزمانية(١) ومعرفة الطالع

إذا أردت أن تعلم معرفة ما مر من الليل من ساعاته الزمانية فخذ ارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة فى الشبكة فاحفظه ثم ادر الشبكة حتى تضع طرف الكوكب فى المقنطرات على مثل عدد ارتفاعه فإن كان فى حين أخذك ارتفاعه فى المغرب وضعته على مثل عدده فى مقنطرات المغرب وإن كان فى المشرق وضعته على مقنطرات المشرق وإن كان الكوكب فى وسط السماء تركته وأخذت من (fol. 6 r.) الكواكب مشرقاً أو مغرباً ثم تنظر درجة الشمس فما وقعت عليه من الساعات فهو ما مر من ساعات زمانية والطالع ما كان على الأفق الشرقى على ما تقدم ووسط السماء ما كان على خط نصف النهار .

باب معرفة وقت الظهر والعصر وآخر العصر ومغيب الشفق وطلوع الفجر

إذا أردت معرفة وقت الظهر والعصر فخذ ارتفاع الشمس وضع درجتها فى المقنطرات على مثـــال ارتفاعها كما تقدم فى معرفة الساعات فسيريك النظير هذه

(١) زمانية « التحرير » .

الأوقات بوقوعه على الخطوط الموضوعة لها كما أراك الساعات إن شاء الله و إذا أردت معرفة مغيب الشفق وطلوع الفجر فخذ ارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة فى الشبكة وضعه فى المقنطرات على مثل ارتفاعه فى الناحية التى هو فيها كما تقدم لك فى أخذ أوقات الليل فإن وقع نظـير درجة الشمس على مقنطرة مغيب الشفق الموضوع فى الاسطر[١] (sic) فقد غاب و إن وقع دونها فلم يغب وكذلك الفجر إذا وقع النظير على المقنطرة الموضوعة له فهو بدور طلوعه وما لم يقع عليها ولا وصل إليها فلم يطلع بعد وتعرف أيضاً مغيب الشفق وطلوع الفجر بوقوع درجة الشمس على الخطين الموضوعين لهما فى حين الساعات إذا كانا مخطوطين فى الاسطرلاب .

باب معرفة قوس الليل وقوس النهـار

إذا أردت إستخراج قوس الليل أو قوس النهار وهما من ثلاث مائة (fol.6 v.) وستين درجة دور الفلك فاعرف درجة الشمس فى البروج[٢] الذى هى فيه وضع عليها نقطة وكأنك تقدرها الشمس لما تريد من الاستدلال بها ثم ضعها على أفق المشرق وانظر ما يقابل المرى من العدد فى الحجرة قبل حركة النقطة من الأفق فاحفظه وعلم عليه علامة ثم أدر الشبكة إلى أن تضع النقطة إلى أفق المغرب ثم انظر ما قطع المرى من العدد من مكان تحريك النقطة من المشرق إلى المغرب فما كان فهو قوس النهار وباقى العدد فى الحجرة قوس الليل والأكثر عدداً أفسح زمانا و إن أردت إستخراج قوس الليل قبل قوس النهار فضع النقطة على أفق المغرب وادر الشبكة إلى أن تضعها على أفق المشرق واصنع ما صنعت فى قوس النهار والأعداد الموضوعة على جميع الحجرة هى قسمة مـا تقطعه الشمس فى يوم

---

(١) من الواضح أنها الاسطرلاب (التحرير)
(٢) البرج (التحرير)

وليلة وقسم ذلك على ثلاثمائة وستين درجة إتفاقاً وهذا يعرف قوس نهار كل كوكب من الكواكب الموضوعة فى الشبكة وقوس ليلها أعنى زمان ظهورها فوق الأرض ومغيبها تصنع بالكواكب ما صنعت بدرجة الشمس .

باب فى معرفة أجزاء ساعة واحدة زمانية من ساعات النهار والليل

إذا أردت ذلك فاستخرج قوس الليل والنهار واقسم أيهما شئت على إثنى عشر جزءاً وذلك عدة الساعات الزمانية لليل أو النهار فما خرج فهو عدد درجات ساعة واحدة من الليل إن قسمت قوسه ومن النهار إن كنت قسمت قوسه و إذا عرفت أبداً درجات (fol. 7 r.) ساعة أحدها فانقصها من ثلاثين فما بقى فهى عدد درجات ساعات الآخر و إنما نقصت من ثلاثين لأن عدد درجات ساعتى الليل والنهار إذا جمعا ثلاثون درجة وذلك عدد درجات ساعتين معتدلتين لأن ما نقص أحدهما[1] من ساعة معتدلة زاد فى الأخرى وتصل إلى معرفة درجات الساعة بغير معرفة القوس على مقاربة وذلك أن تضع نظير درجة الشمس على أول ساعة من أى الساعات شئت ثم تعلم على موضع المرى من الحجرة علامة ثم تردها إلى آخر الساعة ثم انظر ما قطع المرى من الموضع الذى كان عليه المرى فى أول الساعة إلى الموضع الذى صار إليه فى آخرها فما كان فهو درجات الساعة الواحدة من النهار فإن أردت علم الساعة الواحدة من الليل فاصنع بدرجة الشمس ما صنعت بنظيرها ومتى نقصت درجات احدهما من ثلاثين فالباقى درجات الساعات الأخرى على ما تقدم .

باب فى معرفة ما مر من كسر الساعة على الحقيقة

إذا مر من الساعة بعضها وأردت على[2] ما مر منها على الحقيقة فعلم على موضع المرى من الدرجات فى الحجرة علامة ثم ضع نقطة النظير على أول الساعة واعرف

---

(١) ربما كان الصواب من أحدها (التحرير)
(٢) علم (التحرير)

ما يتحرك المرى من الدرجات من موضع العــلامة فانسبه من درجات الساعة الواحدة من الليل والنهار فى أيهما كانت فما كان فهو ما مر من الساعة إن شاء الله تعالى و إن كان الباقى من الساعة أقلهـا علمت على موضع المرى أيضاً علامة وحركت الدليل إلى آخر الساعة وعرفت ما قطع (fol. 7 v.) المرى من الدرجات ونسبت ذلك من درجات الساعة الواحدة فما كان فهو ما بقى من الساعة على الحقيقة .

باب معرفة كم ساعة معتدلة فى الليل والنهار متى شئت

إذا أردت أن تعلم كم ساعة معتدلة فى الليل والنهار متى شئت من الزمن فعدل الشمس واعلم بدرجتها قوس النهار والليل أيهما أردت واقسم قوس ما أردت على خمسة عشر وذلك عدد درجات الساعة الواحدة المعتدلة فمــا خرج فهو عدد ساعات ما قسمت ليلا كان أو نهاراً ومتى علمت ساعات احدهما المعتدلة فانقصها من أربعة وعشرين فما بقى فهو ساعات ما لم يقسم .

باب معرفة كم ساعة معتدلة تمر بالليل والنهار

إذا أردت كم ساعة معتدلة تمر من النهار فخذ ارتفاع الشمس ثم ضع درجتها على ارتفاعها فى المقنطرات على ما تقدم فى أخذ الساعة الزمانية ثم علم على موضع المرى علامة ثم اصرف درجة الشمس حتى تضعها على الأفق الشرقى وهو مكان طلوعها فى أول النهار ثم انظر مـا قطع المرى من درجات الحجرة من موضع العلامة إلى أن صيرت الدرجة على أفق المشرق فما كان من الدرجات فهو ما دار من الفلك من وقت طلوع الشمس إلى جين وقت الارتفاع الذى أخذت فاقسم ذلك على خمسة عشر فما خرج فهو عدد ساعة معتدلة من النهار وهكذا تصنع بالليل تأخذ ارتفاع كوكب وتضعه على مثل (fol. 8 r.) ارتفاعه فى المقنطرات وتعلم على موضع المرى علامة وترد درجة الشمس إلى أفق المغرب وهو مكان

غروبها فى أول الليل وتقسم ما دار من الدرجات فى الحجرة على خمسة عشر فما خرج فهو ما مر من الليل من ساعة معتدلة وإذا أردت أن تعلم كم من ساعة فى الليل معتدلة بين الوقت الذى أنت فيه وبين طلوع الفجر فخذ ارتفاع كوكب على ما فعلت فوق هذا وضعه على مثل ارتفاعه وعلم على موضع المرى من الحجرة علامة ثم حرك نظير درجة الشمس حتى تضع[1] على مقنطرة الفجر وتعرف ما تحرك المرى من الدرجات وتقسم ذلك على خمسة عشر فما خرج فهو ما بين وقتك وطلوع الفجر من الساعات المعتدلة إن شاء الله .

باب فى معرفة صرف الساعات الزمانية إلى المعتدلة وصرف المعتدلة إلى الزمانية

إذا أردت أن تعلم ما فى ساعة زمانية من أى يوم شئت من ساعة معتدلة فاعرف درجة الشمس لذلك اليوم ثم ضع النظير على أفق المغرب إن كانت الساعة الزمانية من النهار ثم علم على موضع المرى علامة من الحجرة وأدر نظير درجة الشمس إلى آخر الساعة التى أردت أن تعلم صرفها فإذا أردت ذلك فاعرف ما تحرك المرى من أجزاء الحجرة فاقسمه على خمسة عشر فما خرج فهو عدد ساعة معتدلة استوفت الساعة الزمانية من الليل فاصنع بدرجة الشمس ما صنعت بنظيرها وإن أردت أن تعلم ما فى ساعة معتدلة من ساعة زمانية فى أى ليل شئت أو نهار فاعرف درجة (fol. 8 v.) الشمس فإن كانت الساعة المطلوبة نهارية فضع النظير على أفق المغرب ثم علم على موضع المرى من الحجرة علامة ثم صير ساعتك المعتدلة درجات كلها وذلك بضربها فى خمسة عشر. فما اجتمع من الدرجات فحرك المرى من موضع العلامة عدد تلك الدرجات فى الحجرة ثم انظر ما قطع النظير من الساعات الزمانية وكسرها فهو عدد ساعات زمانية من النهار

---

(١) تقع (التحرير)

استوفت الساعات المعتدلة المعلومة وإن صرفت المعتدلة إلى زمانية ليليـــة فضع درجة الشمس على أفق المغرب واصنع كما نعت لك فوق هذا .

باب فى معرفة ارتفاع الشمس فى نصف النهار
وارتفاع الكواكب فيه وذلك أرفع ما يكون

وإذا أردت أن تعلم ارتفاع الشمس فى نصف النهار وهو أول وقت الزوال فضع درجة الشمس على خط نصف النهار فى الصفيحة التى عرضها كعرض بلدك وانظر ما وقعت عليه الدرجة من الارتفاع فى المقنطرات فذلك هو ارتفاعها نصف النهار فى بلدك وكذلك تفعل بالكوكب الذى تريد معرفة ارتفاعه بوقوعه على خط نصف النهار فضعه على الخط المذكور وتنظر ما وقع عليه من الارتفاع فى المقنطرات فذلك أرفع ما يكون الكوكب فى بلدك .

باب منـــه آخر

إعلم أن فلك الـــبروج ينقسم بنصفين من رأس الجدى إلى رأس السرطان ونصف من رأس السرطان إلى رأس الجدى ورأس الجدى يسمى المنقلب الشتوى ورأس السرطان يسمى المنقلب الصيفى واعلم أن كل درجتين من هذين (fol. 9 r.) النصفين يكون بُعْدها من أحد المنقلبين بُعْداً واحداً فميلها ميلا واحداً إلى ناحية الشمال أو إلى ناحية الجنوب وعِظَمُ نهـــار كل درجتين مساو لعظم نهار الأخرى وكذلك عظم الليل وظل الزوال وارتفاعها فى نصف النهار مساو أبداً ومثل ذلك آخرُ برج الجدى وأول برج القوس وبعدهما من المنقلب الشتوى بعد واحد وكآخر الدلو وأول العقرب وكذلك ما بينهما من الدرجات وكذلك أول الجـــوزا وآخر السرطان بعدهما من المنقلب الصيفى واحد وكذلك حكم درجات البرج[١] كلها .

---

(١) لعلها البروج (التحرير)

باب فى معرفة درجة الشمس المجهولة من قبل ارتفاع نصف النهار المعلوم ومعرفة اليوم الذى يكون ذلك فيه

إذا أردت معرفة ذلك فعلم فى المقنطرات على خط نصف النهار علامة على مثل ذلك الارتفاع المعلوم ثم حرك الشبكة فلا بد أن تقع على العلامة درجتان من فلك البروج يكون بعدها من أحد المنقلبين بعد واحد على ما تقدم ذكره إلا أن يكون ذلك الارتفاع لأحد المنقلبين فليس يقع عليه إلا درجة واحدة وهو أحد المنقلبين فإذا كانت الشمس فى كل واحدة من هاتين الدرجتين الموجودتين فإن ارتفاعها من نصف النهار يكون مثل الارتفاع المعلوم وإذا أردت فى أى يومين يكون ذلك من أيام الشهر عرفتهما بالدرجتين على ما تقدم فى باب التعديل .

باب فى معرفة يوم مجهول مساو لنهار يوم معلوم

إذا أردت ذلك فعدل (fol. 9 r.) الشمس لليوم المعلوم واعرف درجتها من البرج الذى هى فيه ثم خذ الدرجة الأخرى التى بعدها من المنقلب كبعد هذه الدرجة المعلومة وهى التى ارتفاع نصف نهارها كارتفاع نصف نهار الأخرى فإذا عرفتها عرفت بها اليوم المجهول على ما تقدم فى باب تعديل الشمس .

باب فى معرفة ما تجهله من كواكب السماء الموضوعة فى الشبكة من قبل ما تعمله(١) منها

إذا أردت معرفة ذلك فخذ ارتفاع كوكب معلوم وضعه على مثل ارتفاعه فى الناحية التى هو فيها فإذا فعلت ذلك فانظر الكوكب الذى تريد معرفته على كم وقع من الارتفاع فى المقنطرات وما وافقه من السمت الذى وقع عليه فى الربع الذى من فيه فاحفظ ذلك وضع العضادة على مثل ارتفاعه وعلق الاسطرلاب

(١) صوابها تعلمه (التحرير)

من يدك وانظر من ثقبتى الشطبتين فى تلك الناحية التى وجدته فيها فأى كوكب تراه من الثقبتى فى تلك الناحية دون حركة العضادة فهو الكوكب المطلوب .

باب فى معرفة وقت طلوع أى درجة شئت من البروج
وأى كوكب أردت من الكواكب الموضوعة فى الشبكة

إذا أردت معرفة ذلك فضع الدرجة أو الكوكب أصل الذى تريد معرفة ذلك له على الأفق من ناحية المشرق ثم (fol. 10 r.) أنظر إلى درجة الشمس فإن وقعت فوق الأفق فهو نهار فاعرف بنظير درجة كم من النهار وإن وقعت درجة الشمس تحت الأفق فهو ليل فاعرف بدرجة الشمس كم مر من الليل فهو يكون وقت طلوعها وكذلك إن أردت وقت غروبها وضعتها على الأفق الغربى وإن أردت معرفة وقت توسط السماء فوق الأرض أو تحتها وضعتها على الخط الذى هو دليل ما أردت وتعرف بوقوع درجة الشمس أو نظيرها على الساعات أى وقت يكون ذلك من ليل أو نهار على ما تقدم .

باب معرفة أى درجة تتوسط السماء مع أى كوكب شئت ومع أى درجة يطلع ويغرب

إذا أردت معرفة الدرجة التى يتوسط الكوكب السماء معها فضع الكوكب على خط نصف النهار ثم انظر أى درجة وقعت من البروج على ذلك الخط فذلك[١] هى الدرجة التى يتوسط الكوكب السماء معها و إن أردت معرفة الدرجة التى تطلع معه جعلت الكوكب طالعاً ونظرت ما يطلع معه من البروج وكذلك تجعله غارب[٢] و إن أردت معرفة الدرجة التى تغرب معه إن شاء الله .

(١) فتلك (التحرير)
(٢) غارباً (التحرير)

باب فى معرفة سمت الشمس بالنهار والكواكب بالليل

إذا أردت معرفة سمت الشمس فخذ ارتفاعها فى الوقت الذى تريد معرفته[١] ذلك فيه وضع درجتها على مثل ذلك الارتفاع من المقنطرات فى الناحية التى هى فيها من شرق أو غرب على ما تفعل فى أخذ الساعات ثم انظر ما وافق درجة الشمس من السموت المتقاطعة من المقنطرات وعلى كم درجة (fol. 10 v.) يكون السمت من الربع الذى قابلها ولا يخلو ذلك الربُع أن يكون أحد أرباع الأفق الأربعة إما أن يكون جنوبياً شرقياً أو شمالياً شرقياً أو جنوبياً غربياً أو شمالياً غربياً على نحو قسمة الأفق الأربعة أقسام وكذلك تعلم بالليل سمت الكواكب الموضوعة فى الشبكة بأخذ ارتفاع الكواكب وتعمل به ما عملت بدرجة الشمس فيخرج لك سمته من الربع الذى قابل وإن أردت أن تعرف سمت مطلع الشمس أو أحد الكواكب الموضوعة فى الشبكة فضع درجة الشمس أو الكوكب على الأفق الشرقى ثم انظر ما وافقه من السمت فى الربع الذى عليه سمت الطلوع وعلى مثل ذلك السمت يكون الغروب فى مثل الربع شمالياً كان أو جنوبياً .

باب فى معرفة القبلة بالليل والنهار

إذا أردت ذلك نهاراً فاعرف سمت الشمس لوقتك الذى أنت فيه على ما تقدم ثم ضع الاسطرلاب على وجه الأرض وخذ من الدائرة المشبهة بالأفق مثل عدد تلك الدرجات فى مثل ذلك الربع وضع طرف العضادة عليها ثم قابل بالشطبة التى يلى[٢] طرف العضادة على عدد تلك الدرجات ضوء الشمس وحرك الاسطرلاب يمنة ويسره حتى يعتدل ظل الشطبة على العضادة دون أن تحرك

---

(١) لعلها معرفة (التحرير)
(٢) تلى (التحرير)

العضادة على موضعها فإذا اعتدل الظل فامسك الاسطرلاب ولا يتحرك عما هو عليه فسيكون القطر الذى قسم الدائرة بنصفين من موضع العلاقة آخذاً من وسط الجنوب إلى وسط الشمال والقطر الثانى الذى قسمتها أيضاً(١) بنصفين وقاطعه على مركز (fol. 11 r.) الدائرة هو أخذ من وسط المغرب إلى وسط المشرق فهذان القطران قسما الدائرة أربعة أقسام ربعان منها شماليان واحد إلى بعين الجنوبين شرقى والآخر غربى(٢) فإذا فعلت هذا وأردت القبلة فحرك العضادة حتى تضع أحد طرفيها على ثلاثين درجة من الربع الجنوبى الشرقى دون أن يتحرك الاسطرلاب فما قابلت الشطبة فهو القبلة بقرطبة وما قارب منها فيما نذكره بعد ذكر(٣) .

باب الطول والعرض

وإن أردت اخذ القبلة بالليل فخذ ارتفاع كوكب من كواكب الاسطرلاب وأعرف سمته على ما تقدم ثم حول الاسطرلاب وضع فى ظهره طرف العضادة على مثل عدد تلك الدرجات فى مثل ذلك الربع كما صنعت فى النهار بسمت الشمس ثم امسك الاسطرلاب مبسوطاً فى يديك باطنه ما يلى الارض وقابل بالشطبة التى يلى(٤) الطرف الموضوع على عدد درجات سمت الكوكب الذى أخذت ارتفاعه وارفع الاسطرلاب حتى ترى الكوكب من ثقبتى الشطبتين وتكون العضادة مقيمة على العدد الذى وضعت فإذا فعلت هذا فضع الاسطرلاب من يدك على وجه الأرض على بطنه دون أن تميل به إلى ناحية من النواحى فيميل الاسطرلاب عن جهته من السمت فإذا فعلت هذا فقد اتخذت لك الجهات الأربع

(١) قسمها (التحرير)
(٢) من الواضح أنه سقطت من الناسخ بعض الكلمات ولعل العبارة هكذا « ... أربعة أقسام ربعان منها شماليان واحد شرقى والآخر غربى وربعان جنوبيان أحدهما شرقى والآخر غربى» (التحرير)
(٣) لعلها ذلك (التحرير)
(٤) تلى (التحرير)

بالقطرين على ما تقدم ذكره فضع العضادة على سمت القبلة فى بلدك وهو بقرطبة وما قرب بثلاثين درجة من الربع الجنوبى الشرقى فما قابلت الشطبة فهو القبلة .

باب فى معرفة ميل أى درجة (fol. 11 v.) شئت من درجات البروج عن دائرة معدل النهار وميل أى كوكب أردت من الكواكب وميلها هو بعدها منه

إذا أردت معرفة ميل أى درجة شئت من درجات البروج فضع الدرجة التى تريد معرفة ميلها على خط نصف النهار واعرف على كم وقعت من الارتفاع فى المقنطرات فاحفظه ثم اعرف على كم هى دائرة معدل النهار التى هى مدار رأس الحمل والميزان من الارتفاع وخذ ما بين الارتفاعين فما كان فهو ميل الدرجة عن معدل النهار فإن كانت الدرجة من البروج الشمالية فالميل شمالياً وإن كانت الدرجة من البروج الجنوبية فالميل جنوبياً واعلم أن درجات البروج الشمالية تكون أبداً فى نصف النهار ارفع من دائرة معدل النهار بقدر ميلها عنها ودرجات البروج الجنوبية تكون أبداً فى نصف النهار اخفض ارتفاعها(١) من دائرة معدل النهار بقدر ميلها عنها حاشى أول الحمل وأول الميزان فلا ميل لهما إذ دائرة معدل النهار مدار لهما لا يميلان عنها وأكثر الميل إنما يكون فى أول السرطان وأول الجدى وذلك أربع وعشرون درجة وكذلك تأخذ ميل كل كوكب شئت من كواكب الاسطرلاب بوضع الكوكب على خط نصف النهار وتعرف ارتفاعه فيه وأخذ ما بين ارتفاعه وارتفاع دائرة معدل النهار فذلك ميله جنوبياً كان أو شمالياً .

باب فى معرفة أخذ عرض كل بلد

إعلم أن عرض البلد هو بعد سمت رؤوس أهله عن دائرة معدل (fol. 12 r.) النهار التى هى مدار رأس الحمل ورأس الميزان ومثل ذلك يكون ارتفاع القطب

(١) ارتفاعا (التحرير)

الشمالى عن الأفق وانخفاض القطب الجنوبى عن الأفق أيضاً فهذا[١] الأبعاد الثلاثة يكون[٢] أبداً متساوية وكل واحد يسمى عرض البلد فإن كنت فى بلد لا تعرف عرضه وأردت معرفته فارتقب الشمس حتى تصير فى وسط السماء وهى أرفع ما تكون فإذا كانت كذلك أخذت ارتفاعها فإن كانت فى أول الحمل أو فى أول الميزان وذلك يكون فى يوم الاعتدال مرتان فى العام وهما فى ذلك النهار على دائرة معدل النهار وانقص الارتفاع الذى أخذت من تسعين فما بقى فهو ما بين الشمس وسمت الرؤوس وهو عرض ذلك البلد وإن كانت الشمس فى غير أول الحمل وأول الميزان فخذ ميل الدرجة التى هى فيها عن دائرة معدل النهار على ما تقدم فإن كان الميل شمالياً فانقصه من الارتفاع الذى أخذت وإن كان الميل جنوبياً فزده فما كان بعد الزيادة أو النقصان فهو ارتفاع دائرة معدل النهار على الأفق فى ذلك البلد فانقصه من تسعين فما بقى فهو عرض البلد فإن أردت أخذ العرض بالليل فخذ ارتفاع الكوكب إذا صار فى وسط السماء وهو أرفع ما يكون فاحفظ ذلك ثم خذ ميله عن دائرة معدل النهار واصنع كما صنعت بالشمس فى النهار وتصل إلى معرفة عرض البلد بالكواكب التى تقرب من القطب الشمالى الذى لا يغيب فى ذلك البلد وذلك بأن تأخذ ارتفاع كوكب منها أرفع ما يكون ثم تأخذ ارتفاعه اخفض ما يكون وتجمع العددين وتأخذ نصف ما اجتمع فما يكون فهو عرض البلد .

باب معرفة أخذ الساعات فى بلد لا عرض له (fol. 12 v.) فى الصفايح

فإن كنت فى بلد عرضه غير موافق لعروض الصفايح المرسومة فخذ من الصفايح عرضين يكون أحدهما أكثر من عرض بلدك والآخر أقل منه وخذ ما

(١) فهذه (التحرير)
(٢) تكون (التحرير)

بين عرض بلدك والعرض الأقرب إليه من العرضين اللذين أخذت وسم ذلك من فضل ما بين العرضين فاحفظ تلك النسبة فيها[(١)] تعرف كل ما يأتى وصفه إن شاء الله تعالى فإن أردت ذلك فاعرف كم ساعات مضى النهار فى الصفيحة التى عرضها أقرب إلى بلدك واحفظ تلك الساعات وكسر إن كان معك وكذلك تفعل بالصفيحة الأخرى وخذ من الفضلة مثل النسبة التى حفظت فما كان من كسر ساعة فاحفظ ثم انظر فإن كان عدد ساعات العرض الأقرب أقل من عدد ساعات العرض الثانى فزد ذلك الكسر من الساعات على عدد ساعات العدد الأقرب التى مضت[(٢)] النهار وإن كان أكثر فانقص فما كان من بعد الزيادة أو النقصان فهو ما مر من ساعات نهار بلدك بالارتفاع الذى أخذت وكذلك تصنع فى ساعات الليل بالكواكب ومعرفة سمت الشمس بالنهار والكواكب بالليل وإن أردت معرفة قوس النهار أو الليل فى بلدك أخذت القوس من العرضين جميعاً وصنعت بفضل ما بين القوسين ما صنعت بفضل ما بين الساعتين وكذلك تعرف ارتفاع نصف بلدك بارتفاع نصف النهار فى العرضين .

باب فى معرفة ساعات النهار بالرسوم الموضوعة على ظهر العضادة

إذا أردت ذلك فاعرف ارتفاع الشمس فى نصف النهار لذلك اليوم فى ذلك البلد ثم اضع العضادة فى ربع الارتفاع على مثـله (fol. 13 r.) وعلق الاسطرلاب من الحلقة وقابل الشمس بالشطبة العليا كما تصنع فى أخذ الارتفاع وحرك الاسطرلاب حتى ينطوى فى ظل الشطبة على العضادة ولا يخرج عنها كما تصنع فى أخذ السمت فما انتهى إليه الظل من رسوم الساعات فما مر من

---

(١) لعل الصواب فيها (التحرير)
(٢) لعل كلمة «من» هنا ساقطة (التحرير)

ساعات النهار إن كان أخذك قبل نصف النهار وإن كان بعده أراك الظل برجوعه ما بقى من ساعات النهار .

باب فى معرفة الطول وأخذه

إعلم أن الطول من بين نصف نهار ونصف نهار بلد آخر من درجات دائرة معدل النهار فإن أردت ما بين البلدتين من الطول فلا بد من رصد ابتداء كسوف قمر وانجلائه فى البلدتين جميعاً واخذ بعد وقت ابتدائه أو انجلائه من النهار الذى تعلوه ليلة الكسوف بساعة معتدلة فإذا عرفت كم بين وقت إبتداء الكسوف وانجلائه وبين نصف النهار فى البلدتين جميعاً من ساعات معتدلة فصيرها درجات وذلك أن تضربها فى خمسة عشر فما اجتمع لك من العدد فهو طول البلدين وقد جمع ابطليموس فى ذلك كتاباً سماه بكتاب الجغرافيا جمع فيه أطوال المدائن المشهورة وعروضها فجعل العرض ما زايل سمت الرؤوس عن معدل النهار إلى الشمال وجعل الطول بُعْد خط نصف نهار البلد عن خط نصف نهار بلد آخر .

باب فى معرفة على كم يكون سمت بلد يسأل عنه عن سمت بلدك وكم بعد رؤوس أهله (fol. 13 v.) من سمت رؤوس أهل بلدك

إذا أردت أن تعلم على كم سمت يكون بلد معروف الطول والعرض من بلدك فاعرف عرض البلد المسؤول عنه وعلم فى صفيحة بلدك فى خط نصف النهار على مثل ذلك علامة إلى ناحية الشمال عن معدل النهار أبداً يكون بعد العلامة منه مثل عرض البلد المسؤول عنه فإذا فعلت هذا فحرك الشبكة حتى يقع شئ منها على العلامة أيضاً فان تم علم فى ذلك الشئ الواقع من الشبكة على خط نصف النهار علامة ينقل العلامة من الخط إلى ما يقابل موضعها من

الشبكة لتديرها فيما تريد من الاستدلال بهـا فإذا فعلت هذا فاعرف ما بين طول البلد المفروض على حسب ما وقع من ذكر الأطوال فى كتاب الجغرافيا فان كان طول البلد أكثر من طول بلدك فهو منك شرق لا محالة فحرك مرى الأجزاء فى الحجرة من موضعها إلى ناحية المشرق بقدر العدد الذى بين الطولين وإن كان طول البلد أقل من طول بلدك فهو غرب منك لا محالة فحرك المرى من موضعه إلى ناحيــة المغرب بقدر ما بين الطولين ثم انظر إلى النقطة التى علمت فى الشبكة ما وافقها من السموت وفى أى ربع هو ممـا كان فعلى مثل ذلك يكون سمت البلد المسؤول عنه من أفق بلدك وكذلك أيضاً تنظر على كم وقعت النقطة من الارتفاع فى المقنطرات وتنقص ذلك من تسعين فما بقى فهو بعد ما بين سمت (fol. 14 r.) الرؤوس فى بلدك وبين سمت الرؤوس فى البلد المسؤول عنه وذلك هو البعد الذى بينهما وبهذا العمل تعلم فى كل بلد على كم يكون سمت مكة إذا عرفت طولها وعرضها وطول بلدك وصنعت بذلك كما ذكرت فى صفيحة عرضها كعرض بلدك والثلاثون درجة من الربع الشرقى الجنوبى التى هى سمت القبلة بقرطبة وما قرب منها وإن أردت أن تعلم ما بين بلدك والبلد المسؤول عنه من الأميـال على المسلك القاصر فخذ الدرجات الذى خرجت لك من بين سمت رأسك وبين سمت رؤوس أهل البلد فاعط لكل درجة ونصف من الدرجات مائة ميل فهو بعد ما بين البلدين من الأميـــال إن شاء الله تعالى :

باب فى معرفة الظل من قبل ارتفاع الشمس

إعلم أن المربع الموضوع فى ظهر الاسطرلاب فيه ضلعان كل قسم بأصبع فالضلع السفلى الموازية للارض هى مكان الظل المبسوط والضلع الثانية القائمـة عليها هى مكان الظل المنكوس فإذا أردت أن تعلم كم أصبع يكون فى الظل

فخذ ارتفاع الشمس فإن كان فى الارتفاع خمساً وأربعين درجة فالظل المبسوط من اثنى عشر أصبعاً (١) والمنكوس كذلك أيضاً وظل كل شئ مثله وإن كان الارتفاع أزيد من خمسة وأربعين درجة فالعضادة واقعة أبداً على الضلع التى هى ظل المبسوط فانظر على كم أصبع منه وقعت العضادة فذلك هو عدد أصابع المبسوط وإن كان الارتفاع دون خمسة وأربعين درجة فالعضادة واقعة أبداً (fol. 14 v.) على الضلع التى هى الظل المنكوس فإن أردت الظل المبسوط لهذا فاقسم مائة وأربعة وأربعين على ما معك من أصابع الظل المنكوس فما خرج من القسمة فهو عدد أصابع الظل المبسوط لذلك الارتفاع أكثر من خمسة وأربعين درجة وأردت معرفة أصابع الظل المنكوس فاقسم على ما معك من أصابع الظل المبسوط مائة وأربعة وأربعين فما خرج فهو عدد أصابع الظل المنكوس لذلك الارتفاع إن شاء الله تعالى وإنما قسمت مائة وأربعة وأربعين على عدد أصابع أحد الضلعين وخرجت أصابع الآخر لأن ضرب أصابع الظل المبسوط لكل ارتفاع فى أصابع الظل المنكوس له يكون مائة وأربعة وأربعين وهذه المائة والأربعة والأربعين(٢) التى قسمت أيضاً هى من ضرب اثنى عشر التى هى عدد أصابع القامة فى نفسها فإن أردت أن تعلم كم قامة يكون فى الظل فاقسم عدد أصابعه على اثنى عشر فما خرج فهو كم قامة يكون فيه وإن كان الظل أقل من قامة سميته من إثنى عشر فيكون نسبة منها وإن وقعت العضادة على كسر من أصبع وأردت معرفة حقيقة ذلك الكسر منه فعلم على الموضع الذى وقعت عليه العضادة فى الربع الأسفل لقربه من المربع علامة ثم حرك العضادة حتى تقع على أول الأصبع وعلم على طرف العضادة أيضاً علامة وانظر ما بين العلامتين من الدرجات فاحفظه ثم حرك العضادة من أول الأصبع حتى

---

(١) كلمة غير مقروءة إذ تنقصها بعض الحروف : واد . . . (التحرير) .

(٢) والأربعون (التحرير)

يقع على آخر ثم انظر كم تحرك طرفها من الدرجات وسم منها التى حفظها[١] أولا فما كان فهو الكسر الذى تريد معرفته من الأصبع إن شاء الله تعالى .

(fol. 15 r.) باب فى معرفة ارتفاع الشمس من قبل الظل

إذا أردت أن تعلم كم ارتفاع الشمس من قبل الظل فاعرف كم عدد أصابعه فان كانت إثنى عشر أصبعاً فما دون ذلك فضع العضادة على هذه الأصابع فى الضلع التى فيها الظل المبسوط وانظر على كم وقع طرفها من الارتفاع فى الربع الأعلى الذى يؤخذ فيه الارتفاع فما كان فهو ارتفاع الشمس لذلك الظل وبمعرفة الارتفاع يعرف الوقت إن أردت ذلك وإن كانت أصابع الظل أكثر من إثنى عشر أصبعاً فاقسم عليها مائة واربعة وأربعين فما خرج فهو عدد أصابع الظل المنكوس للارتفاع المطلوب فضع العضادة على عدد الأصابع فى الضلع التى هى الضلع المنكوس فما وقع عليه طرف العضادة فى ربع الارتفاع فهو ارتفاع الشمس لذلك الظل فان كان الظل منكوساً وكان عدد أصابعه اثنى عشر أصبعاً فما دون ذلك وأردت معرفة الارتفاع فضع العضادة على عدد الأصابع فى الضلع التى هى الظل المنكوس بشبر يد طرفها الارتفاع وإن كانت الأصابع أكثر من إثنى عشر أصبعاً فاقسم عليها مائة وأربعة وأربعين فما خرج فهو عدد أصابع الظل المبسوط للارتفاع المطلوب فضع العضادة على هذه الأصابع فى الضلع التى هى الضلع المبسوط وانظر ما يقع عليها طرفها فى ربع الارتفاع على ما تقدم فاذا عرفته عرفت الوقت إن شئت ذلك فان كان فى أصابع الظل كسرا وأردت أن تضع العضادة عليه بالحقيقة فاجعل العضادة على أول الأصبع التى الكسر منها وتعلم على طرفها علامة فى الربع الأسفل على ما تقدم ثم تحرك العضادة إلى آخر الأصبع وتعرف ما قطعت من الدرجات من أول الأصبع إلى آخرها[٢] (fol. 15 v.)

---

(١) حفظتها (التحرير)

(٢) El ms. repite este pasaje

وتأخذ من تلك الدرجات من أول الأصبع إلى آخرهـــا وتأخذ من تلك الدرجات مثل ذلك الكسر ثم تضرب العضادة من العلامة الأولى وتأخذ من تلك الدرجات مقدار الكسر الذى معك فتقطع لك العضادة على الكسر المطلوب .

باب فى معرفة ظل نصف النهار الذى هو ظل الزوال ومعرفة ظل وقت الظهر ووقت العصر فى أى يوم شئت من أيام السنة

إذا أردت معرفة ظل نصف النهار ليوم معلوم فعدل الشمس لذلك اليوم فإذا عرفت درجتها فاعرف كم ارتفاع نصف نهار تلك الدرجة على ما تقدم ثم تعرف كم ظل ذلك الارتفاع فما كان فهو أصابع ظل الزوال فى ذلك اليوم فأما معرفة أصابع الظل بوقت الظهر وأول وقت العصر وآخر وقته فهو أن تزيد على ظل نصف النهار الذى هو ظل الزوال ثلاثة أصابع وهو ربع القامة فما اجتمع من الأصابع فهو وقت الظهر وتزيد على ظل نصف النهار الأول لوقت العصر إثنا عشر أصبعاً والآخر[1] الوقت أربعا وعشرين وتعرف أيضاً أصابع الظل المبسوط لوقت الظهر والعصر وآخر العصر بالخطوط الموضوعة على الاسطرلاب لهذه الأوقات وهو أن تضع نظير درجة الشمس على خط الظهر وتنظر درجة الشمس على كم وقعت من الارتفاع فى المقنطرات فذلك يكون ارتفاع الشمس الأول وقت الظهر فتعرف به أصابع الظل على ما تقدم وكذلك تفعل الأول وقت العصر والآخر وقتـه الظهر فيعرف من الارتفاع الذى عرفت به الظل المبسوط تعرف الظل المنكوس بهذه الأوقات متى شئت ذلك .

(fol. 16 r.) باب فى معرفة ارتفاع الشمس ومعرفة سمتها ومعرفة أى ساعة أردت من ساعات النهار ولأى يوم شئت ذلك من أيام السنة

إذا أردت ذلك فعدل الشمس لذلك اليوم وضع نظير درجتها على الساعة

---

(١) ولآخر (التحرير)

التى أردت معرفة الارتفاع والسمت لها ثم انظر على كم وقعت درجة الشمس من الارتفـاع فى المقنطرات وعلى كم هى من السمت فصحح ذلك بالمرى فى أجزاء الحجرة على ما تقدم فى تصحيح كسر الساعة وكسر الأصبع فى بابه فيكون ما أردت معرفته من الارتفاع والسمت فإن أردت معرفة الظل لذلك الوقت عرفت من الارتفاع الذى خرج وكذلك تعرف الارتفاع والظل والسمت فى وقت الظهر بالخطوط الموضوعة لهذه الأوقات وكذلك تعرف ارتفاع الكوكب بالليل وسمته لأى ساعة أردت ذلك إلا أنك تضع درجة الشمس على الساعة إذ هى دليل الساعات بالليل وتنظر ما وقع عليه الكوكب من الارتفاع والسمت وذلك ما أردت معرفته .

باب فى معرفة درجة الشمس المجهولة من قبل الارتفـاع والسمت المعلومين ومعرفة اليوم الذى يكون ذلك فيه

إذا أردت معرفة ذلك فاعرف الاسطرلاب من السموت الموضوعة فيه ما يكون على مثل العدد المعلوم من الربع الذى هو منه وعلم فى المقنطرات القاطعة لذلك السمت علامة على مثل الارتفاع المعلوم ثم حرك الشبكة فلا بد أن تقع على موضع العلامة درجتان من فلك البروج بعدها (fol. 16 v.) من أحد المنقلبين بعْد واحد على ما تقدم ذكره فاعرف من الدرجتين اليومين اللذين يكون ذلك فيهما على ما مر فان كان كان[1] الظل والسمت معلومين وأردت علم الدرجة فاعـلم على كم ارتفاع الشمس لذلك الظل فاعمل بالارتفاع والسمت المعلومين على ما تقدم فان لم يقع على العلامة شئ من درجات فلك البروج فان المسئلة مستحيلة .

(١) نرى أن أحد كلمتى : كان : هنا زائدة (التحرير)

باب فى معرفة ارتفاع الصوامع والنخل وغير ذلك مما يقع فوق الأرضين

إذا أردت معرفة ذلك فضع العضادة على ارتفاع خمسة وأربعين درجة من ربع الارتفاع وإنما تفعل ذلك لتقسم المربع بنصفين وتتقدم وتتأخر حتى ترى أعلاه دون تحرك العضادة عما هى عليه فاذا فعلت ذلك فاقسم البعد الذى من مكان قدميك إلى أصل ذلك الشئ المرتفع ورد عليه ما اجتمع ما من بصرك إلى الأرض فما اجتمع الك من العدد كله فهو ارتفاع الشئ الذى أردت ارتفاعه دون أن تزول من مكانك فحرك العضادة وخذ ارتفاع الشئ كما تصنع بالكواكب ثم انظر فان وقعت العضادة على المربع على ضلع الظل المبسوط فخذ الأصابع الذى[1] وقعت عليها واقسم عليها اثنى عشر من عدد الأصابع التامة فما خرج فهو نسبة ارتفاع الشئ من البعد الذى بينك وبينه فاحفظها ثم امسح ذلك البعد واضرب فى النسبة التى جمعت ثم زد على ما اجتمع ما من بصرك إلى الأرضين فما كان فهو ارتفاع الشئ فان وقعت العضادة على الظل المنكوس فاعرف كم نسبة الأصابع التى وقعت عليها العضادة من (fol. 17 r.) إثنى عشر فما كان فهو نسبة ارتفاع الشئ من البعد الذى بينك وبينه فاحفظها وتزيد على ما خرج ما من بصرك إلى الأرض على ما تقدم فما اجتمع فهو ارتفاع الشئ الذى أردت واعلم أن العضادة إذا وقعت على القطر المربع فارتفاع الشئ مثل البعد بنقصان قامتك فزدها وإن وقعت على ضلع الظل المبسوط فارتفاعه أعظم من البعد وإن وقع على ضاع الظل المنكوس فارتفاع الشئ أصغر من البعد ولا بد من زيادة قامتك بعد المسح واضرب ما كان منه فى النسبة التي معك إن كنت أخذت الارتفاع قائماً وإن كنت أخذته جالساً زدت ما من بصرك إلى الأرض وإن أردت معرفة بعض الشئ المرتفع من موضع إلى أعلاه فلا بد من معرفة جميعه ثم معرفة ارتفاع ما من الموضع إلى أسفله ثم تأخد فضل ما بين الارتفاعين

---

(١) التى (التحرير)

وذلك يكون بعد ما من الموضع الذى أردت إلى أعلاه وبهذا تعمل فى كل متعلق لا يصل إلى الأرض إن أردت أن تعلم بعده من تعلقه على ما تقدم فإن أردت معرفة ارتفاع شئ لا يوصل إلى أصله كالجبل وغير ذلك مما يحيل بينك وبين ارتفاعه من الوصول إلى أصله مانع فخذ ارتفاعه من مكان ما ثم ارتفاعه ثانية واعرف من الأصابع التى وقعت عليها العضادة من أى الضلعين كانت كم نسبة البعد من ارتفاع الشئ فإن وقعت على الظل المبسوط نسبة تلك الأصابع التى وقعت عليها العضادة من اثنى عشر فما كان فهو نسبة البعد من ارتفاع الشئ وإن وقعت العضادة على الضلع المنكوس (fol. 17 v.) قسمت إثنى عشر على عدد الأصابع فما خرج فهو نسبة البعد من مكان وقوفك الثانى من الشئ المرتفع ثم تأخذ فضل ما بين النسبتين وتحفظه ثم تمسح ما بين وقوفك الأول والثانى وتقسم عدد الأذرع التى قسمت على مـــا حفظت من فضل ما بين النسبتين فما خرج فهو ارتفاع الشئ بنقصان قامتك فزدها فما كان فهو ارتفاع الشئ فإن أردت أن تعلم كم بعد ما بين أصل الشئ المرتفع من المكانين فخذ من ارتفاع[١] الذى خرج لك قبل زيادة القامة مثل النسبة التى حفظت لذلك المكان الذى تريد معرفة ما منه إلى أصل الشئ فما خرج فهو بعد ما بينهما .

باب آخر فى معرفة ما بين مكانين وما يزيد الأعلى منهما على الأخفض

إذا أردت أن تعلم ما بين مكانين فى أرض معتدلة فتقف فى أحد المكانين وعلق الاسطرلاب من شمالك لتقع العضادة على المربع الموضوع فيه ولا بد من هذا إلا أن يكون فى الاسطرلاب مربعان فتعلقه من يمينك حينئذ ثم تنظر من ثقبتى الشطبتين حتى ترى المكان الآخر فإذا فعلت ذلك فانظر العضادة فإذا وقعت على ضلع الظل المبسوط فخذ الأصابع وتعرفها[٢] نسبتها من إثنى عشر

(١) الارتفاع (التحرير)
(٢) وتعرف (التحرير)

فما كان فهو نسبة ما بين المكانين من قامتك مثلا كان أو نصفاً أو ربعاً أو غير ذلك وإن وقعت العضادة على ضلع. الظل المنكوس فاقسم إثنى عشر على عدد الأصابع التى معك فما خرج فهو ما بين المكانين من أمثال قامتك فاعرف ما فى قامتك من الأذرع فذلك ما بين المكانين من الأذرع (fol. 18 r.) وذلك أن تضرب عدد أمثال القامة التى معك أو اكسر(١) منها فى عدد ما فيها من الأذرع فيكون ما أردت فإن أردت أن تعلم ما بين مكان فى سمك البيت إلى مكان آخر فيه فاجعل العضادة على قطر الاسطرلاب الآخر من العلاقة إلى أسفله ثم قف تحت المكان الواحد أولا ثم انظر إليه من ثقبتى الشطبتين دون تحريك العضادة وإنما تكون أنت التحرك فإذا فعلت ذلك فعلم فى الأرض فى وسط مكانك ثم قف تحت المكان الآخر وانظر إليه كما فعلت بالأول وامسح ما بين المكانين فى الأرض فما كان فهو بعد ما بين المكانين فى السمك فإن أردت أن تعلم كم يزيد ارتفاع مكان على مكان آخر فخذ قصبة وواقفها مع قامتك وعلم فيما قابل بصرك منها فإذا فعلت ذلك ووقفت فى آخر المكانين ووقف القصبة فى المكان الثانى معتدلة غير مائلة وعلق الاسطرلاب من يدك واجعل العضادة على القطر الموازى لسطح الأرض حيث يبدو الارتفاع ثم انظر من ثقبتى الشطبتين القصبة دون تحريك العضادة مما هى عليه فإن وقع بصرك بالعلامة فى القصبة فالمكانان معتدلان وإن وقع فوق علامتك فمكانك أرفع من مكان القصبة بقدر ما من رفع نظرك فى القصبة إلى العلامة وإن وقع نظرك تحت العلامة فمكانك أخفض من مكان القصبة بقدر بصرك إلى العلامة وبهذا العمل يجلب المياه من مكان إلى مكان يعلم البعد الذى فى المكانين ويعلم ما يزيد ارتفاع المكان الذى فيه الماء على مكان(٢) الذى تريد جلبه إليه فى

---

(١) كسر ؟ (التحرير)
(٢) المكان (التحرير)

الارتفاع وتقسم ذلك على البعد كله وتعلم ما يقع منه لكل عشرة أذرع أو أكثر فيكون ذلك (fol. 18 v.) صبباً لها وأقل ما يكون الصبب ذراعاً لكل صبابة ذراع من البعد .

باب فى معرفة ما يطلع(١) به البروج من درجة دائرة معدل النهار فى الفلك المستقيم وهو مثل طلوعها فى خط فى نصف النهار

إذا أردت ذلك فضع أول البرج الذى تريد معرفة ذلك له على خط نصف النهار وعلم على موضع المرى من الحجرة علامة ثم أدر الشبكة حتى يقع أول البرج على الخط فما تحرك المرى من الحجرة من الدرجات فهى درجات طلوع ذلك البرج فى الفلك المستقيم وكذلك تفعل إذا أردت طلوع(٢) برجين أو ثلاثة أو ما شئت من البروج أو بعض درجات برج تضع أول الدرجات على خط نصف النهار ثم أدر الشبكة حتى تقع آخر الدرجات عليه فما تحرك المرى من الدرجات فى الحجرة هو ما أردت معرفته وإنما أخذنا ذلك فى خط نصف النهار لأن أفق أهل معدل النهار فى الاسطرلاب خط مستقيم بخط وسط السماء .

باب فى معرفة ما تطلع به البروج من درجات دائرة معدل النهار فى أى بلد شئت

إذا أردت ذلك فخذ الصفيحة المرسومة لذلك العرض واجعلها تحت الشبكة ثم ضع أول ذلك البرج على الأفق الشرقى وعلم على موضع المرى علامة ثم أدر الشبكة حتى يقع آخر البرج على الأفق وعلم علامة فما تحرك المرى من الدرجات فهو طلوع ذلك البرج فى ذلك البلد وكذلك تصنع ما كان أكثر من برج وأقل على ما تقدم فى الباب الذى قبل هذا (fol. 19 r.) فإن أردت ما يقرب به البرج فى ذلك البلد فاصنع به ما صنعت فى الأفق الشرقى .

---

(١) تطلع (التحرير)
(٢) لعل الصواب هو إذا أردت معرفة طلوع (التحرير)

باب فى معرفة موضع القمر من البروج ومواضع الكواكب السيرة[١] فيها على المقاربة

إذا أردت معرفة موضع القمر من البروج على المقاربة فأخذ[٢] ارتفاعه واحفظه ثم تأخذ فى ذلك الوقت ارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة فى الشبكة وضعه فى المقنطرات على مثل ارتفاعه ثم انظر درجة[٣] من درجات البروج وقعت فى المقنطرة على مثل ارتفاع القمر فى الناحية التى هو فيها من شرق أو غرب فتلك درجة القمر وإن أردت معرفة موضعه بالنهار إذا ظهر إليك فخذ ارتفاعه وارتفاع الشمس واصنع بالارتفاعين ما صنعت بالليل وبهذا تعرف مواضع الكواكب السيارة إذا رأيتها تأخد ارتفاعها وارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة فى الشبكة ويكون ذلك فى وقت واحد وتصنع على ما تقدم ذكره فى القمر وإن أردت أن تعلم أن الكواكب السيارة[٤] راجعاً أو مستقيما فخذ الارتفاع يعنى ارتفاعه واحفظه ثم خذ فى ذلك الوقت ارتفاع كوكب من الكواكب الثابتة واحفظه أيضاً فإذا كان بعد ليلتين أو ثلاثة على قدر ما يبين لك النقصان أو الزيادة فارصد الكوكب الثابت على مثل ارتفاع الكوكب السيار فإن كان الكوكب فى ناحية المشرق ووجدت ارتفاعه الثانى أقل من ارتفاعه الأول هو[٥] مستقيم فإن نقص فهو راجع وبالضر[٦] فى المغرب إذا كان يتزايد مستقيم[٧] وإن تناقص فهو راجع إن شاء الله تعالى .

(١) السيارة (التحرير)
(٢) فخذ (التحرير)
(٣) أى درجة (التحرير)
(٤) الكوكب السيار (التحرير)
(٥) فهو (التحرير)
(٦) لم نستطع الاهتداء إلى صواب المقصود (التحرير)
(٧) فهو مستقيم (التحرير)

(fol. 19 v.) باب فى معرفة تسوية البيوت الاثنى عشر

إذا أردت ذلك فخذ درجة الطالع التى هى ابتداء البيت الأول وضعها على خط وتد الأرض الذى هو خط الزوال ثم ادر الشبكة ساعتيْن حتى تقع درجة الطالع على آخر الساعة الثامنة ثم انظر أى درجة من البروج وقعت على خط وتد الأرض فهو ابتداء البيت الثانى ثم ادر الشبكة أيضاً ساعتين حتى تقع درجة الطالع على آخر الساعة العاشرة وانظر أى درجة من البروج وقعت على خط وتد الأرض فهى ابتداء البيت الثالث ثم ادر أيضاً ساعتين حتى تقع درجة الطالع على الأفق الشرقى ونظيرها على الأفق الغربى وانظر أى درجة وقعت على خط وتد الأرض فهى ابتداء البيت الرابع ثم ادر الشبكة ساعتيْن أيضاً حتى يقع نظير درجة الطالع على آخر الساعة الثانية وانظر أى درجة وقعت على خط وتد الأرض فهى ابتداء البيت الخامس ثم ادر أيضاً ساعتين حتى يقع نظير درجة الطالع على آخر الساعة الرابعة وانظر أى درجة وقعت على خط وتد الأرض فهى أيضاً ابتداء البيت السادس ثم ادر الشبكة أيضاً ساعتين حتى يقع نظير درجة الطالع على وتد الأرض وذلك النظير هو أول البيت السابع وتعرف ما بقى من البيوت بما ذكر منها وذلك البيت الثامن هو نظير البيت الثانى والتاسع نظير الثالث والعاشر (fol. 20 r.) نظير الرابع والحادى عشر نظير الخامس والثانى عشر نظير السادس .

تمت تسوية البيوت الإثنا عشر على الطالع المعلوم

باب تحويل سنى العالم(١) وسنى الموالد وطوالعها

إذا أردت أن تحول طالع سنة ما فخذ درجة طالع سنة قد خلت وضعها على الأفق الشرقى وعلم على موضع المرى فى الحجرة علامة ثم اعرف السنة

(١) العام (التحرير)

التى تريد تحويل طالعها إن كانت بعد السنة التى قد علمت طالعها فحرك المرى من موضع العلامة ثلاثا وتسعين درجة لكل سنة وإن كانت الثالثة فحرك المرى مثل ذلك العدد وكذلك تحركه من موضع العلامة لكل سنة تامة ثلاثا وتسعين درجة وإن كثرت السنون فاضرب عددها فى ثلاثة وتسعين واطرح ما اجتمع إذا واراحتى[1] تبقى أقل من ثلاث مائة وستين ثم حرك المرى من موضع العلامة مثل ذلك الباقى فاذا فعلت ذلك فما وقع على الأفق الشرقى من درجات البروج فتلك درجة طالع ذلك العام الذى تريد تحويله فان أردت أن تعلم كم بين وقت العام الخالى وبين الوقت الذى تحولت فيه السنة التى تريد من ساعات معتدلة فاعط لكل سنة تامة ست ساعات معتدلة وخمس ساعة فما اجتمع من ذلك من ساعات معتدلة أو أيام وساعات فزده على أصل السنة الأولى فما اجتمع ففى ذلك التاريخ يكون التحويل وإن أردت معرفة متى يكون ذلك بالساعات الزمانية من ليل أو نهار فاعرف درجة الشمس لذلك الأصل ونظيرها (fol. 20 v.) فاعلم بدرجة الشمس الساعة إن كانت ليلا أو نظيرها نهاراً إن شاء الله تعالى .

باب فى معرفة المشارق

ضع أى درجة شئت على الأفق الشرقى وتعلم ما وافق من السمت فهو سعة مشرقها فان وافق داخل دائرة الحمل فهو من المشرق الصيفية وإن وقع خارجها فهو من المشرق الشتوية إن شاء الله تعالى هذا باب ليس من الأصل .

كملت رسالة الاسطرلاب بحمد الله تعالى وحسن عونه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيراً أثيراً

(ميلس بيا كروزا)

---

(١) لم نهتد إلى المقصود من هذه العبارة (التحرير)

النزعة العلمية فى التراث العربى

كان للعرب أساليب يسيرون عليها فى الكتابة ، وقد أصابها تطور وتحور فهى فى صدر الإسلام غيرها فى العصر العباسى حين أخذ العباسيون يناصرون الحركات العلمية ويعملون على ازدهارها . وكان للثقافة الإغريقية والهندية والثقافات الأخرى التى أخذ العرب عنها أثر كبير على الأساليب . وكذلك كان للحديث وللأسس العلمية التى سار عليها (علماء الحديث) فى تحرى الأحاديث النبوية أثر فى إيجاد روح الدقة فى الكتابة وأسلوبها . ولسنا بحاجة إلى القول أن أصول المنطق الذى اقتبسه العرب عن اليونان دخل فى الأسلوب أيضاً ، فسيطر إلى حد على الكثيرين من العلماء ، فكانوا يسيرون فى كتاباتهم على قواعده وقوانينه ، وقد غلب على كثير منها روح علمى صحيح وإخلاص للحق والحقيقة .

ومن الطبيعى أن تختلف الأساليب باختلاف العلماء والباحثين ، فمن العلماء من كان يجمع فى أسلوبه بين الأدب والعلم ، ومنهم من كان طابعه الدقة والوضوح . وسار آخرون فى كتابة البحوث فى مختلف الفروع على أسس علمية تقرب من الأسس الحديثة ، فقد حوت من مظاهر الدقة فى التفكير والاستنتاج ما هو محل تقدير العلماء المحدثين . وسيتجلى لنا أن العرب عرفوا الطريقة العلمية الحديثة التى تعد من مبتكرات هذا العصر ، كما يتبين أن من العرب من سار عليها ومن سبق (بيكون Bacon) فى إدراكها ، بل من سما عليه ، إذ أدرك من عناصرها ما لم يدركه (بيكون) من بعده .

وكذلك سار بعض العلماء فى البحوث الدينية على أساس علمى ، فوضعوا الرسائل فى ذلك ، ووفقوا فى عرضها عرضاً رائعاً هو فى الواقع بداية للتأليف العلمى المنظم .

لقد امتاز العرب فى الجمع بين فروع العلوم والأدب وفاقوا فى هذا غيرهم . فنجد بين علمائهم من وقف على روائع الأدب وغاص فى دقائق العلم وجمع بينهما . ومن يطلع على كتاب الخوارزمى فى الجبر يجد أن المؤلف جمع بين الجبر والأدب وجعلها متممين أحدهما للآخر ، فالمادة الرياضية مفرغة فى أسلوب أخاذ لا ركاكة فيه ولا تعقيد ، ينم عن أدب رفيع وإحاطة بدقائق اللغة . ونظرة فى كتب البيرونى تبين كيف يتعانق الأدب والرياضيات بما فيهما الفلك والطبيعيات وليس أدل على ما قلت من كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم للبيرونى . فالأسلوب فى هذا الكتاب سلس خال من الإلتواء يخرج منه القارئ بثروتين : أدبية وعلمية . ويشعر بلذتين : لذة الأسلوب العلمى ولذة المادة العلمية .

ومنهم من جمع فى كتبه بين الأدب والنواحى الأخرى من المعرفة كالفلسفة والعلوم والتاريخ وغيرها . فالجاحظ مثلا كان له فضل على الأدب والفلسفة جميعاً « . . . ففى الأدب كان فضله ان أغزر معانيه وجعل له موضوعاً بعد أن كاد يكون شكلا بحتا . فتقرأ رسائله فتجدها ناصعة الأسلوب غزيرة المعنى ، لها موضوع ولها شكل . هذه رسالة فى القيان ، وهذه رسالة فى المعلمين ، وهذه رسالة فى الغناء ، حتى رسالة فى الهجاء استطاع أن يجعل لها موضوعاً علمياً ، بل لعلها أحسن رسائله لمن شاء أن يعرف أى العقلية العلمية والأدبية والفلسفية كانت تشغل الناس فى عصر الجاحظ . . . وفضله على الفلسفة أنه صاغها صياغة أدبية قريبة إلى الاذهان ، فهو يمزج كلام أرسطو بأشعار الجاهلين وقول الفلاسفة بأقوال الأدباء ويخرج من ذلك كله إلى نتيجة تلذ القارئ وتغذى العقـل . . . »

وكذلك أبو حيان التوحيدى إمتاز فى الجمع بين الأدب والحكمة وأصناف العلوم والمعارف ، وقد وفق فى ذلك مع المحافظة على الحقيقة فى أصدق مظاهرها .

وأرسل إلى الدكتور نيكل المستشرق التشيكى قبل تسعة عشر عاماً كتاباً قديماً فى الجبر لابن بدر . وقد عثر عليه فى مدريد . وبعد دراسته وجدت فيه

نظاماً وتسلسلا فى ترتيب البحوث وشروحاً ضافية المبادئ وإبداعاً فى حلول المسائل وعرض خطوات حلها عرضاً طريفاً فيه متاع فكرى ولذة عقلية .

ونظرة فى كتاب الفهرست لابن النديم نجد أنه سار على أسلوب خاص إقتصادى ، لا إطالة فيه ودون لغو أو مقدمات ، وهو يقول فى ذلك : « ... والنفوس تشرئب إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى العرض المقصود دون التطويل فى العبارات ... » وهو يأتى إلى الفكرة فيعرضها بلا موارية أو تمهيد . ويندفع إلى صميم الموضوع فى دقة وإيجاز وضبط و إحكام ، ويسيطر على ذلك كله روح علمى صحيح . وهذا ما يجعلنا نرى أن ابن النديم يتحرى الصدق فى كتابه العظيم ويسير فى أمانة النقل إلى أبعد الحدود . ومن يتصفح الكتاب ومقدمته يتبين له صحة ما ذهبنا إليه .

وكذلك امتاز أسلوب الفارابى بالايجاز والعمق . وقد اعترف له بذلك (كارادىفو) . والفارابى مبتكر لا مقلد . فقد أنتج عقله الخصب نظريات جديدة فيها ابتكار وفيها عمق . آلف بين عناصر الفكر اليونانى القديم ونزعات المسلمين الحديثة . واعترف (مونك Munk) بان العرب قد انتخبوا أرسطو وفضلوه على غيرة لأن طريقته التجريبية كانت أقرب إلى نزعاتهم العلمية من مذهب أفلاطون الخيالى ولأن منطقه كان سلاحاً نافعاً فى المسائل الخلافية القائمة بين المدارس اللاهوتية المختلفة . وكان ابن سينا يسير فى أسلوبه على أساس منطقى لأن المنطق على رأيه « ... الآلة العاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق به ، والموصلة إلى الاعتقاد الحق بإعطاء أسبابه ونهج سبله ... »

وفوق ذلك فأسلوبه علمى دقيق . يتجلى هذا فى تعريفه الحكمة وتقسيمها جاعلا المنطق آلة لها ، فعلى أصوله سار وعلى قواعده اعتمد فى بحثه ودرسه .

إن انغماس ابن سينا فى الحياة العامة وتعرضه لتقلباتها واندماجه فى صميم مجتمعه ورحلاته المتعددة — كل ذلك قد أثر فى آرائه ونظرياته فجعل فى فلسفته مسحة من العملية . وكانت أميل إلى الناحية العقلية منها إلى الناحية الروحية والتصوفية .

كان ابن سينا يقدس العقل ويرى فيه أعلى قوى النفس . والعقل يقاوم الوقوف ويعمل على الارتقاء ويقوى النفس . ولهذا قال ابن سينا بسلطان العقل . وقد تغلب هذا السلطان على سلطان الروح حتى أنه يرى فى العقل سبيلا إلى الوصول إلى الملكوت .

وخالف ابن سينا أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان فى كثير من النظريات والآراء فلم يتقيد بها ، بل أخذ منها ما وافق مزاجه وانسجم مع تفكيره وزاد عليه . وقال أن الفلاسفة يصيبون ويخطئون كسائر الناس . وهم ليسوا معصومين عن الزلل والخطأ . وهذا ما لم يجرؤ على التصريح به إلا النادر من الذين يملكون عقلا راجحاً وبصيرة نافذة واستقلالا فى التفكير . ولا شك فى أن موقف ابن سينا هذا يدل على شجاعته ونزعته إلى الإستقلال فى الرأى ورغبته فى التحرر العقلى فهو لا يتقيد بآراء من سبقه ، بل يبحث فيها ويدرسها ويُعمل فيها العقل والمنطق والخبرات التى اكتسبها . فانْ أوصلته هذه كلها إلى تلك الآراء أخذ بها وإنْ أوصلته إلى غير ذلك نبذها وبيّن فسادها .

وجعل ابن سينا للتجربة كذلك مكاناً عظيما فى دراساته وتحرياته ولجأ إليها فى طبه ، وتوصل عن طريقها إلى ملاحظات دقيقة . كما توفق إلى تشخيص بعض الأمراض وتقرير علاجها .

ولهذا لا عجب إذا رأيناه يحارب التنجيم وبعض نواحى الكيمياء بحجج العقل وحده . فخالف معاصريه ومن تقدموه فيما يختص بتحويل الفلزات الخسيسة إلى الذهب والفضة ونفى إمكان إحداث هذا التحويل فى جوهر الفلزات « . . . لأن لكل منها تركيباً خاصاً لا يمكن أن يتغير بطرق التحويل المعروفة . . . » وإنما المستطاع تغيير ظاهرى فى شكل الفلز وصورته . واحتاط ابن سينا فقال : « . . . وقد يصل هذا التغيير حداً من الاتقان يُظن معه أن الفلز قد تحول بالفعل وبجوهره إلى غيره . . . »

وتجلى سلطان العقل عند ابن سينا فى رأيه فى الخوارق ، ويذهب فى تعليله

لها إلى أسباب وأمور تجرى على قانون طبيعى يتصل بالجسم والنفس والعقل . كما يتجلى سلطان العقل فى شرحه معنى « العناية الإلهية » فهو — بعد أن تأمل فى نظام العالم — أدرك أن صانعه مدبر حكيم عالم بما عليه هذا الوجود من نظام الخير والكمال . وهذا فى رأيه معنى العناية الإلهية . فالظواهر الطبيعية إنما تحدث حسب القوانين الطبيعية التى وضعها الصانع الحكيم وقيّد الوجود بها . فالعناية الإلهية تعنى جريان القوانين الطبيعية فى العالم على أدق ما يمكن « . . . وليس معناها الاهتمام بالأفراد والشعوب . . . »

والإنسان فى رأى ابن سينا يقترب من الكمال إذا اتسعت معرفته بالوجود وأدرك حقائق العالم واستغرق فى تفهمها . ولا يتم ذلك إلاّ عن طريق الإرادة والعقل . وعلى الرغم من تقديس ابن سينا للعقل ومن إيمانه بسلطانه إلاّ أنه فى مواضع كثيرة يؤكد نقص العقل الإنسانى — وهذا النقص يجعله فى حاجة إلى القوانين المنطقية . ولهذا نرى أن ابن سينا قد اعتبر المنطق من الأبواب التى يدخل فيها إلى الفلسفة كما أنه الموصل إلى الاعتقاد الحق .

وكان ابن سينا يميل إلى التجدد والتحرر يدلنا على ذلك قوله : « . . . حسبنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء . وقد آن لنا أن نضع فلسفة خاصة بنا . . . » . وعالج ابن سينا موضوع السعادة وأتى بآراء تدل على تفاؤله وإيمانه بأن الخير موجود فى كل شىء . وهو لا يرى السعادة فى اتباع كل لذة بل يراها فى الخير والكمال . وكان يدعو إلى التجرد عن المادة وشواغلها للوصول إلى السعادة الحقيقية . ولا يعنى هذا أنه كان يدعو إلى الجمود والروحية البحتة . بل أنه كان يؤمن بالعقل والعلم ، وحسبه أن يعتقد أن السعادة القصوى لا تكون إلاّ عن طريق العلم . وكان لابن سينا مثل يهيم بها وقد سخر عقله ومواهبه الدعوة إليها . وكان يؤمن بالفكر ويقدسه كما كان كثير الثقة بالفطرة الإنسانية .

* * *

وفى علماء العرب من سار — فيما بعد — فى أسلوبه على أساس التوفيق

بين الشريعة والفلسفة كابن رشد ، وهو الذى كان يعتد بالنظر العقلى . وقد غالى فى هذا الاعتداد إلى درجة جعلته يجيز مخالفة الإجماع . وفى كتابه (تهافت التهافت) نراه يحث بقوة على معرفة الحق لصاحبه وشكره من أجله ، وعلى وجوب نبذ الهوى والتعصب بغـــير حق فذلك أجمل بالإنسان وأدعى إلى الإنصاف . وهو يحاول دائماً أن يفسر المعجزات والنبوة تفسيراً يطابق العقل والقوانين الطبيعية العامة . ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نرى ابن رشد يمتاز بالوضوح وكثرة التفاصيل والحرية فى العرض والتوسع فيه ورعاية العقل والوحى . لقد أطلع (بيكون) على مؤلفات ابن رشد ودرسها دراسة عميقة واستفاد منها فوائد جليلة كان لها أثر كبير فى نتاجه واتجاهات تفكيره . وكان معجباً بابن رشد إعجاباً دفعه إلى الاعتراف بأن « . . . ابن رشد فيلسوف متين متعمق . صحّح كثيراً من أغلاط الفكر وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى عنها بسواها . وأدرك كثيراً مما لم يكن قبله معلوماً لأحد . وأزال الغموض من كثير من الكتب التى يتناولها بحثه . . . »

واشتهر ابن رشد بالنقد . وكان أثره بالغاً عند اليهود والمسيحيين . فقد نقد شروح اسكندر فردوس واغستيوس . وكذلك نقد ابن سينا وهاجمه وردّ على الفارابى والغزالى . وكان شديداً فى نقده ورده قاسى اللهجة . ولكن القلم سما به فى هذا إلى أعلى درجات الكمال الفكرى .

لقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكاملها وكان من حسناتها أن حلّتْ عقال الفكر الأوروبى وفتحت أمامه أبواب البحث والمناقشة على مصاريعها . وعلى ذلك « . . . لم يكن من المستغرب أن يعجب مفكرو القرون الوسطى بشروح ابن رشد وبإصابة آرائه . . . » وهكذا نشأ مذهب الرشدية للأخذ بالعقل عند البحث ، وعدم الاعتماد على الروايات الدينية .

كان ابن رشد مخلصاً للحق إلى أبعد الحدود ، يسعى إلى الحقيقة ويعمل جاداً على الوصول إليها والأخذ بها دون اعتبار القائل أو الدين . وكان يدعو

إلى قبول الآراء الصحيحة سواء جاءت من مسلم أو غير مسلم . فقال فى هذا الشأن فى كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال : « . . . يجب علينا إذا ألقينا لمن تقدمنا فى الأمم السالفة نظراً فى الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك وما أثبتوه فى كتبهم . فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم . وعلينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا فى ذلك . . . وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا فى الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة . . . » ويرى كثيرون من الفلاسفة وأعيان الفكر أن فلسفة ابن رشد تركت أكبر الأثر فى أوروبا وأخرجتها من ظلمات التقليد إلى نور العقل والفكر . ولهذا نجدهم يضعونه مع أفلاطون وأرسطو وكانت فى صف واحد فى الفلسفة العقلية .

ويتبين من الآراء التى بثها فى كتبه أنه كان بعيداً عن التصوف ، يتقيد بالعقل ولا يسير إلاّ على هداه . وكان من ذلك أن اصطدم بوجهة النظر الدينية فى بعض المسائل فنشأ عداء بينه وبين رجال الدين أدى إلى اضطهاده فى أواخر أيام حيـــاته .

* * *

ومن أساليب العرب ما يمتاز بطابع خاص هو الإخلاص للحق والحقيقة ، والدعوة إلى ذلك وإلى جعل البرهان دليلا شاهداً . ولقد تضمنت بعض الرسائل القديمة نصائح وإرشادات إلى الكتاب ليسيروا عليها حين الكتابة هى فى الواقع الأساس الذى يجب أن يسلكه أصحاب الأقلام فى كل زمان .

ومن الطريف أن الدعوة إلى الإنصاف وإلى الحق والصدق والمعرفة كانت تدخل فى مقدمات الكتب القديمة . جاء فى أول كتاب الرسالة العذراء لابراهيم ابن المدبر ما يلى : « . . . فتق الله بالحكمة ذهنك وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك وشرف به بيانك . . . »

وابتدأ الجاحظ كتابه الشهير الحيوان بما يلى : « . . . جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسباً وبين الصدق سبباً وحبب إليك التثبت وزين فى عينك الإنصاف وأذاقك حلاوة التقوى وأشعر قلبك عز الحق وأودع صدرك البر واليقين وطرد عنك ذل اليأس وعرّفك ما فى الباطل من الذلة وما فى الجهل من القلة . . . »

وقال ابن الهيثم فى مقدمة كتابه المناظر ، بأن غرضه فى جميع ما يستقريه ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهوى) وأنه يتحرى فى سائر ما يميزه وينتقده (طلب الحق لا الميل مع الآراء) حتى يظفر بالحقيقة ويصل إلى اليقين.

وقد بيّن ابن الهيثم أن من الغايات التى توخاها فى تصنيف الكتب والرسائل إفادة من يطلب الحق ويؤثره فى حياته وبعد مماته .

وفوق ذلك يتجلى لنا من مصنفاته أنه كان متواضعاً منصفاً دفعه إخلاصه للحق إلى الاعتراف بالفضل لذويه ، وتقدير العلماء السابقين حق التقدير . وقد ذكر البيهقى أن ابن الهيثم قال : « . . . إذا وجدت كلاماً حسناً لغيرك فلا تنسبه إلى نفسك واكتف باستفادتك منه . . . »

وذهب بعض الكتاب إلى أكثر من هذا فجاؤوا بالصفات التى يجب أن يتحلى بها والشروط التى عليه أن يتقيد بها . وقد وردت هذه بالتفصيل فى كتاب (الرسالة العذْراء) .

ومن العلماء الذين امتازوا بروح علمى صحيح البيرونى . وهو من اكبر الباحثين الذين تركوا مآثر خالدة فى العلوم والتاريخ ساح فى الهند أربعين عاماً بقصد البحث والدرس وخرج من ذلك بوقوفه على علوم الهند وفلسفتها وقد استطاع أن يسدى إلى اللغة العربية خدمة جليلة إذْ أكْسبها مرونة على التعبير عن دقائق التفكير الهندى .

كان البيرونى باحثاً مخلصاً للحقيقة والحق نزيهاً . وقد بيّن أن التعصب عند الكتاب هو الذى يحول دون تقريرهم للحق . يتجلى ذلك فى مقدمة كتابه

النفيس القيم (الآثار الباقية عن القرون الخالية) حيث يقول « . . . وبعد فقد سألنى أحد الأدباء عن التواريخ التى تستعملها الأمم والاختلاف الواقع فى الأصول التى هى مبادئها والفروع التى هى شهورها والأسباب الداعية لأهلها إلى ذلك . وعن الأعياد المشهورة والأيام المذكورة للأوقات والأعمال . . . » إلى أن يقول « . . . وأبتدئ فأقول إن أقرب الأسباب إلى ما سئلت هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية لأن أكثرها أحوال عنها ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم ولا سبيل إلى التوسل إلى ذلك من جهـة الاستدلال بالمعقولات ، والقياس بما يشاهد من المحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل المستعملين لذلك وتصيير ما هم فيه أساً ، يبنى عليه بعده ، ثم قياس أقاويلهم وآرائهم فى إثبات ذلك بعضها ببعض بعد تنزيه النفس عن العوارض المردئة لأكثر الخلق والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق وهى كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك . . . »

ويتبين من الآثار التى خلّفها البيرونى فى مختلف ميادين العلوم ومن كتابه الشهير الآثار الباقية إنه كان باحثاً دقيق الملاحظة وناقداً صائب النقد يعتمد على المشاهدة ولا يأخذ إلاّ ما يوافق العقل . يكتب رسالاته وكتبه مختصرة ومنقحة وبأسلوب مقنع وبراهين مادية .

وقد انتقد البيرونى المنهج الذى أتبعه الهنود لأنه على رأيه غير علمى وحافل بالأوهام . واستطاع بأسلوبه أن يبين أحسن بيان وجوه التوافق بين الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية والحكمة الهندية والكثير من مبادئ الصوفية . ويمكن القول أن البيرونى يرى (أن العلم اليقينى لا يحصل إلا من إحساسات يؤلف بينها العقل على نمط منطقى) . وهذا هو الذى سيطر على طريقة البيرونى . ومن هنا كان ينهج نهجاً علمياً تتجلى فيه دقة الملاحظة والفكر المنظم .

والبيرونى يمثل رغبة عصره فى نقد الأمـــور والجرأة فى الرأى . ويقول المستشرق شخت : « . . . والحق أن شجاعة البيرونى الفكرية وحبه للاطلاع

العلمى وبعده عن التوهم وحبه للحقيقة وتسامحه وإخلاصه — كل هذه الخصال كانت عديمة النظير فى القرون الوسطى ، فقد كان البيرونى فى الواقع عبقرياً مبدعاً ذا بصيرة شاملة نافذة . . . »

وللبيرونى فوق ذلك رسالة سامية كانت تتجلى فى ثنايا مؤلفاته وكتبه ومن سياحاته وسلوكه ، فهو يرى فى وحدة الإتجاه العلمى فى العالمين الإسلامى والغربى إتحاد الشرق والغرب وكأنه كان يدعو إلى إدراك وحدة الأصول الإنسانية والعلمية بين جميع الشعوب فى عالم واحد . وهو يؤمن بإنسانية العلم والوحدة الشاملة التى يؤدى إليها العلم فيوحد بين العقول ويزيل التنافر بينها ويقرب بعضها من بعض ويدعو إلى التفاهم على أساس المنطق والحقيقة .

* * *

وما دمنا فى صدد الاخلاص للحق وتوخى الحقيقة والدقة العلمية لا بد لنا من الإشارة هنا إلى الطرق التى أتبعها علماء الحديث فى الوصول إلى تمييز الحديث الموضوع من الحديث الصحيح . فقد وضع جماعة منهم طرقاً وقواعد للتوصل إلى الحقيقة فى الحديث « تتفق فى جوهرها واتجاهها والأنظمة التى كشفها علماء أوروبا فيما بعد فى بناء علم الميثودولوجية . . . »

وللقاضى عياض رسالة فى علم المصطلح هى أنفس ما صنف فى مجموعها « وقد سما بها القاضى إلى أعلى درجات العلم والتدقيق » ويعترف الدكتور رستم بفضلها فيقول : « . . . وعلى الرغم من مرور سبعة قرون عليها فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ فى أوروبا وأميركا أن يكتبوا أحسن منها فى بعض نواحيها . وإن ما جاء فيها من مظاهر الدقة فى التفكير والاستنتاج تحت عنوان ، تحرى الرواية والمجئ باللفظ ، يضاهى أدق ما ورد فى الموضوع نفسه فى أهم كتب الإفرنج فى المانيا وفرنسا وأميركا وانكلترا . . . »

وقد ثبت أن المسلك الذى أتبعته العرب فى تنقية الحديث وتمييز صحيحه من موضوعه قد أثر إلى حد فى أساليب العلماء إذْ أبانَ لهم أهمية إتباع الطرق

التى تؤدى إلى الحق ، كما أوضح لهم منهاجاً دقيقاً للسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال . وكذلك كان للأساليب التى أتبعها علماء الحديث فضل كبير على التاريخ . « وأصبحت القواعد التى ساروا عليها فى تحرى الحقيقة هى المعوّل عليها لدى المؤرخين المعاصرين » ومحل تقديرهم وإعجابهم .

* * *

وسار المعتزلة فى أسلوبهم على أساس العقل وكان العقل مقياسهم ، وهذا ما جرد كتاباتهم وآراءهم من الأساطير الخرافية ، وفى أقوال بعض المتكلمين من المعتزلة نجد ما يدل على أنهم قد وضعوا الأسس التى بنى عليها فيما بعد (علم البحث والمناظرة) . روى الإصفهانى قال « . . . إجتمع متكلمان . فقال أحدهما : هل لك فى المناظرة ؟ فقال على شرائط ألا تغضب ، ولا تعجب ، ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ولا تجوز لنفسك تأويل مثلها على مذهبى ، وعلى أن تؤثر التصادق وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلا منا يبقى مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته . . . » أليس فى هذه الأقوال الجامعة ما يتجلى الروح العلمى الصحيح الذى كان له أكبر الأثر فى أسلوب الكثيرين من الفلاسفة والعلماء مما جعل هؤلاء يتوخون فى كتاباتهم الحقيقة ، والوصول إلى الحق ، ويلجأون فى سبيل ذلك إلى السير على أساس علمى دقيق .

لقد سار النظام — وهو ذو عقلية قوية سابقة لزمنها — كما يقول الأستاذ أحمد أمين — فى كتاباته على الشك والتجربة . وهما الركنان اللذان سببا النهضة الحديثة فى أوروبا ، فاعتبر الشك أساساً للبحث . وقد قال فى هذا الشأن : « الشاك أقرب إليك من الجاحد . ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك . ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك . . . » .

وعلى ذكر الشك نذكر قولا لأبى هاشم البصرى وهو (الشك ضرورى لكل معرفة)

واستخدم النظام التجربة كما يستخدمها الآن الطبيعى والكيميائى فى مختبره . وجاء فى كتاب الحيوان للجاحظ ذكر تجارب كثيرة للنظام فى الحيوان وغير الحيوان لا يتسع المجال لعرضها . وقد عرضناها بشئ من التفصيل فى بعض مؤلفاتنا . وهذه التجارب هى أمثلة على البحث العلمى والتجربة الصحيحة القائمة على الدقة والمنطق .

ووضع النظام منهجاً بديعاً للدرس ، فهو ينقد من يسير فى تعلمه على طريقة حشو المعلومات فى الذهن ، وأنه ينبغى على طالب العلم أن يتخير من الكتب الجيد المنتقى ، لأن العلم ليس فى جمع الكتب وحفظ ما فيها دائماً هو بالتعقل .

وجاء الجاحظ بعد النظام وسار على غراره فى منهج البحث وتحرير العقل وفى الشك والتجربة قبل الإيمان واليقين . قال الجاحظ : « . . . تعلم الشك فى المشكوك فيه تعلماً ، فلو لم يكن الاّ تعرف التوقف ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه . . . » ويأتى بعد ذلك التفريق بين العوام والخواص فى التفكير فيقول : « . . . والعـــوام أقل شكوكاً من الخواص لأنهم لا يتوقفون فى التصديق ولا يرتابون بأنفسهم ، فليس عندهم إلا الإقدام على التصديق المجرد أو على التكذيب المجرد . . . »

قال بسلطان العقل ، لا يسلم بشئ إلاّ إذا إستساغه العقل ، فالأدب عنده خاضع للنقد وكذلك فلسفة أرسطو وغـيره من فلاسفة اليونان . حتى الحديث نقده ولم يقبل الأخذ به إلاّ على أساس العقل . وإذا اختلف الناس فالحكم للعقل لا لغيره . ومن يطلع على كتابه الشهير الحيوان يتبين له صحة ما ذهبنا إليه وأنه هاجم رجال الحديث لأنهم على رأيه جماعون لا يشغلون عقولهم . وقد قال عنهم : « . . . ولو كانوا يروون الأمور مع عللها وبرهاناتهـا خفت المؤونة ، ولكن أكثر الراويات مجردة ، وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ودون الإخبار عن البرهان . . . »

وفى هذا الكتاب تتجلى دقة الملاحظة والتمحيص ، فهو يلجأ إلى التجربة

ليتحقق من صحة نظرية أو رأى من الآراء . يجرب بنفسه فى الحيوان والنبات ويشك ويستمر فى الشك بل ويدعو إليه حتى تثبت صحة النظريات والآراء . وكان يفضل التجربة على كل نقل . ولا يأخذ بقول أحد حتى يتحقق ذلك بنفسه والأمثـــلة على ذلك عديدة فى كتاب الحيوان . وكان يجرى فى تفسيره للظواهر والطبائع حسب المعقول وطبائع الأشياء . وأبانَ صراحة بأن العقل الصحيح يجب أن يكون أساساً من أسس التشريع .

وظهر من علمــاء العرب من دعى إلى الدقة فى العمل وإجراء التجارب والاحتياط فى الاستنتاج . من هؤلاء جابر بن حيان من أعلام علماء العرب الذين أسدوا أجل الخدمات إلى الكيمياء والعلوم الطبيعية .

لقد دعى جابر إلى الاهتمام بالتجربة وحث على إجرائها مع دقة الملاحظة . كما دعى إلى التأنى وترك العجلة وقال إن واجب المشتغل فى الكيمياء هو العمل وإجراء التجربة وأن المعرفة لا تحصل إلا بها . وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية أن لا يحاولوا عمل شيء مستحيل أو عديم النفع . وعليهم أن يعرفوا السبب فى إجراء العملية وأن يفهموا التعليمات جيداً : « لأن لكل صنعة أساليبها الفنية » على حد قوله . وطالبهم بالصبر والمثابرة والتأنى باستنباط النتائج . وكان لجابر هذا فضل كبير على من أتى بعده من كيميائى العرب والمسلمين حتى أن بعض العلماء إعتبر الكتابة غير دقيقة إن لم تسبقها تجارب . قال الجلدكى عن الطغرائى : « . . . كان الطغرائى رجلا على جانب عظيم من الذكاء ولكنه لم يعمل إلاّ قليلا من التجارب وهذا أمر يجعل كتاباته غير دقيقة . . . »

ومن علماء العرب الذين اشتهروا بالتدقيق حين البحث فى النبـات رشيد الدين ابن الصورى . فقد كان يستصحب معــه مصوراً (حين البحث عن الحشائش فى منابتها) ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها .

* * *

وننتقل الآن إلى الدستور الذى وضعه بعض علماء العرب للبحث العلمى

والفلسفى ، وقد ورد فى رسائل إخوان الصفاء . لقد وصف بعض العلماء المحدثين بأن هذا الدستور محكم ورائع . ويرى الباحثون أنه وليد المنطق الذى اقتبسه العرب عن اليونان ويدللون على ذلك بالمقارنة بين مواده والمقولات العشر المسماة عند اليونان (قاطيفورياس) . فلقد شرح الأستاذ مظهر فى مقال ظهر له فى كتاب (نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية) أبواب دستور البحث العلمى ، ثم أعقب ذلك بشرح المقولات فثبت له « أن أسلوب البحث عند أسلافنا أصله يونانى أو بالحرى مستمد من أصل يونانى » . ولا يخفى أن ليس فى هذا ما يضير أو ينقص من قدر العرب العلمى فالإنسان دائماً وأبداً يأخذ ما عمله غيره ويزيد عليه إذا استطاع . وزيادات العرب فى هذا الميدان أساسية وذات قيمة وأهميـــة .

ومن الرسالة السابعة من رسائل إخوان الصفاء التى تبحث فى الصنائع العلمية يتبين أن العرب إتبعوا دستوراً محكماً فى البحث العلمى ينحصر فى تسعة أحكام . وها هى كما وردت فى الجزء الأول :

السؤال الأول : هل هو ؟ يبحث عن وجـدان شيء أو عدمه والجواب نعم أو لا .

السؤال الثانى : ما هو ؟ يبحث عن حقيقة الشيء .

« الثالث : كم هو ؟ « فى مقدار الشيء .

« الرابع : كيف هو ؟ « عن صفة الشيء .

« الخامس: أى شيء هو ؟ « عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .

« السادس: أين هو ؟ « عن مكان الشيء أو عن رتبته .

« السابع : متى هو ؟ « عن زمان كون الشيء .

« الثامن : لم هو ؟ « عن علة الشيء المعلول .

« التاسع : من هو ؟ « فى التعريف للشيء .

وتدل هذه الأسئلة على الاتجاه العلمى الذى كان يسير عليه بعض علماء

العرب فى بحوثهم وكتاباتهم . وهو يحصر اتجاهات العقل « . . . ولكن لا يقر المتجه الذى ينبغى أن يتجه فيه العقل إزاء كل بحث بعينه . . . »

ولا يقف الأمر عند هذه الحدود ، بل نجد أنه وجد فى العرب و بين علمائهم من كشف عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن والتى تميز هذه الحضارة عن التى سبقتها . وقد جعلنا بحثنا يدور حول السؤال الآتى :

هل وجد فى العرب من سار على الطريقة العلمية وسلك فى أصولها ؟

ما كنت أظن أن للعرب أثراً فى كشف عناصرها والتمهيد إلى أصولها حتى بحثت فى مآثر العرب فى الفيزياء وأطلعت على كتاب (الحسن بن الهيثم : بحوثه وكشوفه البصرية للأستاذ مصطفى نظيف) .

ويشتمل هذا الكتاب النفيس القيم على بحوث علم الضوء الموجودة فى كتاب المناظر لابن الهيثم وفى مقالات أخرى . وقد أخذها الأستاذ مصطفى نظيف وتبين النظر واتجاهات التفكير فيها و بعد أن درسها ومحصها وأعمل فيها التحليل والموازنة والمناقشة ثبت له أن ابن الهيثم « . . . قد توافرت فيه (مميزات التفكير العلمى الصحيح) وهى تدل على مدى نضج الفكر وعمق النظر فى عصر ابن الهيثم .

والواقع أنه لم يخطر ببالى أن الطريقة العلمية الصحيحة قد عرفها ابن الهيثم على النحو الذى وردت فى بحوثه فى الضوء .

وأرى قبل التدليل عليها أن ألفت النظر إلى أن علماء العرب لم يتوسعوا فى الطريقة ولم ينقلوها على النحو الذى توسع فيها واستغلها علماء أوروبا وأميركا الآن ، كما أنهم لم يدركوا ما لهذا الأسلوب من شأن خطير ، كما أدركه علماء هذا العصر . ولكن يمكن القول أن كتاب المنـاظر لابن الهيثم يدل على أنه وجد فى العرب من سار فى بحوثه على الطريقة العلمية ، كما وجد بين علمائهم من سبق بيكون Bacon فى إنشائها ، بل ومن زاد على طريقته التى لا تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة فى البحوث العلمية .

أما العناصر الإسلامية فى طريقة البحث العلمى الحديث فهى : الاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة أو التجربة والتمثيل .

ولقد أدرك ابن الهيثم الطريقة المثلى وقال بالأخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل وضرورة الإعتماد على الواقع الموجود على المنوال المتبع فى البحوث العلمية الحديثة . ففى كتاب المناظر عند البحث مثلا فى كيفية الإبصار واختلاف العلماء فيه يقول : « . . . ونبتدى فى البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتميز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر فى حال الإبصار وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس . ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والتدريب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه إستعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء . . . » إلى أن يقول : « . . . ولعلنا ننتهى بهذا الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر ونصل بالتدرج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين وتظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف وتنحسم به مواد الشبهات . . . وما نحن مع ذلك براء مما هو فى طبيعة الإنسان من كدر البشرية . ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية . ومن الله نستمد العون فى جميع الأمور . . . »

ومن أقواله هذه تتجلى لنا الخطة التى كان يسير عليها فى بحوثه ، وإن غرضه فى جميع ما يستقريه ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهوى) . وبعد ذلك نراه رسم الروح العلمية الصحيحة وبين أن الأسلوب العلمى هو فى الواقع مدرسة للخلق العالى فقواعده التجرد عن الهوى والإنصاف بين الآراء فيكون قد سبق علماء هذا العصر فى كونه لمس المعانى وراء البحث العلمى الحديث . وكان يرى فى الطريق المؤدى إلى الحق والحقيقة (ما يثلج الصدر) على حد تعبيره — وهذا ما يراه باحثو هذا العصر من رواد الحقيقة العاملين على إظهار الحق . فإن وصلوا

إلى ذلك فهذا غاية ما يبغون ويؤملون . . . وابن الهيثم فى طريقته العلمية التى اتبعها فى بحوثه وكشوفه الضوئية قد سبق (Bacon بيكون) فى طريقته الاستقرائية . وفوق ذلك سما عليه . وكان أوسع منه أفقاً وأعمق تفكيراً . وهو وإن لم يعن كما عنى (بيكون) بالتفلسف النظرى و بتأليف المؤلفات التى يعرض فيها الآراء النظرية فى طرق البحث ويُلزم العلماء بها إلزاماً فحسبه أنه اتبع الطريقة الصحيحة فى بحوثه وجرى عليها عملا وفعلا . وإن الأمر جاء منه عن بينة وروية وإمعان فكر وحسن تقدير .

ويذهب الأستاذ مصطفى نظيف إلى أكثر من هذا فيقول : « . . . بل وإن ابن الهيثم قد عمق تفكيره إلى ما هو أبعد غوراً مما يظن أول وهلة ، فأدرك ما قال به من بعده (ماك) و (كارل بيرسون) وغيرهما من فلاسفة العلم المحدثين فى القرن العشرين . أدرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية وأدرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث . ويمكن القول أنه من نصوص أقوال ابن الهيثم يتبين أن تفكيره اتجه إلى الوجهة التى يتجه إليها التفكير العلمى الحديث « . . . وأنه ليس من المغالاة أيضاً القول أنه قد أدرك عن بينة الطريقة الحديثة فى البحث العلمى وأدرك الأوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية . . . »

وفعلا سلك ابن الهيثم فى بحوثه الطريقة الحديثة فى البحث . وقد وصل بسلوكه إلى الحقيقة التى ينشدها بالمعنى الذى رآه . وهذا يتجلى بأجلى بيان وأبلغ صورة فى الكتاب النفيس « الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية » تأليف الأستاذ مصطفى نظيف .

ومن الحق أن أشير إشارة بسيطة إلى موضوعات كتاب المناظر . فلقد استدل ابن الهيثم فى جميع بحوثه فى الضوء على القواعد والقوانين الأساسية بتجارب واستعان بإجراء التجارب بالمعنى الذى نعنيه الآن . وذهب إلى أبعد من ذلك فقد أدرك قيمة التجربة فى البحوث العلمية « فهو لا يعتمد على التجربة فى إثبات القواعد أو القوانين الأساسية فحسب ، بل يعتمد عليها أيضاً فى إثبات النتائج التى تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد والقوانين . . . »

ومن ميزات ابن الهيثم أنه كان يشرح الجهاز وبيّن وظيفة أجزائه المختلفة ، واستعمل أجهزة مبتكرة لشرح الانعكاس والانعطاف . وتدل تجاريبه وحساباته أنه استطاع أن يجمع بين مقدرته الرياضية وكفايته العلمية الممتازة « . . . يدل عليها صنع الأجهزة واستعمالها فى الأغراض المختلفة . . . »

وكذلك يمتاز كتاب المناظر بعناية ابن الهيثم بالقياس . فهو بعد أن يثبت المبادئ الأولية بالتجربة يتخذ تلك المبادئ قضايا يستنبط منها بالقياس النتائج التى تفضى إليها ، ويشرح على هذا النمط كثيراً من الظواهر الهامة فى الضوء .

ويتبين من بحوث الكتاب أيضاً أن ابن الهيثم ادرك قيمة التمثيل فى البحوث العلمية ، ولهذا إستعان به فى بعض المواضع وكان فيها موفقاً وفى بعضها كان متبكراً وملهما . والذى نستلخصه من مآثر ابن الهيثم ونتاجه الفكرى ، أنه سلك فى البحث سبيلا تتوافر فيــه خصائص البحث العلمى . وقد خرج الأستاذ مصطفى نظيف من دراسته بحوث ابن الهيثم فى الضوء بالقول الآتى : « . . . ليكن ابن الهيثم قد استفاد بمعلومات من تقدموه وبحوث من تقدموه ، فقد استفاد حتما طوعاً أو كرهاً ، ولكنه أعاد البحث عن كل هذه الأمور من جديد ، ونظر فيها جميعاً نظراً جديداً لم يسبقه إليه أحد من قبله . واتجه فى هذا النظر وجهة جديدة لم يولها أحد من المتقدمين . وأصلح الأخطاء وأتم النقص وابتكر المستحدث من المباحث وأضاف الجديد من الكشوف ، وسبق فى غير قليل من ذلك الأجيال والعصور . واستوفى البحث إجمالا وتفصيلا ، وسلك فى البحث سبيلا تتوافر فيــه خصائص البحث العلمى ، مع ما فى هذه الطرق من قصور ومع ما فيها من ميزات . واستطاع أن يؤلف من كل ذلك وحدة مترابطة الأجزاء على قدر ما كان يمكن أن ترتبط به أجزاؤها فى عصره . إن وجدنا فيها عيباً أو نقصاً فتلك سنة الله فى المباحث العلمية . وهو فيها لم يبدع ولم يبتكر فحسب بل هو أيضاً أقام بها الأسس التى انبنى عليها صرح علم الضوء من بعده . . . » .

مصادر المقال

١ — الخوارزمى (محمد بن موسى) :
الجبر والمقابلة (تحقيق على مصطفى مشرف ومحمد مرسى أحمد — القاهرة ١٩٣٧)
٢ — البيرونى :
الآثار الباقية عن القرون الخالية (ليبزغ سنة ١٨٧٩)
التفهيم لأوائل صناعة التنجيم (مخطوط من تطوان)
٣ — الجاحظ :
البيان والتبين (تحقيق السندوبى — القاهرة ١٩٣٦)
الحيوان (القاهرة — ١٣٢٣ هـ)
البخلاء
٤ — شفيق جبرى :
الجاحظ معلم العقل والأدب
٥ — ابن سينا :
النجاة (القاهرة ١٩٣٨)
حى بن يقظان (القاهرة سنة ١٩٥٢)
٦ — ابن بدر :
اختصار فى الجبر والمقابلة (مخطوط من مدريد)
٧ — ابن النديم :
الفهرست (القاهرة ١٣٤٨ هـ)
٨ — ابن الهيثم :
المناظر (تنقيحها للفارسى — مخطوط)
٩ — مصطفى نظيف :
الحسن بن الهيثم (القاهرة — ١٩٤٣)
محاضرات ابن الهيثم التذكارية : المحاضرة الأولى
« « « « « الرابعة
« « « « « الخامسة
١٠ — جواشون :
فلسفة ابن سينا (نقله لاوند — بيروت ١٩٥٠)
١١ — جميل صليبا :
من أفلاطون إلى ابن سينا
١٢ — أسد رستم :
مصطلح التاريخ (بيروت — ١٩٣٩)

١٣ — ازفلد كولية :
المدخل إلى الفلسفة (ترجمة أبو العلا عفيفى — مصر ١٩٤٢)
١٤ — جولدتسيهر :
المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن (ترجمة على حسن عبد القادر مصر — ١٩٤٤)
١٥ — دى بور :
تاريخ الفلسفة فى الإسلام (ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة — القاهرة ١٩٣٨)
١٦ — سارطون :
مقدمة لتاريخ العلم ثلاثة أجزاء (برنستون ١٩٣١ ، ١٩٤٧)
١٧ — عبد الحميد حمدى :
محاضرات ابن الهيثم التذكارية (المحاضرة الثالثة — جامعة القاهرة)
١٨ — الفارابى :
كتاب ما ينبغى أن يقدم قبل تعليم الفلسفة
١٩ — رسالة فى العقل (بيروت ١٩٣٨)
٢٠ — قدرى حافظ طوقان :
محاضرات ابن الهيثم التذكارية (المحاضرة السابعة ١٩٤٥)
الخالدون العرب (دار العلم للملايين — ١٩٥٤)
تراث العرب العلمى (الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٥٤)
٢١ — مصطفى عبد الرازق
تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (مصر)
٢٢ — مقالات فلسفة قديمة (نشرها الآباء اليسوعيون فى بيروت)
٢٣ — رسائل إخوان الصفاء (طبعة سنة ١٩٢٨)
٢٤ — ابن رشد :
تهافت التهافت
٢٥ — أحمد أمين :
ضحى الإسلام (الجزء الثالث)
٢٦ — إبراهيم بن المدبر :
الرسالة العذراء (تصحيح وشرح الدكتور مبارك سنة ١٩٣١)

الدكتور قدرى حافظ طوقان

نصوص سياسية

عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين

أى من ٥٢٠ / ١١٢٦ إلى ٥٤٠ / ١١٤٥

أقدم فى الصفحات التالية مجموعة ثالثة من تلك الوثائق الهامة التى أختارُها من المخطوطين اللذين يحملان رقمى ٤٨٨ و ٥٣٨ بين مخطوطات القسم العربى من مكتبة الإسكوريال . وقد سبق أن وصفت هذين المخطوطين فى مقدمة المجموعة الأولى التى نشرتها فى مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (مجلد ١١ جزء ديسمبر ١٩٤٩) ودَلَّلْتُ على إصالة النصوص الواردة بهما وأهميتها كوثائق تاريخية يمكن التعويل عليها ، وأكدت ذلك مرة أخرى فى مقدمة المجموعة الثانية التى نشرتها بصحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد (مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ ص ٥٨ و ٥٩) ، ولهذا فلا أجد ما يدعو لتوكيد ذلك مرة أخرى بين يدى هذه المجموعة التى تتفضل صحيفة المعهد بنشرها بين دفتى هذا المجلد الثالث — الجزء الأول — من مجلداتها ، وسأكتفى فى هذا المقال بأن أنشر صورتين شمسيتين إحداهما لصفحة العنوان من المخطوط رقم ٥٣٨ والأخرى للصفحة التى يقرر فيها محمد بن أحمد بن عبد الله . . . بن سِيد الناس اليَعْمرى أنه كتب ما فى المخطوطة رقم ٤٨٨ بخط يده ، وأنه سمع بعضه على الشيخ الفقيه الأستاذ أبى على عمر بن محمد بن عمر الأزدى الشهير بابن الشلوبين ، وإقرار هذا العلامة الأخير بذلك بخط يده .

والمجموعة التى أقدمها فيما يلى تتكون من تسع قطع رأيت أن أختم بها المجموعة السياسية من هذه الوثائق ، وتبقى بعد ذلك مجموعة أخيرة من ست رسائل إخوانية ذات أهمية تاريخية كبيرة ، نظراً لما فيها من الإشارات ذات

المغزى ، وما تكشف عنه من حقائق تتعلق بالحالة النفسية للناس وإحساسهم في ذلك العصر الذى لا نكاد نعلم عنه إلا الهيكل الخارجي لحوادثه التاريخية ، دون أن يكون لدينا ما يلقى ولو بصيصاً من النور على حياة الناس وأحاسيسهم ، وهى تزيد فى الأهمية على الهياكل الرئيسية للحوادث .

وهذه الوثائق ليست كلها فى موضوع واحد ، إذ ليس فى المخطوطين أكثر من أربع وثائق فى موضوع بعينه ، وجميع ما فيهما فى الغالب صور متفرقة من وثائق سياسية ، أو نماذج أوامر ، أو خطابات رسمية ، أو مكاتبات إخوانية ذات قيمة تاريخية أدبية . والجامع الوحيد بين القطع التى أقدمها فى كل مرة هو أنها تلقى ضوءاً كاشفاً على ناحية بعينها : سياسية أو اجتماعية أو فكرية من تاريخ الأندلس ، ومجموعة هذه المرة بالذات تتعلق بفترة معينة لا نكاد نملك عنها شيئاً من قريب ، فهى فترة مضطربة تَقَلْقَلَ فيها كل شئ فى الأندلس الإسلامى حتى أشفى مرة أخرى على الزوال ، وزاد الأمر حرجاً أن الأمور فى المغرب اضطربت اضطراباً دام نحو العشرين سنة ، حتى استقر الأمر للموحدين فعاد النظام إلى المغرب وإلى الأندلس تبعاً لذلك ، وأعنى بذلك فترة انتقال السلطان فى المغرب الإسلامى من المرابطين إلى الموحدين .

وهذه الفترة — على عكس غيرها من فترات الفتن والاضطراب — تبدو للناظر من بعيد وكأنها واضحة المعالم ، لأنها قصيرة الأمد من ناحية ، ولأن الحظ أسعفنا بطائفة طيبة من المعلومات عنها أوردها مؤرخون مجيدون يوثق فى كلامهم إلى حد بعيد من ناحية أخرى ، كأبى مروان بن صاحب الصلاة فى « المن بالإمامة » ، وابن عذارى فى مطالع الجزء الرابع من تاريخه الذى نشره أمبروزيو هويثى سنة ١٩١٧ بعنوان « تاريخ الموحدين » وبضع صفحات من « أعمال الأعلام » لابن الخطيب ، وبضع مواد غاية فى الأهمية أوردها ابن الأبار فى « الحلة السيراء » ، وعلى أساس من هذه المادة الطيبة كتب

فرانثيسكو كوديرا تاريخاً مختصراً لهذه الفترة فى كتابه المسمى « اضمحلال المرابطين وزوال أمرهم »[1] .

ولكن الناظر من قريب لا يلبث أن يتبين أن هذا الوضوح ظاهرى صرف ، وأنه لا يعدو الخطوط العامة للحوادث الرئيسية والملامح الظاهرية للأشخاص الذين اشتركوا فيها : أما أسباب هذه الفتنة وروابط هذه الأسباب بعضها ببعض ، أما العوامل الحقيقية ، البعيدة والقريبة ، التى دفعت إليها ، أما طبيعة الأشخاص الذين نراهم يتحركون خلالها فى سرعة تستوقف النظر ، أما أهدافهم من وراء هذا النشاط ، وأما علاقاتهم بالمرابطين قبل الفتنة وصلاتهم بالموحدين بعدها ، كل ذلك وغيره كثير تقف المراجع دونه صامتة لا تقول شيئاً . ونحن هنا — كما نحن فى معظم ما ندرس من فترات تاريخ الإسلام — أمام هيكل جامد ينقصه اللحم والدم ومعظم مقومات الحياة .

* * *

نستطيع أن نسمى هذه الفترة بعصر الطوائف الثانى ، ونستطيع — إذا نظرنا إليها فى الإطار العام للتاريخ الأندلسى — أن نسميها « بالفتنة الرابعة » .

(١) أنظر الجزء الذى نشره دوزى من الحلة السيراء فى :
R. Dozy, *Notices sur quelques manuscrits arabes* (Leyde 1847 — 1851)
وسأشير إلى هذا الجزء فى البحث هنا بعبارة « ابن الأبار ، الحلة » .
وأبا مروان بن صاحب الصلاة الباجى : المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الأئمة وجعلهم الوارثين (صورة شمسية لدينا من مخطوط أوكسفورد) .
و « كتاب التواريخ المعروف بابن بسام فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية وما جرى لهم فى الجهاد مع النصارى فى فتوح بلاد الأندلس وإفريقية وغيرها من المدائن » ، وهو المعروف باسم : الكتاب المجهول المؤلف الموجود فى مدريد وكوبنهاجن ، وقد نشره أمبروزيو هويثى باسم :
A. Huici, *El Anónimo de Madrid y Copenhague.* (Valencia, 1917).
وقد تبين أن هذا هو الجزء الرابع من البيان المغرب لابن عذارى ، هذا سأشير إليه هنا باسم : ابن عذارى ، البيان ، ج ٤
وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، طبعة ليفى بروفنسال . رباط سنة ١٩٣٤

فأما عن التسمية الأولى فأساسها التشابه بين ما حدث خلال تلك الفترة وما وقع عند انتثار عقد الجماعة الإسلامية الأندلسية عقب مقتل عبد الرحمن بن أبى عامر المعروف بشنجول فى ٤ مارس سنة ١٠٠٩ ، فقد تقطعت أوصال الوحدة الأندلسية ووقف عمال النواحى — كل فى ناحيته — يرقب تطور الصراع فى العاصمة . ثم استقلت كل جماعة بناحية ، وبدأ عصر الطوائف الأول المعروف .

وحدث فى هذه الفترة التى نتحدث عنها هنا شئ قريب الشبه من ذلك ، فإن يوسف بن تاشفين المرابطى استطاع أن يوحد تحت لوائه ما بقى من الأندلس الإسلامى على أيامه ، وتمكن بعد جهد طويل باهظ التكاليف من أن يوقف تقدم النصرانية فى غرب الأندلس بانتصاره الكبير فى وقعة الزلاقة سنة ١٠٨٦/٤٧٩ وأن يحول بين السيد القمبيطور وتوسيع مدى نشاطه المُخَرِّب إلى ما يلى بلنسية جنوباً . ثم تولى ابنه على بن يوسف سنة ١١٠٦/٥٠٠ وواصل سياسة أبيه فى حزم وإصرار على ما بيناه فى مقال سابق(١) ، وبدأ فى أخريات أيامه أنه موجه قواه إلى طليطلة ، وبدأ بالفعل يوجه ضرباته نحوها ، لولا أن ظهرت طلائع الحركة الموحدية فى المغرب ، وأخذ تاريخ الإسلام فى الأندلس وجهة أخرى .

فى هذه الظروف القاسية ، وبينما كان الصراع بين المرابطين والموحدين فى الأندلس فى أدواره الأولى ، اندلعت نيران هذه الفتنة الرابعة ، وقضت على ما كان للمرابطين فى الأندلس من سلطان قبل أن يفرغ الموحدون من أمرهم فى مراكش .

وقد حاول فرنثيسكو كوديرا أن يتعرف أسباب هذه الثورة ، ولكنه اكتفى بواحد من هذه الأسباب وجعله العلة الوحيدة التى نجم عنها الشر كله : هى

---

(١) أنظر بحثنا : الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين . مجلة كلية الآداب ، مجلد ١١ ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ ، ص ١٠٦ وما يليها .

استخدام المرابطين لنفر من النصارى فى جيوشهم — مثل « الرِّبَرْتِير » ، فقد كان ذلك محركا لجماعة « المريدين » إلى القيام على المرابطين ودافعاً لهم إلى دعوة الأندلسيين إلى الثورة عليهم وقيام كبير أهل قرطبة أبى جعفر حمدين ابن محمد بن حمدين قاضى قرطبة — بإعلان نفسه صاحب الأمر فى البلد ، على إثر قيام جماعات « المريدين » فى غرب الأندلس قياماً عاماً تزعمه أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قَسِّى تلميذ أبى العباس بن العريف ، واستعان فى اجتذاب الناس إلى دعوته بادعاء الهداية « مخرقة وتمويهاً على العامة »[1] . وليس فى النصوص ما يدل على أنه استثار الناس على المرابطين أو رماهم بالمروق أو بالتراخى أو ما إلى ذلك ، ولكن الدلائل تدل على أن عماد الحركة كانوا نفراً من الطامعين فى السلطان ، بعضهم من القضاة ، وبعضهم من القواد ، كلهم طامع فى السلطان ، طامح إلى الانفراد بإمارة لنفسه ، على مثال ما فعل أمراء الطوائف من قبل ، حاسبين أنهم يستطيعون مداراة ملوك النصرانية ، ومنتهزين فرصة الصراع بين المرابطين والموحدين فى المغرب للتخلص من أولئك الأخيرين . وقد استغل ابن قسى حماس جماعة المريدين ، وهم طائفة من المتحمسين استولت على نفوسهم فكرة الجهاد . وكما يحدث كثيراً جداً فى التاريخ الإسلامى ، يبدأ أولئك المجاهدون بالجهاد فى بلاد الإسلام نفسها ، استيساراً للمؤونة وتعجلا للوصول إلى الحكم بالطبع . وقد استعان ابن قسى فى قيادة أولئك المريدين برجال على شاكلته من أمثال محمد بن يحيى الشلطيشى المعروف بابن القابلة ، فتمكن من استيلاء على ميرتله فى ١٢ صفر ٥٣٩/١٤ أغسطس ١١٤٤[2] ، وكان هذا إيذاناً بالوثوب العام على المرابطين فانتقضت عليهم يابرة وشلب وغيرهما من بلاد غرب الأندلس ، وتوالت الثورات فى كل مكان حتى خرج أمر

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٩
(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٩

الأندلس من أيدى المرابطين عامة ، فلا غرابة أن يسمى ابن الأبار السنة التى وقع فيها ذلك — وهى ١١٤٤/٥٣٩ — بأسنة « القارضة ملك اللمتونيين بمقتل تاشفين أميرهم فى رمضان منها »[١] .

ولسنا نجد فى تراجم أولئك الثائرين ما يدل على أن وجود الربرتير[٢] وغيره من جند النصارى فى جيوش المرابطين كان سبباً فى ثورتهم ، أو أنه كان على الأقل سبباً من أسباب هذه الفتنة .

أما السبب الحقيقى فى تلك الثورة فهو مـــا بدا على المرابطين فى أواخر أيام على بن يوسف من عجز عن النهوض بعبء الدفاع عن الأندلس الإسلامى . وكان هذا العجز فى ذاته نتيجة للتضحيات المتوالية التى احتملها المرابطون فى سبيل الذياد عن الإسلام الأندلسى ، وقد سبق أن أشرنا إلى استهلاك المرابطين جنداً

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٩

(٢) Cf. F. Codera, *Decadencia y desaparición de los Almorávides en España* (Zaragoza, 1899) p. 30

أما الرِّبِرْتِير المذكور هنا ففارس نصرانى قطلونى ، أَسَرَه قائد الأسطول المرابطى علىّ ابن ميمون وأتى به إلى مراكش ، حيث دخل فى خدمة المرابطين فجعلوه « قائد الروم » أى قائد الفرقة النصرانية من جيشهم ، وكانت هذه الفرقة من المرتزقـــة . وقد أخلص الربرتير — وإسمه الأصلى Reverter — للمرابطين ، وقربه على بن يوسف وأعلى مكانه ، وهو مذكور فى مدونة ألفونسو السابع ، واستمر فى خدمتهم حتى قتل فى معركة دارت بين المرابطين والموحدين ذكرها البيدق . وأنجب ولداً أسلم وتسمى عَلِيًّا ودخل فى خدمـــة الموحدين عند ما صار الأمر إليهم وأخلص فى خدمتهم ، وهو الذى انتزع ميورقة من بنى غانية وقد قتل فى معركة بين بنى غانية هؤلاء وجند الموحدين فى إفريقية ٥٨٣ — ١١٨٧ . هذا وكان استخدام مرتزقة النصارى فى جيوش المسلمين فى المغرب أمراً شائعاً لم تشذ عنه دولة من دولهم .

أنظر : ابن خلدون ، العبر (طبعة دى سلان ، ج ١ ، ص ٣٠٥ — ٣٠٦) .

أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق ، كتاب أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، طبعـــة ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٨٧ (يسمى هناك الابرتير) ، وانظر الترجمة الفرنسية ص ١٣٩ وهامش ١

Dozy, *Recherches sur l'histoire de la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge*, 3°. éd. Leyde, 1881, II, p. 437—442.

Cronicón de Alfonso VII Apud *España Sagrada XXI* ch. 45, 46, 64.

وقادةً فى هذا السبيل ، وذكرنا كيف استشهد كِبارُ قوادهم من أمثال محمد ابن الحاج وأبى عبد الله مزولى وابنه محمد فى معارك الإسلام والنصرانية فى ذلك الحين ، وكيف حُصدت جموعهم فى المعارك حصداً حتى كلت قواهم وعجزوا عن موالاة الميادين بما تحتاج إليه من جند وقادة[١] ، هذا إلى تغير الأوضاع فى إسبانيا النصرانية وثبات جبهتها وتوحد قيادتها مدى تسعة وعشرين عاماً متوالية فى يد ألفونسو الأول ملك أرغون وقشتالة وليون الملقب بالمحارب ، وتفانيه فى حرب المرابطين تفانيا انتهى بكسر شوكتهم والقضاء على جاههم فى الأندلس ، وإن كان هو وابنه قد لقيا حتفيهما على أيديهم فى أطواء هذا الصراع .

ويكفى أن نشير فى هذا المقام إلى هزيمتى « كُتَنْدَه » و « البرْت » ، وهما هزيمتان ذهبت معهما هيبة المرابطين فى نظر الأندلسيين جملة ، وقد ذكرنا ذلك فى مقالنا الآنف الذكر ، وبحسبنا الآن أن نشير إلى الغارة الطويلة التى قام بها ألفونسو المحارب على بلاد المسلمين فاجتاحها من شمال لجنوب ومن شرق لغرب فى مدى عام وبضعة شهور ، وقوات المسلمين — ما بين مرابطية وأندلسية — تسير فى آثاره أو تحتمى منه بالحصون[٢] ، فإن مثل هذه الغارة من شأنها أن تُسْقِط جاه المرابطين جملة وتُشْعِر الأندلسيين أنهم آمنون إذا هم وثبوا بهم ونازعوهم السلطان ، خاصة بعد أن اشتد الصراع بين المرابطين والموحدين فى مراكش ، وبدا بوضوح أن أمر لَمْتونة قد ولى مع أمس الدابر .

ويجمع المؤرخون على أن الذين شبوا أوار هذه الحركة جماعة يسمون « المريدين » زعيمهم أبو القاسم أحمد بن الحسين المعروف بابن قسى ، وأنهم

---

(١) أنظر عن ذلك مقالنا : الثغر الأعلى الأندلسى . ص ١١٠ و ١١١

(٢) أورد ابن الخطيب فى « الإحاطة » تفاصيل هذه الغارة ، مخطوط المجمع التاريخى الإسبانى (أصلا مجموعة جايانجوس) . وقد أورد دوزى هذه القطعة من الإحاطة ذيلا على الجزء الأول من أبحاثه ، أنظر ص LXX (٧٠) من ذيول ذلك الجزء وما يليها . وانظر مقال دوزى عن تلك الغارة فى ص ٣٤٨ وما يليها من ذلك الجزء من الأبحاث ، وانظر : Codera, *Op. Cit.* pp. 13—17.

كانوا أهل « طريقة » صوفية ذات صلة بمبادئ الصوفى الأندلسى أبى العباس ابن العريف ، ومن أسف أن الكتاب الذى كتبه عنهم ابن صاحب الصلاة وجعل عنوانه « ثورة المريدين » قد ضاع . ولكن ابن الأبار أتانا فى حلته بصفحات منه تغنى فى تعريفنا بسياق الحوادث ، ولكنها لا تغنى فى تعريفنا بحقيقة أولئك المريدين . وقد حاولتُ أن أجد تفصيلا لآرائهم أو شيئاً من البيان عن طريقتهم هذه فلم أجد شيئاً ، ومن ثم ترامى إلىّ الشك فى صلة ابن قسى بابن العريف وآرائه ، وقوّى هذا الشك عندى ما هو معروف من أعمال ابن قسى هذا ومريديه ، فليس فيها شئ يدل على نزوع دينى أو ميل صوفى . فأما ابن قسى فلم يكن إلا مشعبذا عريض الدعوة ، وقد تبرأ هو من دعواه وانقلب على الإسلام وأهله على نحو لا يدع مجالا للشك فى أنه كان أبعد الناس عن مبادئ أبى العباس بن العريف[1] . وقد يكون قد عرفه أو سمع منه أو أخذ الطريق عنه ، ولكن هذا كله شئ ، وكونه هو كان صوفياً ذا نزوع روحى شئ آخر . وأما « مريدوه » فلم يكونوا أحسن منه حالا : كانوا طوائف من الطامعين فى الأموال والمغانم ، فلم يؤثر عنهم عمل دينى فى بلد دخلوه ، إنما هو النهب والسلب ولا شئ بعد ذلك . وقد تلاشوا من الوجود بمجرد نزول الموحدين الأندلس .

---

(١) يقرر ابن الأبار صراحة أن أبا القاسم أحمد بن الحسين بن قسى «ادعى الهداية مخرقة وتمويهاً على العامة وتسمى بالإمام» (الحلة ، ص ١٩٩) . ولم يرد فى ذلك المرجع إلا سطر واحد عن طبيعة اولئك المريدين ، قال : « ... إلى أن وصلهم فى غرة شهر ربيع الأول فى جمع وافر من المريدين شعارهم التهليل والتكبير » (ص ١٩٩) . أما إنكار ابن قسى نفسه لدعوته فقد قال ابن الأبار فى ترجمته : « وآلت الحال بابن قسى إلى أن خلع بمرتله ، ثم أعيد ، ومنها هاجر إلى الموحدين ، أعزهم الله ، فقدم عليهم بِسَلاَ متبرياً من دعاويه وتائباً عما أسلفه . . . » ، ثم يقول بعد أن يذكر تولية الموحدين إياه على شلَب : « ظهر منه غير ما فورق عليه ، إلى أن صرح بالخلاف ، وداخل الطاغية ابن الريق صاحب قلنبرية فى إعانته وإمداده ، فأظهر إجابته إلى مراده ، وبعث إليه بفرس وسلاح ، فأنكر ذلك أهل شلب ، وفتكوا به فى قصر الشراجب منها موضع سكناه فى قصه طويلة » . الحلة ، ص ٢٠٠

ويؤيد ما ذهبنا إليه من القول — بأن الصوفية كانت مجرد ستار استخفى تحته أولئك الأدعياء — أن أولى الوثائق التى ننشرها هنا تتعلق بموضوع كان لابد أن يجر إلى ذكر أولئك المريدين ومبادئهم ، لو أن أمرهم كان معروفاً إذ ذاك فى الأندلس كطائفة دينية لهـا مذهب معين واضح : ذلك هو موضوع كُتُبِ أبى حامد الغزالى ، فإن الوثيقة تحرم على الناس تداولها ، وقد ذهب نفر من الباحثين إلى أن موقف الدولة المرابطية من تواليف الغزالى كان من أسباب ثورة المريدين ، فلو أن ذلك كان حقاً لأشارت إليه الوثيقة ، مع أنها صدرت وهم فى مطالع نشاطهم ومبادئ الكفاح بينهم وبين المرابطين .

ولنضف إلى ذلك أننا لا نجد ذكراً لأولئك المريدين وحركتهم الدينية فى أى من الوثائق التالية ، والكثير منها رسائل شخصية بين نفر من أعـلام الأندلسيين بعضهم وبعض ، وهم يتحدثون فيها عن أحوالهم وأحوال من حولهم وما حولهم ، فلا نجد فى ذلك كله إشارة واحدة إلى المريدين ومذهبهم ، مما يقوى الظن فى أن حركتهم كانت ستاراً مؤقتاً اتخذوه ريثما تم لهم ما أرادوا من إخراج المرابطين والاستبداد بنواحى غرب الأندلس فترة لم تطل ، إذ أن الموحدين لم يلبثوا أن حلوا محل المرابطين فى جزء مما كان بقى من الأندلس الإسلامى إذ ذاك ، واستولى النصارى على جزء آخر كما كان منتظراً .

* * *

وهذه الوثائق التى نقدمها ترجع كلها إلى هذه الفترة ، فهى تقع فى الفترة الأخيرة من أيام على بن يوسف المرابطى ثم ابنه تاشفين بن على وما أعقب ذلك من سنوات الفوضى التى انقضت بين زوال أمر المرابطين فى الأندلس وقدوم الموحدين وهى فترة سبق أن ذكرنا أننا لا نعرف من تفاصيلها فى الأندلس إلا الهيكل العام للتطورات السياسية السريعة المتلاحقة التى احتشدت فيها وتراجم نفر ممن شارك فى هذه الأحداث ، أما حقيقة الأمر فى الأندلس ، وأحوال الناس ،

وموقفهم من هذه الكوارث المتلاحقة التى حلت ببلادهم ، والعدو يتخطفها واحدة فواحدة ، هذا كله لا نعرف عنه شيئاً على الإطلاق .

من هنا كانت أهمية هذه المجموعة التى أقدمها فيما يلى ، فهى قطع سياسية تلقى ضوءاً على بعض ما كان بين رجال هذه الحقبة من علاقات ، وقد بقيت مجموعة أخيرة من ست وثائق هى مراسلات تطلعنا على أحوال الناس وتعرفنا بمشاعرهم وما كان يعتور نفوسهم من المخاوف والآلام فى هذه الحقبة الحافلة بأسباب القلق . وقد رأيت أن أرجئ نشرها إلى مرة تالية لأن الحيز لا يتسع ، وإن كان نشرها هنا إلى جانب الوثائق السياسية يعتبر مكملا لها ومعيناً على فهم الفترة كلها .

وهذه المجموعة تتكون من الوثائق التالية :

١ — منشور صادر من ديوان الإنشاء المرابطى على أيام تاشفين بن على ابن يوسف ، وفى العشر الأولى من جمادى الأولى ٥٣٨/١١٤٣ على وجه التحديد إلى أهل بلنسية ، يقدم إليهم فيه توجيهات دينية وإدارية وينص على إحراق كتب أبى حامد الغزالى .

٢ — خطاب لأبى عبد الله بن أبى الخصال كتبه عن على بن يوسف ابن تاشفين إلى حامية المرابطين ببلنسية ، يلومهم فيه على قعودهم عن لقاء النصارى وانهزامهم أمامهم .

٣ — كتاب لأبى عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى إلى أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز يهنئه باستعادة المرابطين بلنسية .

٤ — كتاب أنشأه الكاتب ابن حسان عن أبى عبد الله بن ورقا إلى أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز الآنف الذكر يهنئه بفتح حصن يسمى كوالية .

٥ — خطاب يغلب أنه لأبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز إلى عبد الرحمن بن عياض عند قتل أبى عبد الله محمد بن فرج الثغرى .

٦ — خطاب من عند ابن عبد العزيز على لسان أهل شاطبة إلى أهل مرسية يعرفهم فيه بقدره ويذكرهم بخدماته ويحذرهم من الاستماع إلى ابن أبي جعفر.

٧ — خطاب إلى أبي عبد الله بن سعد بن مردانيش على ألسنة أهل شاطبة.

٨ — رسالة إخوانية لابن طاهر إلى ابن عبد العزيز.

٩ — كتاب صك بتعيين قاض.

الوثيقة الأولى

يمكننا أن نعتبر هذه الوثيقة من أهم ما لدينا عن العصر المرابطى على الإطلاق. وأهميتها لا تتبدى للمعنى بتاريخ المرابطين وحده، بل لدارس تاريخ اسبانيا فى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى، الذى سماه منندذ بيدال عصر السيد، ولدارس تاريخ الفكر فى الأندلس والمغرب، ولدارس تاريخ الغزالى، ولمتتبع تطور الآراء الأساسية التى قامت عليها دعوة محمد بن تومرت. وهى تفتح لكل من هؤلاء باباً من أبواب الكلام: فأما بالنسبة لدارس تاريخ المرابطين، فهذه الوثيقة تدعوه إلى أن يعيد النظر فى كل ما قيل عن عقيدة المرابطين وما اتهموا به، وعلاقتهم بالغزالى وبآرائه، وأما دارس تاريخ إسبانيا فى « عصر السيد » فهو واجد هنا ضوءاً يسيراً على أحوال بلنسية بعد استرجاع المرابطين إياها بعد موت السيدة شيمانة زوج السيد فى ٤٩٦/١١٠٢، فى حين أن دارس الفلسفة الإسلامية يستوقف انتباهه ذلك التحريم الصريح الذى تصدره الوثيقة لدراسة كتب الغزالى فى نواحى الدولة المرابطية فى المغرب والأندلس، وهذا بدوره يعنى المهتم بدراسة دعوة محمد بن تومرت وما تضمنته من آراء سياسية.

وقد سبقنى إلى دراسة هذه الوثيقة والتعليق عليها — دون نشرها — الأب داريو كابانيلاس، فنشر عنها تعليقاً عظيم الفائدة، انتفعت بالكثير مما فيه[(١)].

(١) Darío Cabanelas: *Notas para la historia de Algazel en España* (*Al-Andalus* XVII, 1952, fasc. 1 pp. 223—232).

ولا يتسع المقام هنا لدراسة علاقة المرابطين — والموحدين من بعدهم — بأبي حامد الغزالي وكتبه ، وهو موضوع تناوله الكثيرون من أعلام المستشرقين دون أن يصلوا في أمره إلى رأي يطمئن إليه الدارس اطمئناناً تاماً ، ودون أن يوضحوا لنا — على الأقل — كيف أن المرابطين ، الذين رضي عنهم الغزالي أول الأمر رضا حفزه — فيما يقولون — إلى محاولة الهجرة إليهم ، ينقلبون عليه إلى درجة تجعلهم يأمرون بإحراق مؤلفاته وتحريمها . ويزيد الأمر تعقيداً إذا علمنا أن المؤرخين ينسبون هذا الانقلاب إلى علي بن يوسف ، الأمير المتدين التقي المجاهد ، الذي لا يتوقع الإنسان أن يصدر عنه مثل هذا الأمر الغريب(١) .

ولكن هذا التحريم الذي لا يكاد العقل يقبله حقيقة لا شك فيها(٢) ، بل نستطيع تحديد تاريخ صدوره على وجه التقريب : ففي سنة ٥٠٠/١١٠٦ تولى علي بن يوسف أمر الدولة المرابطية ، وفي سنة ٥٠٨/١١١٤ توفي أبو القاسم محمد ابن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الذي يقال إنه تزعم الفقهاء في الفتوى بأن كلام الغزالي في كتبه منحرف عن الإيمان الصحيح(٣)، وأنه لا بد لهذا من

(١) أنظر بصفة خاصة :

Ignas Goldziher, *Mohammad Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le Nord de l'Afrique au XI^e siècle* (Alger, 1903) pp. 12 sgg.

و Duncan B. Machdonald, *The life of al-Ghazzali* Apud *Joural of the American Oriental Society*, XX (1899) pp. 110—112.

و Francisco Codera, *Decadencia y desaparición de los Almorávides en España* (Zaragoza, 1899) pp. 215—216.

ومقال داريو كابانيلاس الآنف الذكر ، ص ٢٢٤ والهوامش .

(٢) أنظر : عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، طبعة محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٧٣ و ١٧٩ . وأبا الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس : كتاب المدخل لصناعة المنطق ، طبعة آسين بلاثيوس ، مدريد ١٩١٦ ، ص ١١ — ١٢

(٣) قال ذلك السلاوي في الاستقصا ، الطبعة الأولى ، ج ١ ، ص ١٣٩ . وقد وفى السلاوي هذه النقطة في تلك الصفحة . وانظر تعليق كوديرا في مرجعه الآنف الذكر ، ص ٣٥٧ وما يليها .

ويمكن القول أيضاً بأن ذلك التحريم صدر فيما بين سنتي ٥٠٠ و ٥٠٥ لأنه صدر في ولاية علي ابن يوسف (وتبدأ سنة ٥٠٠) وفي حيـــاة الغزالي (وتنتهي سنة ٥٠٥) بدليل أنه دعا — فيما يقولون — على من حرم كتبه وأمر بحرقها .

صيانة عقيدة الناس بالحيلولة بينهم وبين قراءتها بإعدامها وتحريم تداولها وتهديد من لديه شئ منها ، وما إلى ذلك من وسائل القمع والإرهاب .

ولا نملك — مع الأسف الشديد — نص الأمر الرسمى الأول الذى صدر بتحريم هذه الكتب ، ولكن لدينا صورة أحد الأوامر التالية له مما كانت الإدارة المرابطية توجهه إلى النواحى من كتب التعليمات ، وهى تلك التى نقدمها هنا ، فهى خطاب صادر عن تاشفين بن على بن تاشفين أرسله من موضع يسمى كرناطة إلى أهل بلنسية بعد استعادة المرابطين إياها فى شعبان ٤٩٥/ أوائل مايو ١١٠٢ .

وقد ذهب كابانيلاس إلى أن هذه الرسالة لابد أن تكون نتيجة لوفود جماعة من أهل بلنسية على تاشفين بن على بن يوسف فى مقامه بكرناط وإبلاغهم إياه بما بدا من طلائع الثورة على المرابطين فى الأندلس ، فلما فصلوا من عنده زودهم بهذا الخطاب إلى عامة أهل بلنسية تثبيتاً لقلوبهم . وليس فى الخطاب ما يسمح بهذه الفروض كلها ، وإن كنا لا نستبعد من ناحيتنا أن يكون إصدار ديوان الإنشاء المرابطى لهذه الرسالة نتيجة لما ترامى إلى رجال الدولة من بدء القلاقل فى الأندلس . وقد كان الصراع بين الموحدين والمرابطين إذ ذاك فى المغرب على أشده ، وكانت طلائع الثورة فى الأندلس قد بدأت تظهر .

والخطاب أشبه بوصاة دينية ، فمعظم فقراته تدور حول الحض على الصلاة والصوم والزكاة وما إلى ذلك . ولكن الفقرة التاسعة منه على جانب عظيم من الأهمية ، وهى التى تعنينا هنا ، فهى تنص على أن مدار الفتيا فى بلاد الدولة المرابطية على مذهب مالك وحده ، وتحذر الناس من البدع وكتبها وأصحابها « وخاصة كتب أبى حامد الغزالى » .

وإليك الوثيقة بنصها :

٥٣٨/١١١ « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما . من أمير المسلمين وناصر الدين تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين .

إلى وَلِيّه فى الله تعالى ، الأعز الأكرم الأحْظَى فى ذات الله لديه أبى زكريا يحيى بن على ، والفقيه القاضى أبى محمد بن جَحّاف [١] ، وساير الفقهاء والوزراء [٢] والأخيار والصلحاء ، والكافـــة ببلنسية ، حرسها الله ، وأدام كرامتهم بتقواه .

سلامٌ مبرورٌ كريم مُرَدَّدٌ عميم على جميعكم ، ورَحْمتُ [٣] الله وبركاته ، وبعد : فإنَّ كتابَنا إليكم ، كتبَكُم الله مِمَّن آثرَ الحقَّ واتبع سَنَنَه ، وادَّرَعَ الحزم ولَبِسَ جُنَنَه ، وسَمِع القولَ واتَّبَع أحْسَنَه ، وحافَظَ على كتاب الله الذى يَسَّرَه للذكرى وبَيَّنَه [١١ ب] وجَعَلَنا وإياكم مِمَّن جَمَّلَه بتقواه وزَيَّنَه ، من مُنَاخِنا بكَرْنَطَة [٤] ، فى العشر الأُوَل من جُمادى الأولى سنة ثمـــان وثلاثين وخمس مائة ، وبحَمْد الله من صحيفتنا هذه صَدْرُها الأكرم ، وكلُّ قولٍ فبَعْدَ ذلك يترتَّبُ ويَتَنَظَّم . وقد جاء فى الآثار : كل كلام لا يُبدأ فيه بذكر الله فهو أجْذَم .

---

(١) لم يرد ذكر هذين الشخصين فى معاجم التراجم . والثانى منهما سليل بيت جحاف المشهورين فى بلنسية ، ومنهم أبو جعفر أحمد بن جحاف الذى استشهد على يد السيد القمبيطور حرقاً .

(٢) هذا المصطلح هنا طريف فى ذاته ، والمراد به « أهل الرأى » من البلنسيين ، وهو تطور ظاهر فى معنى لفظ « وزير » فى الأندلس . هذا ويستبعد أن يكون المراد هنا « رجال بيت المال » تباعاً لما نعرف من تطور وظيفة الوزير إلى وظيفة عامل المال أو الموكل بالمسائل المالية فى البلد ، لأنه إذا كان المراد ذلك لما ذكرت الوثيقة اللفظ بصيغة الجمع ، لأن العادة جرت بألا يكون فى البلد إلا « وزير » واحد ، أى عامل لشؤون المال فى ذلك العصر .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) يكتب هذا الموضع : كرناطة وكرانطة وكَرَنْط وكَرْناط وكَرَنْطَا ، جبــل صغير فى سلسلة المرتفعات بين تلمسان وسبتة ، أنشأ المرابطون فيه حصناً يحمل نفس الإسم أثنـــاء صراعهم مع الموحدين . أنظر البيانات الوافية عن هذا الموضع فى مقال داريو كابانيلاس المذكور ، ص ٢٢٥ — ٢٢٧

وبعد أن نَسْتَوْفِي واجبَ الحمد والشكر ونذكر نِعَمَه السابغة ، صلَّيْنا أجملَ الذكر ، فنسأل الله توفيقاً قايداً إلى الرشد ، وقوةً على طاعته نحمل بها مَن تلزمُنا رعايتُه على المنهج الأفضل والسَّنَن الأحمد ، ونَسْتَعِيذُه من قلب لا يخشع ، ودعاءٍ لا يُسْمع ، وموعظةٍ لا تَنْفع وسَجِيَّةٍ لا تُطاع ، وهواً[(١)] يُتَّبَع . ونصلِّي على محمد نبيِّه ورسولِه الذى طَهَّرَه تطهيراً ، وأرسله رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبَلَّغ رسالةَ ربِّه وهُداه ، وصَبر على مشقَّةِ البلاغ وأذاه ، ولم يَخْشَ أحداً إلا الذى رَجاه ، إلى أن بَلَغَ الكتابُ أجَلَه والدينُ مَداه ، وانتهى مُلْكُ أمَّته إلى ما كان الله له زَوَاه ، صلى الله عليه وعلى صَحْبه الذين ذبُّوا عن هذا الدين وحَمَوا حِماه ، ووالَوْا من والاه ، وعادَوْا مَن عاداه .

ولما كان ، أعزكم الله ، الدِّينُ يُنْعَتُ بالنصيحة لله ولرسوله وللمسلمين ، والذكرى تنفعُ المؤمنين ، وَجَب أن نَتَّخذ لكم من الموعظة به أنْفَسَها الذى مُرُّها فى العاقبة حُلْوٌ ، وأخْفَضُ مراتبها فى الله عُلُوٌّ ؛ فاعلموا ، أعلَاكُم الله ، ولا أقامكم مقاماً يُرْديكم ، أن أقرب الناس إلى الله أحْناهُم على عباده ، وأمحَضُهم للنصيحة لهم بمَبلغ جِدِّه واجتهاده ، وأنَّ أوْلَى الناسِ بنا مَن طاب خبرُه ، وكَرُم أثرُه ، وحَسُن مَوردُه فى الأمور ومصدرُه ؛ وكذلك « العامل » منكم و « القاضى » ، [١٢ ا] وفقهما الله ، إنما أُقْعِدا بذلك المكان لخير يتوليانه وشرٍّ يردعانه وعدلٍ يقضيانه ، فليُقَدِّما أوَّلاً تسديدَ أمرهما ، ولينظرا فى إصلاح أنفُسِهما ، قبل إصلاح غيرهما ، فمَن لا يُصْلِحُ أمرَ نفسه لا يُصْلِحُ سواه ، ومَن لا يُسَدِّدْ أمورَه لا يُسَدِّدْ أمرَ مَن تولاه . وعليكم أجمعين بتقوى الله فى السِّرِّ والإعلان ، والتمسك بعِصَم الإيمان ، والاستعانة على حوائجكم

(١) كذا فى الأصل .

بالكتمان ، والتنزُّه عن فلتات اليد واللسان . ولم تَخْلُ أمّة من جاهلٍ وعليم ، ومعوَجّ وقويم ، فليَرْدع الجاهلَ العليمُ ، لِيُذَبِّه المعوجَّ القويمُ ، ولن يزالَ الناسُ بخير ما لم يَتَساوَوْا ، فإذا تساوَوْا هَلَكوا .

وأهمُّ أموركم الصلاة ، التى هى سبيل النجاة لسالكها ، ولا حظّ فى الاسلام لتاركها ، فالزَمُوها فى جماعاتها ، ولا تُخِلُّوا بشىء من مسنوناتها ، ومَفْرُوضاتها ؛ وأَخْلِصوا فيها لله العلىّ الأكبر ، واعلموا أنّها كما قال سُبْحانه « إنّ الصلاةَ تَنهى عن الفحشاء والمنكر » .

وعليكم وفَّقكم الله بإصلاح ذات البَيْن ، واعمادِ الحقّ المخلص فى الدارَين ، وتخيُّر الرُّفَقا وانتخاب الجُلَسا ، فإنّ مَثَل الجليس كمَثَل القين ، والصاحبُ الصالحُ قوةٌ فى الدِّين وقُرة فى العين .

وانتدبوا واندُبُوا مَن قِبَلكم للجهاد ، الذى هو من قواعد الإيمان والرشاد ، أمرُ الرحمن ، وفرضٌ على الكفايةِ والأعيان ، واتصالُ الهدو بفضل الله وللأمان . وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَثَلُ المجاهدِ فى سبيلِ الله كمثل القايم الصايم الذى لا يَفْتُرُ عن صلاةٍ ولا صيام » .

والذى نأخذُ به عهد الله على العاملِ منكم الرفق بالرعية ، والحكم بالتَّسوِيَة ، وإجراء الأمور على الحميدة المرضيّة ، فهى العنصر الذى منه الاستمدادُ ، والأصلُ الذى بثبوته تعمُرُ البلاد [١٢ ب] وتتوفّرُ الأجناد ، ويتمكنُ الرِّباطُ فى سبيل الله والجهاد ، وليعلمَ أن العدلَ يُقْسِطُها ، والجور يُسْخِطُها ، وقِلةُ المساواة تُشتِّتُها وتُقْنِطُها . ولا سبيلَ ان يُستعملَ عليها إلا مَن يُستَتَق جانبه وتحسُنُ الأُحدوثة عنه . وإن ظهر أحد منهم بنَظَرٍ جميلٍ فيه ، وكان فى نَفْسه ما يُخفيه ، فالبدارَ البدارَ إلى عزله وعقابه والتشديد فيما نأمر به .

واعلموا ، رحمكم الله ، أن مدارَ الفُتْيا ومَجْرى الأحكام والشورَى فى الحَضَر والبُدَا ، على مـا اتفق عليه السَّلَف الصالح ، رحمهم الله ، من الاقتصار على

مذهب إمـام دار الهجرة أبى عبد الله مٰلك بن أنس ، رضى الله عنه ، فلا عدولَ لقاضٍ ولا مُفْتٍ عن مذهبه ، ولا يَأخُذُ فى تحليل ولا تحريم إلا به ، ومن حاد عن رأيه بفتواه ، ومال من الأئمة إلى سواه ، فقد ركب رأسه واتبع هواه ، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة ، وخاصة ، وفقكم الله ، كُتُب أبى حامد الغزالى ، فَلْيُتَتَبَّعْ أثرُها ، وليُقْطَعْ بالحَرْق المتتابع خَبَرُها ، ويُبْحَث عليها ، وتُغَلَّظ الأيمانُ على مَن يُتَّهَمُ بكتمانها(١) .

والخَمرُ ، نَزَّهكم الله عن خبايث الأمور ، التى هى جُمَّاعُ الاثم والفجور ، والبابُ المُفضِى إلى سَواكِن الفِسق والشُّرور ، فاجتهدوا فى شأنها ، وأوعِزُوا فى جميع جِهاتكم بإراقة دِنانهـا ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَعَنَ اللهُ الخمر وعاصرَها وحامِلَها والمحمولة إليه »

وكذلك نوكِّد العهد فيما نوصى به دايباً مما أوجَبَه الله تعالى فى حقوق المسلمين من الأعشار والزَّكَوات والأموالِ المفروضةِ للأرزاقِ المُسَمَّاه ، فليؤخذ ما فرض الله منها فى نصابها المعلوم ، وعلى سُنَّة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وكذلك نُوَكِّد عليكم أتم تاكيد [١١٣] أمرَ أهل الذمة ألاّ يتصرَّفْ أحدٌ منهم فى أمور المسلمين ، لأنه من فساد الدين .

والسلامُ الأبرُّ الأكرم الأخطر على جميعكم ، ورحمتُ الله وبركاته ، وعلى مَن هناك من المسلمين » .

---

(١) فى مقابل هذه العبارة فى الهامش الأيمن ، تبدأ عبارة كُتبت من أسفل إلى أعلى ، وتدور مع الصفحة حتى تنحدر من أعلى إلى أسفل على اليسار ، وهى بخط مخـالف لخط المخطوط ، ونصها : يا كاتب هذه الرسالة ، إياك ثم إياك أن تكتب مقالت[ه] . لا تنسخ هذه الكلمت (اقرأ : الكلمات) التى أشار بها إلى كتب أبى حامد الغزالى ، نفعنا الله ببركته ، فإن ذلك لا يحل . إياك ثم إياك ! والسلام على من اتبع الهدى .

الوثيقة الثانية

تتضمن هذه الوثيقة خطاباً مشهوراً ، أشار إليه عبد الواحد المراكشي ، وأورد قطعة منه ، وأشرت إليه في بحث سابق .

وقد حكى لنا عبد الواحد المراكشي خبر هذه الرسالة في سياق كلامه عن الأديبين المعروفين أبي مروان وأبي عبد الله ابني أبي الخصال ، فقال : « فلم يزل أبو عبد الله [بن أبي الخصال] هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين ، إلى أن أخر أميرُ المسلمين أبا مروان عن الكتابة ، لموجدةٍ كانت منه عليه ، سببها أنه أمره وأخاه أبا عبد الله أن يكتبا عنه إلى جند بلنسية ، حين تخاذلوا وتوكلوا حتى هزمهم ابن رذمير — لعنه الله — هزيمة قبيحة ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك ، وهي رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها ، أحسنَ فيها ما شاء ، منعني من إيرادها ما فيها من الطول ، وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض ، أفحش فيها على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة ، فمن فصولها قوله :

« أيْ بني اللئيمة ، وأعيارَ الهزيمة ، إلام يزَيِّفكم الناقد ، ويردّكم الفارس الواحد ؟ فليت لكم بارتباط الخيول ضأناً لها حالب قاعد . لقد آن أن نُوسعكم عقاباً ، وألا تَلُوثوا على وجه نقاباً[1]، وأن نعيدكم إلى صحرائكم ، ونطهر الجزيرة من رحضائكم . . »

في أمثالٍ لهذا القول ، فأحنق ذلك أميرَ المسلمين وأخَّره عن كتابته ، وقال لأبي عبد الله أخيه : « كنا في شك من بُغض أبي مروان المرابطين ، والآن قد صح عندنا » . فلما رأى ذلك أبو عبد الله استعفاه فأعفاه ، ورجع إلى

---

(١) يعني ألا يضعوا لثاماً على وجوههم ، واللثام شعار لمتونة وبه يسمون « الملثمين » ، كما يسمون « المرابطين » (هذا التعليق موجود في الطبعة التي أخذنا عنها هذه الفقرة . وسيرى القارئ أن قراءتنا للوثيقة الأصلية تختلف عن ذلك) .

قرطبة بعد ما مات أخوه أبو مروان بمراكش . وأقام هو بقرطبة إلى أن أستشهد فى داره — رحمه الله — أولَ الفتنة الكائنة على المرابطين[١] .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هذه الرسالة تكشف عن هذا الضغن الخفى الذى امتلأت به قلوب الكثيرين من الأندلسيين على المرابطين . ونضيف الآن أن هؤلاء الكارهين المرابطين لم يكونوا أول الأمر ليخرجوا عن رجال دول الطوائف الذاهبة من ناحية ومن التف حولهم ممن كانوا يعيشون من رفدهم ، أو عيالا عليهم من ناحية أخرى أو ممن أنكروا ما بلغه الفقهاء من عظيم المكانة والسلطة أيام المرابطين ، وعسفهم الناس واحتجانهم الأموال ، على سابق عهدهم أيام الإمارة الأموية من ناحية ثالثة .

وهذه الرسالة تكشف لنا عن مشاعر هؤلاء الحانقين من الأندلسيين بصورة لا تحتاج إلى مزيد بيان ، وتبين لنا كذلك الحجج التى كانوا يتذرعون بها فى الحملة على المرابطين ، وما كانوا يرددونه فى مجالسهم إذا خلا بعضهم إلى بعض وتناجوا بما تضمه جوانحهم من كراهية للمرابطين ، غير عالمين أن مصير الإسلام الأندلسى كله كان إذ ذاك مرتبطاً بوجود المرابطين أو غيرهم من جند المغرب فى الميدان ، وأنه فى اليوم الذى يكف فيه أولئك المغاربة عن الذياد عن الأندلس سيتلاشى أمر الإسلام فيه ، وأن وجود المرابطين — مهما كانوا — أفضل من ترك البلاد بغير حماية ، ولكن الناس فى هذه الأعصر طبعوا على قصر النظر والأنانية والعصبية .

وقارئ هذه الرسالة يفهم السبب فى نفور على بن يوسف بن تاشفين من أبى مروان بن أبى الخصال بعدها ، لأن هذا الأخير انتهز الفرصة ليحمل على المرابطين ، منفساً عما فى نفسه ونفوس إخوانه من الأندلسيين ، وليفاخرهم بقومه

---

(١) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٧٦ . ويلاحظ أنه يقول إن كاتب الرسالة أبو مروان بن أبى الخصال ، والحقيقة أنها لابن أخيه أبى عبد الله كما يرى هنا بوضوح .

من طرف خفى . وقد أسرف ابن أبى الخصال فى ذلك إسرافاً جاوز حد الإشارة والتعريض إلى الذم الصريح ، وإنــه لمن دلائل حلم على المرابطى أنه اكتفى فى عقاب الكاتب بما فعل ، وما رأيناه فى كلام عبد الواحد المراكشى .

وها هو نص الرسالة :

٥٣٨ / ١٣ ا « من أمير المسلمين وناصر الدين ، أما بعد ،

يافرقةً خَبُثَتْ سرايرُها ، وانتكثتْ مرايرُها ، وطايفةً انتفخ سحرُها ، وغاص على حينِ مَرَّةٍ بحرُها ، فقد آن للنِّعَمِ أن تفارقكم ، وللأقدام أن تطـأ مفارقكم ، حين ركبتموها جَلواء عارية ، وأصبحتم فى ادّراع عارها أمثالا سواسية ، واختلط المرعىُّ منكم بالهمَل ، فما يتبيّن إلا نقص من الأكمل ، فطأطأتم لهـا رؤُس عشايركم ، وقضيتمُ بالفُسُولة[1] على سايركم . لا جَرَم أن قد صرتم سَمَرَ النَّدىِّ ، والأحاديث المُلْعِنَة بالغداة والعَشِى ، بما خامركم من الجبن والخَوَر ، واستهواكم من لقاء عدوِّكم بالجانب الأزور ، لا تواجهونهم طرفةَ عين ، ولا تعاطونهم حُمَةَ حَين ، بل تعطونهم الظهر هَنِيًّا مَرِيًّا ، وتتخذونهم وراءكم ظِهْرِيًّا ، والرماحُ نحوكم لم تُشْرَع ، والخيل لم تُسْرَع ، والنفوس فى حياض المنيّة لم تُكْرَع ، فإنكم ثلة ذيابهم وفريسةُ أنيابهم ، قد نَعِموا فى بُوسِكم ، وناهضوكم بلُبُوسِكم ، وحاربوكم عاماً على إثر عامٍ حتى ألزَقُوكم ، وتركوكم أسلح من حبارَى ، وأشرد من نعام .

فالآن حين ملأتم أيديَهم متاعاً ، ووادِيَهم سلاحاً وكراعاً ، قد غزوكم فى عُقْركم ، وأذاقوكم وبالَ أمركم ، فَلُذْتم بالجدران وبؤتم بالندامة والخُسْران . يابغايا بنى الأصفر ، وسَجَايا ذوات الدَّلِّ والخفَر ، أكرِهْتُم زَحافَهم ، وكنتم — عَلِم

---

(١) ورد فوق هذه الكلمة : الضعف .

اللهُ — أضعافَهم ؟ أنى لكم بالمعذرة ، وأين ؟ وقد فَرَض اللهُ الواحدَ منكم بالإثنَين ، فقال : « إن تَكُنْ منكم مائةٌ صابرةٌ يَغلِبوا مائتين » . هذا ، وكلمتكم العُلْيَ(١) ، وحَلُوبتكم الحياة الدُّنْيَ(١) ، ما شئتم [١٣ ب] من صارمٍ وطِرف ونَحْض وركايبَ وسَوَام ، ونَضَايد وخيام .

فيا أسفا للحق يدمغه الباطلُ ، والحالى يَبْهَرُه العاطلُ ! لا بالحنيفية تَحَرَّزْتُم ، ولا إلى الحفيظة والإنابة تَحَيَّزْتُم . ليت شعرى ، بماذا تَقَلَّدْتُموها هندية واعتقلتموها سَمْهرِيَّة خَطِّية ، وركبتموها جُرْداً سوابق ، وملكتموها مغاربَ ومشارق ؟ ثاوين فى غير عدادكم ، مُنْتَزين على أضدادِكم يؤدُّون الإتاوةَ إليكم حين أشْرَقْتُموهم بالهَوان ، وأنتم فيهم غرباء الوجه واليد واللسان ، وصيَّرُوكم عبيد العَصَى ، ولستم بالأكثرين منهم حَصَى(٢) ، بل شرذمة قليل نفعُها ، كثير نَجْعُها . فيا عجباً لذهولكم ، شبانكم وكهولكم ، تأكلون تمرها ، ولا تَصْلَوْن جَمْرها ، وتذهبون بحَلْوائها ، ولا تصبرون على لأوائها ؟ أى بنى اللئيمة ، وأعيار الهزيمة ، إلى مَ يريعكم الناقد(٣) ، ويُرْدِكم الفارس الواحد :

إلى مَ يَريعُكم الناقِد ... ويُرْدِيكم الفارس الواحدُ
ألا هل أتاها على نأيها ... بما فَضَحَتْ قومَها غامِدُ
تَمَنَّيْتُم مائتى فارس ... فرَدَّكُم فارسٌ واحدُ
فليت لكم بارتباط الخيول ... ضِئاناً لها حالبٌ قاعدُ(٤)

(١) كذا فى الأصل .
(٢) فى الهامش : وليسوا بالأكثرين منكم حصاً ، وهو الأصح .
(٣) كذا فى الأصل بوضوح . وهذه الفقرة من الرسالة هى التى أوردها عبد الواحد المراكشى (ص ١٧٦) وقد وردت هذه العبارة هناك : إلامَ يزيِّفكم الناقد ، وهى أقرب إلى الصحة . ولكن لا بأس كذلك بقراءتنا هنا ، لأن من معانى النقد النقر والضرب واللسع — أنظر أساس البلاغة مادة « نقد » — ويؤيدنا فيما نقول أن نفس العبارة سترد فى أبيات شعر فيما بعد ، والبيت لا يستقيم إلا إذا قرأناها : يريعكم .
(٤) أورد الناسخ هذه الأبيات سرداً دون تنبيه إلى أنها شعر ، فقمت بتشطيرها .

ومَن لرعاة الإبل بالجَدِّ المُقْبِل ؟ لقِدْماً ما أذْهَبْتُمْ التَّالد والطَّارف ، وعَجبا عجيباً من جُذامى المطارف ! وأنتم قد قَدَحْتُمْ فى مُلكنا ، وأذِنتُم بانتثار سلكنا ، فلولا مَن لدينا من ذَويكم وضَراعتُهم إلينا فيكم ، لألحقناكم عجلا بصحرايكم ، وطَهَّرنا الجزيرة من رُحَضَايكم ، بعد أن نوسعكم عقابا ، ونَحُدُّ(١) أن لا تَلْوُوا على وجه نقاباً . فاللؤم تحت عمايمكم ، والوَهْنُ والفَشَلُ طَىَّ عزائمُكم ، لاكن ما جُبِلْنا عليه من الأناة ، وتوخّيْنَاه قِدَماً من إيقاظ ذَوى الملكات ، يَكُفُّنا عن استِيصالِكُم ، ويَحمِلُنا على شَحْذ نِصالِكم .

فاستَنْسِروا يابُغاث الهَيْجا ، واسْتَيْئِسوا ، بعد الرجا ، واحذروا [١١٤] حِلماً أغضبتموه ، ووَادِياً من الصبر أنضبتموه ، وتوقَّوا صدراً أحْرَجْتُموه ، وليثاً من أجَمَته أخْرَجْتُموه . وايْمُ الله نُقْسِم إنذاراً بكم ، وإعذاراً لكم ، لَنُورِدَنَّ الفــارَّ منكم من الزحف ما عافه من موارد الحتف ، ولَنَتَجَاوَزَنَّ السوطَ إلى السيف ، ولُنبَدِّلَنَّ المَعْدَلَةَ فيكم بالحَيْف ، فليُعْلِم المقدمُ المحجمَ منكم عن الإقدام ، أنه سَلِمَ من الحمام إلى الحِمــام ، وتخطَّى مَصْرَعَ الأسَدِ الباسِل إلى جِذْعٍ ماثل ، وشهادة الأبرار إلى مشهد الذُّلِّ والصَّغار ، كما أنَّ مَن أصيبَ منكم فى حَرْب ، أو أبلى بطَعن أو ضرب ، خَلَفْنَاه فى الأهل والولد ، وبِعْنَاه الأثَرَةَ والكرامةَ يداً بِيَد ، فاختاروا لأنفسكم وأعقابكم وانْضُوا ثوب الخِزى عن رقابكم ، والسلام على مَن حَمى الإسلام .

كَمُل ما كتب به الفقيه الأديب ، الكاتب البليغ
الأريب ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبى
الخصال عن أمير المسلمين »

(١) كذا فى الأصل بوضوح .

الوثيقة الثالثة

هذه رسالة « إخوانية » ذات طابع سياسى ، وهى صادرة من أحد أمراء فترة الطوائف الثانية ، وهو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى الذى انتزى بمرسية إلى صنوه أبى عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز صاحب بلنسية ، بمناسبة استعادة المرابطين لبلنسية من أيدى شيمانة أرملة السيد وأتباعه . وقد روينا فى بحثنا عن السيد كيف حاول رجال السيد بعد وفاته الثبات لقوات المرابطين التى لم تكف عن مهاجمة البلد ومحاولة استرجاعه من أيديهم يقودهم القائد المرابطى الباسل أبو عبد الله محمد مزولى ، وقد يئس رجال السيد من استطاعتهم الاحتفاظ بالبلد إزاء إلحاح مزولى عليهم بالحرب ، وبعثت شيمانة بأسقف البلد جيروم دى بيريجور ليستصرخ ألفونسو السادس ملك أرغون فأقبل ورأى استحالة الاحتفاظ بالبلد ونصح بإخلائه ، فقام النصارى بإحراقه وخلفوه كوم رماد ، ثم انصرفوا عنه ودخله المرابطون فى منتصف رجب ٤٩٥ / ٥ مايو ١١٠٢ (١) .

وهذا الخطاب يدل على وقع هذا الحادث فى قلوب مسلمى الأندلس وقتذاك ، فقد كان حادثاً سعيداً يتبادلون لمناسبته التهنئات كما نرى من ذلك الخطاب .

وجدير بالملاحظة أن هذين الرئيسين اللذين يتبادلان التهنئة ويتحدثان عن « سعد أمير المسلمين وناصر الدين ، أدام الله تأييده » سيكونان من أوائل الثائرين عليه .

وها هو نص الخطاب :

---

(١) أنظر نص ابن الخطيب ، أورده دوزى فى « أبحاثه » :
Dozy, *Recherches* 3°. vol. II, p. 196, et ap. XXXI pp. LXXII—LXXIII.
Ramón Menéndez Pidal, *La España del Cid* (1ª ed.) vol. II p. 619—620. و
ومقالنا : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين (مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مجلد ٣ عدد ١ ، ١٩٥٠ ، ص ٧٧) .

٤٨٨ / ١٠٦ ب « وله(١) إلى الوزير أبى عبد الملك بن عبد العزيز(٢) عند استفتاح بلنسية :

أطال الله بقاك ووصل اعتلاءك ، وحمى حوزتك وأرجاءك . كتبتُ — أعزك الله — منتصفَ الشهر المبارك(٣) ، وقد وافى بدخول بلنسية الفتحُ بعدما خامرها القبح ، فأضرم أكثرها ناراً ، وتركها آية للسائلين واعتبارا ، وتغشاها سوادا ، كأنما أُلْبِسَتْ حِدادا(٤) ، فهى تنظر من طرف خفى ، وتتنفس عن قلب يُقلَّبُ على جمر زكى . غير أنَّها بَقِى لها تُرْبُها الأحمر ، والذى هو المسك الأذفر ، وحدايقها الغُلْب ، ونهرُها العذب . وبِسَعْد أمير المسلمين وناصر الدين ، أدام الله تأييده ، وإقباله عليها ينجلى عنها ظلامها ، ويعود إليها حليها ونظامها ، وتغدو وتروح فى الحلل ، وتبرز كالشمس فى بيت الحمل ، فالحمد لله مالكِ الملك ، مطهرها من الضلال والشرك ، وفى عودتها إلى الإسلام عز وعزاء عما نفذ » .

الوثيقة الرابعة

هذه الرسالة تلقى بعض الضوء على الفترة السابقة لقيام الفتنة الثانية التى نحن بصددها .

فقد كتبت يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٢٢ ، أى قبل اندلاع نيران الفتنة الذى يحدده المؤرخون بتاريخ ثابت هو ٢٧ رمضان ٥٣٩/٢٣ مارس

---

(١) أى لأبى عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى . أنظر ترجمته فى « الحلة السيراء » ، ص ٢١٦—٢٢٢

(٢) هو أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز . أنظر ترجمته فى « الحلة السيراء » ، ص ٢١٢—٢١٦

(٣) منتصف رجب ٤٩٥ / ٥ مايو ١١٠٢

(٤) هذه حقيقة تاريخية أجمع عليها مؤرخو النصارى والمسلمين ، فقد أحرق رجال السيد البلد وتركوه رماداً قبل أن يخلوه .

Cf: Dozy, *Recherches*, II, p. 195—196.
R. Menéndez Pidal, *La España del Cid* (1ª ed.) II, p. 620.

١١٤٥(١) . وكاتب الرسالة أديب ترد له فى ذلك المجموع رسائل أخرى ، كتبها عن أبى عبد الله بن ورقا الذى يغلب أنه كان من صنائع أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز ، الذى سيتزعم الفتنة فى شرق الأندلس . وموضوع الخطاب استرداد حصن يسمى كُوَاليـة من أيدى النصارى ، ولم أستطع تقويم موضعه ، وإن كنت أستطيع القطع بأنه كان من أحـــواز بلنسية ، مركز ابن عبد العزيز .

وكان ابن عبد العزيز إذ ذاك مجرد قاض للبلد ، لأن سلطان المرابطين كان لا يزال على أشده ، ولكن الذى يستوقف نظرنا أن أبا عبد الله بن ورقا الذى قام باسترداد الحصن يكتب إلى ابن عبد العزيز بهذا الأمر ، كأن ابن عبد العزيز كان سيد الناحية فى ذلك الحين المبكر ، والكاتب لا يذكر المرابطين ولا يشير إلى أنه يعمل لحسابهم ولا لحساب ابن عبد العزيز ، كأنما كان يعمل لحساب نفسه ، وهو أمر غريب فى بابه .

٤٨٨ / ١٧٥ « رســـــالة

كتب بها ابنُ حسان عن أبى عبد الله بن وَرْقَا بما سَنّاه الله من فتح كُوَالْيَه إلى القاضى ابن عبد العزيز وفَّقَه الله رحمه الله

٤٨٨ / ٧٥ ب أطال الله بقاءك(٢) ، وأدام نعماءك(٢) ، ووصل سراءك(٢) ، ووالى ظهورك واعتلاءك ، كتابى أعزك الله عَشِىّ يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة

(١) هذا هو تاريخ وفاة تاشفين بن على بن تاشفين ، ويتخذه المؤرخون تاريخـــاً اعتبارياً لميلاد الفتنة ، وإن كانوا فى بعض الأحيان يجعلون افتتاحها اليوم الذى استبد فيه أبو جعفر حمدين بن محمد ابن حمدين بقرطبة وخطب لنفسه فى مسجدها الأعظم . أنظر : الحلة السيراء ، ص ٢١٢ ومناقشة التاريخ : Codera, *Op. Cit.* p. 35, 285—292.

(٢) كذا وردت الهمزات فى الأصل ، والغالب أنها كانت تُنطق على التسهيـل وتكتب الهمزات صغيرة بأعلى الألفات .

ثنتين وعشرين وخمس مائة ، من حصن كُوَالية حَرَسَه الله ، بعد أن سَهّل الله مرامَهُ واتاحَه ، وسَنَّى لنا افتتاحَه ، فالحمد لله على ما أولاه ، لارب سواه ، ولا معبود حاشاه . وذلك أنّا وصَلْنا إليه يومَ الخميس أمس كتابى هذا فأنَخْنا عليه ، وأحدقنا بالمحلات المؤيَّدة حَوَاليْه ، ولم نتعرَّض ذلك اليوم إليه . فلما كان صبيحة يوم الجمعة المؤرخ افترق القتال على جميع نواحيه ، وأخذ كل عامل جهته ، وقصد ناحيته ، وقدَّم فئته ، فالكلُّ اجتهد ، واستنفد الحد . ولم يزل المسلمون يتغَلّبُون العدو من ستارة إلى ستارة ، ومن حزام إلى حزام ، بعد بلوغ الغاية ، واستنفاد النهاية ، إلى أن تُسُنِّمَ أعلاه ، وحَصَلَتْ دعوة الإسلام فى ذُرَاه ، وَوَجَبَ إنهاءُ هذه المسرة إليك ، لتأخُذَ منها حظك الأوفى ، وتضرب فيها بالقدح المعَلّى . والربُّ ، عز وجهه ، يُوَالى الفتوحات [ ][1] المسرات بحوله وطَوْله . وأقرأُ عليك ، أعزَّك الله ، أعْطَر السلام وأتمَّهُ ، وأحْفَلَه وأَعَمَّهُ ، ورحمتُ الله تعلى وبركاته»

الوثائق الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة

هذه القطع الأربع تلقى ضوءاً مبيناً على تاريخ شرق الأندلس فى هذه الفترة ، وهى تترابط فيما بينها ، لأنها صدى لهذه الفوضى الضاربة التى شملت شرق الأندلس فى ذلك الحين وما ملأه من المنازعات والمنافسات بين الرؤساء وأدعياء الرياسة على السلطان على القواعد والحصون ، وخاصة بلنسية ومرسية وشاطبة .

وقد آثرت لهذا أن أجمعها معاً ، وأن أجعل لها مقدمة واحدة هى عبارة عن تفصيل للحوادث التى عبرت بشرق الأندلس وبيان للدور الذى قامت به كبار الشخصيات التى ظهرت خلال هذه الفترة والتى سيجئ ذكرها فى هذه الوثائق ، وجعلت التعليقات الخاصة فى هوامش الوثائق .

---

(١) بياض بالأصل .

ونبدأ برواية أحداث شرق الأندلس فى هذه الفترة :

١ — بدأت الثورة العامة على المرابطين فى الأندلس من الغرب ، وقد قام بها أبو جعفر أحمد بن قسى ومن تبعه من المريدين ، وبدأوا نشاطهم بعملية معروفة هي مفاجأة حصن ميرتله والاستيلاء عليه من المرابطين فى صفر ٥٣٩ / أغسطس ١١٤٤ .

٢ — وأعقب ذلك مناداة أبى جعفر حمدين بن حمدين بنفسه أميراً على قرطبة فى رجب ٥٣٩ / ديسمبر ١١٤٤ ويناير ١١٤٥ .

٣ — ثم تزعم الثورة سيف الدولة بن هود فاستولى على قرطبة فى رمضان من نفس العام / فبراير ، مارس ١١٤٥ .

٤ — ومن قرطبة امتدت الثورة إلى مرسية حيث انتزى بها أبو محمد عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم اللورقى المعروف بابن الحاج ودعا لابن حمدين وخطب له خلال شهرى رمضان وشوال ٥٣٩ .

٥ — وطمع سيف الدولة بن هود فى مرسية فأرسل إليها أحد قواده وهو أبو عبد الله محمد بن فرج الثغرى ، فطرد منها ابن الحاج وأدخلها فى طاعة سيف الدولة بن هود .

٦ — ولكن أمر مرسية لم يدم للثغرى إلا قليلا ، فلم يلبث أهل مرسية أن أخرجوه من بلدهم وقدموا على أنفسهم أبا جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر الخشنى الفقيه فى آخر شوال ٥٣٩ « فتولى بالتدبير بقية العام وأشهرا من سنة ٥٤٠ ، وكان يقول فى قيامه بالإمارة : ليست تصلح لى ولست لها بأهل ، ولا كنى أريد أن أمسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجئ من يكون لها أهلا » . ثم خرج إلى شاطبة معيناً أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز على محاصرة من بها من الملثمين . ثم خرج بجيش عظيم إلى غرناطة معيناً للقاضى أبى الحسين بن أضحى على من بها من المرابطين ، وكانوا جماعة من خيرة المرابطين

ورجالهم فيهم عبد الله بن محمد بن على بن غانية ، فانتصر المرابطون وقتل أبو جعفر الخشنى بعد أن حكم مرسية الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة ٥٣٩ وثلاثة شهور من سنة ٥٤٠ ، وهذه الواقعـــة مشهورة معروفة بوقعة المصلى فى أواخر ربيع الأول ٥٤٠ .

٧ — ويضيف ابن صاحب الصلاة — برواية ابن الأبار — أن أبا عبد الله محمد بن فرج الثغرى كان قائداً بكونكة ، وأنه لما سمع بقيام أبي جعفر حمدين بن حمدين فى قرطبة « خرج إليه وأقام لديه » .

٨ — وفى ذلك الحين وصلت لابن حمدين رسالة من أهل مرسية تذكر أنهم أقاموا على أنفسهم أبا محمد بن الحاج ولكنه استعفى ، فعجل ابن حمدين وأرسل إليهم أبا عبد الله بن فرج الثغرى فقام بأمرها وقدم أبا جعفر بن أبى جعفر الخشنى المذكور قاضياً فى منتصف شوال ٥٣٩ . وطمحت نفس الخشنى للرياسة ، فحشد جنداً استولى بهم على أوريوله ، وغدر من كان بها من المرابطين بعد نزولهم بالأمان ، ولقب نفسه بالأمير الناصر لدين الله « وأسقط منه : الداعى لأمير المسلمين » ثم قبض على الثغرى وصهريه وسجنهم .

٩ — توجه ابن أبي جعفر بعد ذلك إلى شاطبة معينـا لأبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز على المرابطين ، فانتهز العامة فى مرسية فرصة غيـابه وأطلقت سراح الثغرى ، فهرب إلى كونكة حصنه الأصلى ، فعاد ابن أبى جعفر إلى مرسية وقضى على الفتنة ثم كر راجعاً إلى شاطبة ، فلما تم لابن عبد العزيز الاستيلاء على شاطبة وضمها إلى أملاكه عاد ابن أبى جعفر الخشنى إلى مرسية فى صفر ٥٤٠ .

١٠ — ثم خرج ابن أبى جعفر إلى غرناطة على ما رويناه ، وقتل فى وقعة المصلى ، فاتفق أهل مرسية على تأمير أبى عبد الرحمن بن طاهر القيسى ، فتولى أمرها ودعا لسيف الدولة بن هود أولا ثم لنفسه فى ربيع الأول ٥٤٠ /

سبتمبر ١١٤٥ ، وأقام على الخيل — أى على قيادة الجيش — أخاه أبا بكر ابن طاهر .

١١ — وقد حاول ابن حمدين — مرتين متواليتين — أن ينتزع مرسية من يدى ابن طاهر فلم يستطع .

١٢ — ولكن ابن طاهر أُتى من مأمنه ، ذلك أن نفراً من أنصاره دبروا عليه وكاتبوا أبا محمد عبد الله بن عياض صاحب بلنسية وأوريوله ، ثم ذهب وفد منهم للقائه فى أوريوله ودعوه لزيارة بلدهم ، وغفل ابن طاهر وحسب أنه ينتفع بصحبة ابن عياض ، وأقبل ابن عياض زائراً للبلد ، فما وعى ابن طاهر إلا والزائر يقتحم القصر دون مدافع وينادى بنفسه أميراً على البلد فى العاشر من جمادى الأولى ٥٤٠ / ٢٩ اكتوبر ١١٤٥ . واستخفى ابن طاهر ، « وعف ابن عياض عن دمه لعلمه بضعفه ، وكان مع شهامته حسن السيرة » .

١٣ — وطار صيت ابن عياض ، واشتهر أمره بالنجدة ، فكاتبه أهل بلنسية ، وعزلوا أميرهم ابن عبد العزيز واستدعوا ابن عياض وأمروه عليهم ، فأصبح أميراً على شرق الأندلس كله ، ولكنه كان يدعو لابن هود . وأقام ابن عياض على مرسية رجلا من رجاله سيشتهر أمره فيما بعد وسيسود شرق الأندلس كله بعد ابن عياض ، وهو أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش .

١٤ — وكان أبو عبد الله بن فرج الثغرى صاحب كونكة من رجال ابن عياض ، وكان يوجهه فى كبار مهامه ، « فأنفذه رسولا إلى الطاغية أذفونش ليعقد معه السلم ، ويمالئه على صاحب برشلونة ، فعاد من سفارته هذه وزعم أن أذفونش أمره على مرسية ، واستعان على دخولها بطائفة من أهل الفساد كانوا يشايعونه ، فتم ذلك وهرب أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش نائب ابن عياض فيها ، فلحق بلقنت وذلك فى أوائل ذى الحجة سنة ٥٤٠ / مايو ١١٤٦ .

١٥ — ولم تطل إمارة الثغرى على مرسية بعد هذه الخيانة ، وقد عثرت على قطع من العملة سكها باسمه تاريخها ٥٤٠ و ٥٤١ ، وقد قتل فى ظروف غامضة

لم يفصل أمرها المؤرخون فى ٧ رجب ١٣/٥٤١ ديسمبر ١١٤٦ ، وعاد البلد إلى ابن عياض ، وهذا هو موضوع التهنئة فى هذا الخطاب .

١٦ — وإتماماً لهذا الكلام نقول إن أمر ابن عياض لم يطل ، فقد كان الاضطراب أشد من أن يسمح لأحد من أولئك بطول العمر أو تمكن السلطان ، فقد قتل فى معركة له مع النصارى فى ٢٢ ربيع الأول ٢١/٥٤٢ أغسطس ١١٤٧ بعد أن ساد شرق بلنسية ومرسية عاما وتسعة أشهر وعشرين يوماً على قول ابن الأبار ، وانفرد بشرق الأندلس محمد بن سعد بن مردانيش حتى دخل فى طاعة الموحدين وسكنت فتن الأندلس حيناً(١) .

١٧ — أما محمد بن سعد بن مردانيش ، فهو الذى خلف أبا عبد الله عبد الرحمن بن عياض فى زعامة شرق الأندلس . وقد كان من رجاله ، وروى عبد الواحد المراكشى خبر اختيار ابن عياض لمحمد بن سعد لكى ينهض بعبء الجهاد بعده (انظر : المعجب ، طبعة القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٢٠٨—٢١٠)، ويناقض ابن الخطيب هذا الرأى (انظر : أعمال الأعمال ، طبعة بروفنسال ، ص ٢٩٨—٣٠١) ، وانظر : Codera. *Op. Cit.* pp. 111 sgg.

فإذا انتهينا من هذا الموجز اكتفينا بكلمة يسيرة عن كل من هذه الوثائق الأربع :

فالرسالة الخامسة من إنشاء أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز وقد بعث بها إلى عبد الرحمن بن عياض لمناسبة قتل محمد بن فرج المعروف بالثغرى ، وهى تدل على ما كان لابن عياض من المكانة فى نفوس معاصريه من صغار أمراء النواحى ، وذلك يؤيد ما قاله عبد الواحد المراكشى فى حقه ، وقد أشرنا إليه آنفاً .

والوثيقة السادسة عظيمة الأهمية والدلالة ، فقد كتبت عن لسان أبى عبد

---

(١) أنظر : الحلة السيراء لابن الأبار ، تراجم أبى عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان ابن عبد العزيز (ص ٢١٢—٢١٦) وأبى عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى (٢١٦—٢٢٣). و F. Codera, *Op. Cit.* pp. 89—110.

الملك مروان بن عبد العزيز الآنف الذكر ، وكاتبها يعطينا فيها صورة غاية فى الطرافة لأحوال شرق الأندلس كما صورها رجل عن لسان شخصية لعبت دوراً رئيسياً فى ذلك الحين ، ولاشك أن هذه الشهادة على لسان رجل شارك فى صنع الحوادث بالنصيب الذى رأيناه تعتبر وثيقة سياسية من الطراز الأول .

والوثيقة السابعة بقلم أديب كبير يغلب أنه أبو محمد بن خلصة ، كتبها عن أبى عبد الله محمد بن سعد بن مردانيش على ألسنة أهل شاطبة . وعبد الله ابن محمد المذكور فى هذه الرسالة هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن على ابن أخى أبى زكرياء بن غانية ، وكانت بينه و بين أبى عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز خصومة طويلة ، روى ابن الأبار أحداثها بالتفصيل ، ومن المفيد هنا أن نذكر كلامه بنصه ، قال :

« لما انتهى إلى بلنسية الخبر بقيام أبى جعفر حمدين بن محمد بن حمدين و بيعته بقرطبة وبجامعها الأعظم فى يوم السبت الخامس من شهر رمضان سنة ٥٣٩ ، وبانصراف ابن غانية عن لبلة — وقد أعجزه أمرها وتعذر عليه فتحها — اضطرب أهل بلنسية وواليها حينئذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن على ابن أخى أبى زكرياء بن غانية ، وقاضيها أبو عبد الملك هذا ولّاه تاشفين ابن على ابن يوسف فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٣٨ ، فاجتمعا فى الحين — على منافسة كانت بينهما فى الباطن — واتفقا على الائتلاف وترك الخلاف . وحضر الناس بالمسجد الجامع ، فقام فيهم مروان خطيباً يذكّر بجهاد اللمتونيين للروم ، ونصرهم للجزيرة واستنقاذهم بلنسية من أيديهم ، ويحض على التمسك بدعوتهم والوفاء لهم . ثم قام عبد الله بن محمد الوالى وتكلم بما حضره فى هذا المعنى ، وذكّر الناس بما انتظم بينهم وبين عمه من الصحبة ، وانفصلوا . فنُمِىَ إلى عبد الله من القول عن القاضى وغيره ما أزعجه . وليلةَ يوم الأربعاء الثامن عشر من رمضان أنفذ عياله وأثقاله إلى شاطبة ، وأصبح هو بالولجة فدار بينه و بين الجند ما أوجب تمزيق خبائه ، وللفور أخذ فى الفرار مع قومه . فلما

استقروا بشاطبة أغارت خيله على جهات بلنسية فاكتسحت ما وجدت ، وتظلّم الناس إلى ابن عبد العزيز ورغب إليه الجند والعرب ووجوه أهل البلد فى التأمر عليهم فأبى وقال : « اختاروا من شيوخكم من تقدمونه » ، فاتفقوا على بعض اللمتونيين الباقين ببلنسية بعد فرار عبد الله بن محمد ، وتمشَّت الحال على هذا أياماً . وأراد هذا المجتمع عليه من لمتونة أن يقبض على ابن عبد العزيز فلم يستطع ، ثم خامره الروع فلحق بشاطبة هو والباقون معه من أشياعه . وحينئذ وقع الإجماع على ابن عبد العزيز ، فاستخفى إلى أن انفرد به أبو محمد عبد الله ابن عياض قائد الثغر وعبد الله بن مرذنيش وقالا له : « هذا الأمر لا بد لك منه ، والرأى المبادرة » فقبل ذلك وتم . . . . والبيعة له يوم الاثنين الثالث من شوال . وولَّى عبد الله بن عياض الثغر وما والاه ، وضمَّ إلى نَظَره ما كان بأيدى أصهاره بنى مرذنيش قبل ظهورهم ، والملثمون أثناء ذلك يغيرون على الجهات ويعيثون فيما يجاورهم من البسائط والمعاقل ، فاستدعى ابن عبد العزيز أجناد الثغر ونهض بهم إلى منازلة شاطبة ، فانحدر الملثمون من قصبتها إلى المدينة ونهبوا الديار وسبوا النساء ، وقدم ابن عبد العزيز على هذه الحال يوم الجمعة الثامن عشر من شوال ، فكانت بينه وبينهم مواقفات ظهر فيها عليهم حتى لجئوا إلى القصبة منهزمين . ووصل أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر بعسكر مرسية فى آخر شوال ، فأقاما على حصار شاطبة متفقين فى الظاهر مختلفين فى الباطن ، وكل واحد منهما يرى أنه أولى بها . واضطربت مرسية اثر ذلك فتوجَّه إليها ابن أبى جعفر مصلحاً ومسكّناً ، ثم عاد إلى حصار شاطبة . ووصل ابن عياض بأهل الثغر مُعيناً لأميره ابن عبد العزيز ، فلم يجد عبد الله بن محمد بدا من الفرار ولحق بالمرية فى خبر طويل ، ومنها ركب البحر إلى أبيه محمد ابن على وهو بميورقة قد ملكها واستقر فيها برأى أخيه أبى زكريا يحيى بن على عند ثورة العامة باشبيلية منصرفه من حصار لبلة . ولما هرب عبد الله من قصبة شاطبة استولى عليها ابن عبد العزيز صلحاً فحصَّنها وعيَّن لها ضابطاً وصدر إلى

بلنسية ، فيقال إنه دخلها راكباً على جمل فى زى الجند ، وجُدِّدت له البيعة يوم قدومه وذلك فى صفر سنة ٤٠ . وانصرف ابن أبى جعفر إلى مرسية ثم قُتل على أثر ذلك بجهة غرناطة ، فانضافت لَقَنْت وأعمال شاطبة إلى ابن عبد العزيز . وعند استقلاله بالرياسة خانه الجند ولم تَفِ الجباية بالواجبات فتعلّلوا عليه بذلك وعزموا على خلعه ، وخاطبوا ابن عياض يستعجلونه فى الوصول إليهم من مرسية ، وكان قد ملكها بمداخلة أهلها وخلع أبا عبد الرحمان بن طاهر منها فى العاشر من جمدى الأولى من سنة ٤٠ المذكورة ، فلم يرع ابن عبد العزيز إلا إحداق الجند بقصره يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمدى الأولى المذكور ، وحكى ابن صاحب الصلاة أن ذلك كان فى الخامس والعشرين منه ، فخرج راجلا متنكراً وتدلّى من سور بلنسية ليلا واعتسف الطريق دون دليل حتى لحق بجبال المرية ، واجتمع بالقائد محمد بن ميمون فقبض عليه وقيّده وفاءً لبنى غانية ، وأقام عنده إلى أن دفعه إلى عبد الله بن محمد عدوِّ ابن عبد العزيز وطريده من بلنسية وشاطبة ، وقد ورد على المرية فى قِطَع ميورقة برسم اتباع العدوّ ، فعفّ عبدُ الله عن دمه واحتمله معه مقيَّداً ، ونقم الناس على ابن ميمون فعله . ويقال إن ابن عبد العزيز لما غدر به الجند فرّ إلى قلبيرة ثم رجع إلى بلنسية مستتراً ، ودخل داره القديمة فعُثِر على خبره وطُلِب حتى أُحْرِق بعض دوره ، فخرج ثانية مستخفياً إلى مرسية واقتفى أثره يوسف بن هلال إلى مقربة منها ففاته ، وأقام هو بمرسية ثلاثة أيام ثم خرج منها إلى المرية فقبض عليه ابن ميمون » .

ورابعة هذه المجموعة الصغيرة — وهى الوثيقة الثامنة — ذات أهمية لا تخفى على من يهتم بحوادث هذه الفترة ، فهى رسالة من أول قطب للفتنة فى شرق الأندلس ، الأديب أبى عبد الرحمن بن طاهر إلى ثانى أقطابها أبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز ، وهو يحاول أن يتظرف فيها بمداعبة المرسل إليه ونفر من أصحابهما ولا بد أن هذه الرسالة أرسلت فى زمن مبكر ، قبل أن تضرب الفتن بين أولئك الناس . وإشارة الرسالة إلى « الحكيم أبى جعفر » لا

تخلو من طرافة ، لأن أبا جعفر هذا هو أبو جعفر الخشنى الذى لعب فى تاريخ مرسية دوراً هاماً فصلناه فى الملخص السابق .

*

وهذا نص الوثيقة الخامسة :

٤٨٨ / ١٢٧ ا « وله إلى ابن عياض عند قتل الثغرى

إذا خِفْتَ أن تَعْيَى بداء منافق فلا طب إلا ما تقول الصوارم

أطال الله بقاء الأمــير الاجل المجاهد الأفضل فى سعد مكين وفتح مبين ونصر منجد معين ، ولا زالت الأمصار تنتظم فى سلكه ، وتلتحم فى مُلكه ، وتلتئم فى مِلكه .

العوارى ، أيّد الله الأميرَ ، مردودة إلى أربابها ، والجةّ من بابها ، راجعةٌ إلى الأَوْلى بها ، وربما اعتُبط الغادرُ بين عَلّه ونَهَـلِه ، وصُبِّح فى أهله ، والمكر السئ لا يحيق إلا بأهله .

وقد كان أبو عبد الله بن فرج رفع لغدرته لواءً ، وألّف أهواءً ، فما أمهله الله حتى ذهب كما يذهب الزبد جفاء ، فما بكته السما والأرض ، ولا ندبته السنة ولا الفرض . فاهْونْ بدمٍ ذهب هدراً مطلولا ، وكان أمر الله مفعولا . ما أوقد للفتنة ناراً حتى احترق فيهـا فَراشاً ، ولا استوى على السرير حتى توسد التراب فِراشاً ، فالحمد لله الذى أزاح شَغَبه ، وأتاح منقلبه ، وأباح صَقْبَه (١) ومُعْتَقبه ، على حين كان اشرأب للنفاق أَزَبَّ العَقَبَة (٢) ، فعقد الله سلماً وصلحاً ، وأعقب بفتح فتحاً ، فيابشراى فَلْحاً ونُجْحاً ، وتجارة أعقبت ربحاً ، وصله الله سعداً ،

(١) الصقب عمود البيت أو العمود الأول فى وسطه (القاموس المحيط ، مادة : صقب) والمراد هنا : هَدَّ ركنه وقضى على عقبه .

(٢) إسم شيطـان مشهور ورد ذكره فى حديث منسوب إلى عبد الله بن الزبــير . (أنظر : القاموس المحيط ، مادة : زبب) .

يُنْجِز له فى أعدائه وعـداً ، ويأتيه بالآمال تزحف إليه ركضاً وشدًّا ، وأبلَغ حضرتَه سلاماً ينفح نَدًّا ، ويخدم بساطه عبداً ، والسلام » .

*

وفيما يلى نص الوثيقة السادسة :

٤٨٨/١٢٥ ا « لما بايع أهل شاطبة ابنَ عبد العزيز، وبايع أهلُ مرسية ابنَ أبى جعفر ، اتصل بابن عبد العزيز أن ابن أبى جعفر يخاطب ابنَ عياض ويداخله ، استظهاراً على ابن عبد العزيز ، كتب عن أهل شاطبة إلى أهل مرسية

أطال الله بقاكم ، وَرِهمَكم[1] الإصلاحُ ما استطعتم ، وكَفُّ الأذى حيث سلكتم ، وأية راية اتبعتم . ولا زلتم تنظرون فى العواقب ، نظرَ المتقى لله المراقب ، وتدعون إلى التواصل والتظافر ، وتَنْهَوْن عن التخاذل والتنافر ، وتَصِلُون أسباب السلم والسلام ، وتحفظون معالمَ الشريعة والإسلام .

وبعد أيُّهَ[2] الإخوان والجيران ، فإنا لا نوقظكم نياماً ، ولا نقص عليكم أحلاماً ، إنما نذكركم مومنين ، ونخاطبكم موقنين بأنا وإياكم فى طاعة الله متفقون ، وإلى ما يُرضى الله تعالى مستبقون . وقد علمتم — وفقكم الله — أن لكل مقام مقالا ، ولكل زمان رجالا ، وأن الأيام تنتقل حالا فحالا ، فلا الحرصُ ينفع الحريصَ ، ولا الحذر يُنجى القنيصَ ، وربما لعبت [الأوهام][3] بالألباب ثم انجابت غياهبها عن العُجاب .

وقد تداوَلَتْ — وفقكم الله — هذا الشرقَ — حرَسَه اللهُ — أيدى أملاكٍ ، على انفرادٍ تارة و [تارة] على اشتراكٍ ، فعابرٌ وغابر ، ووارِدٌ وصادر ، كلٌّ عَمِل

(١) الشكل فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو يريد : أيها .

(٣) كلمة « لعبت » — فى آخر السطر — وما بعدها غير واضح ، فغلب على ظنى أن هنا موضع كلمة ناقصة ، فوضعت هذه ؛ والسياق على أى حال لا يستقيم إلا بشىء فى معناها .

على شاكلتـه ، ووقف عند غايته ، ومرْكَزِ رايته . وقد آلت الآن — وفقكم الله — الحـالُ إلى ما يُغنى فيه العيانُ عن إقامة البرهان : فتن يا كل بعضُها [١٢٥ ب] بعضاً وتطأ ارجاءه [ ](١)
وتُرْفَضُ شرايِعُه رفضاً ، فَنَاجٍ يمشى القهقرى ومستهلِكٌ يشد ركضاً [ ]ـعْدٍ بكل والاء(٢) وفى كل ناد من حاضر وباد ، فحَقٌّ واجبٌ علينـــا وعليكم ، متقرر لدينا ولديكم ، صلة أسباب الولاء ، وإطفـاء جمرة الشحناء ، والتواصل فى مجاهدة الأعداء ، وكف يد البغى والاعتداء ، لعل الله يدفع بالاتِّـفاق فى صدر النفاق ، ويحسم بالائتلاف أدواء الخلاف ، فتتصل أيدينا بأيديكم اتصال الساعد بالعضد ، والغارب بالكتِد(٣) ، فنرمى الكفار عن قوس واحدة ، وعن أغراض متعاضدة متعاقدة ، ونستدعى الظفر من أبوابه ، ونعتلق النصر من أسبابه .

وقد تقرر لديكم كيف امتَحَن الله قطرَنا وابتلاه ، وذهب أسفلُه بأعلاه ، ورماه من عبد الله بن محمد — أهلكه الله — بمـــا رماه ، متمرد استشرى وأشِرَ ، واصاب الفرصةَ فاستنسر ، وقتل وأسر ، واستباح الأموالَ والعيال ، وقتل الشيوخ والأطفال ، وانتهك الحُرَم ، واستحل الحرام والحَرَم ، وخَرَّبَ وحَرَّق ، وشتت الجماعة وفرّق ، وأعجل الحامل قبل تمامها فوضعت ، وأذهل المرضَعَ عما أرضعت ، فلولا دفاع الله بالأمير الأجل الملك الأفضل أبى عبد الملك(٤) — أيده الله وأعلى يده — لهُدِمَت صوامعُ(٥) وبيَعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله

---

(١) بقية السطر مطموس لا يبين منه إلا ألفاظ قليلة شككت فى صحة قراءتها .

(٢) مكان القوسين مطموس تماماً فى الأصل ، وهذه اللفظة غير واضحة تماماً ، وقد رسمتها أقرب ما يكون إلى الأصل .

(٣) الكسرة تحت التاء فى الأصل ، والقاموس المحيط يجعلها الكَتَد بفتحتين ، وهو « مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس . أو هما الكاهل ، أو ما بين الكاهل إلى الظهر » .

(٤) المراد هنا أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز . لاحظ تلقيبه فى الرسالة « بالأمير الأجل الملك الأفضل » ، هذه أول مرة نقرأ فيها مثل هذا التلقيب المفخم فى الأندلس .

(٥) أى مآذن .

كثيراً ، ولاستأصل القتلُ منا صغيراً وكبيراً ، لاكنه — بفضل الله وتأييده — وافانا والقتل فينا ذريع ، والكل منـا طريح أو جريح ، قد ألقينا بأيدينا إلى التهلكة ، واستسلمنا إلى الهلكة ، فما هو إلا أن رأينا أعلامـــه ، وجاء الفرج يزحف أمامه ، وثُنِيَتْ عنا صدورُ الرماح والشفار ، واستصرخنا : ياللثار ! ومرحباً بالأنصار ! فهل نحن — أعزكم الله — إلا مماليكه وأرِقَّاؤه ؟ وإن مَنَّ فطلقاؤه وعتقاؤه ؟ استصرخناه فنصر ، وجـد وشمر ، ما ونى ولا قصر ، فله — أيّده الله — فى أعناقنا ربقـة بيعة مشدودة معقودة ، مددْنا بها الأيمْـان ، وقَرَنّـاها والإيمان ، ثم لا نزال بحمد لله نوكّـدها ارتباطاً واغتباطاً ، وجهاداً معه ورباطاً ، وعدلا فى حكم الوفاء له وإقساطاً ، فمـــا ظنكم — أعزكم الله — وقد غمرنا إحسانُه ، وشملنا امتنانه ، وأصبحنا جميعاً ونحن عِبْدَانُه ، أنغمط آلاءه ونكفر نعماءه ؟ لقد ضللنا إذا وما نحن بمهتدين . فانظروا — أعزكم الله — بعين الإنصاف فى ما أوردناه ، هل تجـاوزنا الحق أو تعديناه [١٢٦ ا] [ ][1] وأثرتم [ ][1] كم بالعرف لا بالنكر ، فلا جَرَم أنكم نظرتم لأنفسكم النظر الأرشد ، واقتفيتم المذهب الأقصد عندكم الأحمد ، فكل منا ومنكم يُسْنَد إلى ركن عنده وثيق ، ويعتصم بذِروة وَنِيق[2] ، ويسير على مذهب لايح له وطريق ، ويرجع إلى حزب من أوليائه وفريق . فاعملوا إنا عاملون ، واغتبطوا إنا مغتبطون ، وسلام عليكم ، لا نبتغى الجاهلين إخواناً وخلاناً ، وأنصاراً فيما يرضى الله وأعواناً ، وأمناً وإيمـاناً .

ثم إنَّ لاَرِدَةَ — حرسها الله — كما علمتم ، مِجَنُّ هذه البلاد ، وسبب الصلاح فيها أو الفساد ، وذو الوزارتين القائد الأجل أبو محمد بن عياض قوام أمورها ، ونظام تدبيرها ، بها تأمن تلك الأرجاء ، ويقوى — بحول الله — فى بقائها الرجاء ، فمتى شُغل عنهـا وخرج إلى سواها منها ، لم يومن عليها هجومُ

---

(١) مواضع ممحوة بالأصل .
(٢) النيق — بالكسر — أرفع موضع فى الجبل ، القاموس .

العدو مع المساء والغدو ، فالحزم ألا يفارق ذلك الثغر المهم إلا بعد صُلْح ينعقد ويتم ، وقد اتصل بنا الآن ما أقلق النفوس ونعى إلى المناكب الرؤس ، بمداخلة مِن عندكم كادت تثير فتنة عمياء صماء ، يخرق بها العدو ما لا يُرقع ، وينهدم بها هذا الشرق أجمع ، بالله ندفع فى نحر ما نخشى ونتوقع ، إلى أشياء سواها ، فى قبيلها ومغزاها ، لا يتقبلها الله ولا يرضاها ، عقارب فساد تدب دبيباً ، وتسعى بعيداً وقريباً ، وقد أودعنا رُسُلكم إليكم فلانا وفلانا وفلانا ما ينهونه جُمَلاً وفصولا ، ويوردونه فروعاً وأصولا ، فاستعلموا — أعزكم الله — أغراضهم ، واستلمحوا إفصاحهم وإيماضهم ، فقد حَمَّلْناهم كلامنا ، وأطلعناهم مـا وراءنا ، والله يوفقكم وإيانا إلى ما يغلق أبواب الفتن ، ويقطع أسباب المحن ، ويمحو السوء بالحسن ، آمين بعزته . وتَبَلَّغُوا — أعزكم الله — السلام جزيلا حفيـــلا ، والسلام مردداً موصولا ، ورحمت الله تعلى وبركاته » .

*

وهذا نص الوثيقة السابعة :

٤٨٨/١٢٨ « وله إلى الأمير أبى عبد الله بن سعد على ألسنة أهل شاطبة

أطال الله بقا الأمير الأجـــل الهمام الأكمل ، فى حصن من دفاع الله حصين ، وربوة من آلائه ذات قرار ومَعين ، وجيش من نصره وتأييده منجد له مُعين ، ولا زال يريش فى الله تعلى ويَبْرى ، ويَطِبُّ أدواء الثغور فيشفيها ويُبْرى . قد علم — أعلى الله أمره ، وأعز نصره — أن الشفيق بسو الظن [ ](١)زم لا يُسْتَفَزّ(٢) فى رأيه ولا يخدع ، ثم بالله نَدْفَعُ فى نَحْرِ ما نخشى ونتوقـع ، وقد اتصل من حف[ ]ق(٣) بَدَّدَه الله ود[ ](٤) وقطع به

(١) بياض بالأصل .
(٢) وردت الكلمة فى الأصل فى آخر السطر ناقصة بدون حرف الزاى ، وقد أضفته .
(٣) بياض فى الأصل .
(٤) بياض فى الأصل ، موضع كشط .

دون ما أظهره وأضمره مـا ارتاع له الأقرب الأدنى ، والأبعد الأقصى ، كل يتوقع أن يكون غر[ض] سهـامه ، وجَزَر حسامه ، وما تَضُرُّ أخا الشهـامةِ الحزامةُ ، ولا تسلم به الملامة ، وقد خندق رسول الله صـ[لى الله عليه] الخندق ولبس اللامة ، ومن أنصاره الملائكة المسومون ، وجنود الله المعلمون ، وبيوتُنا عورة ، والحرب خدعة أوْ غرة ، وإن كنا نسند من آراء الأمير الأعلى ، أعلى الله يده ، إلى الركن الشديد والنظر السديد [ ] القُلَّب المبدى المعيد ، فإنا نعقدها — كما قال عليه السلام — ونتوكل ، ولا نرتضى ما ياتيه النؤمة الوكل ، وإنه وحفايرنا محتاجة إلى نظر يتجدد ، وعدة تدخر وتعد ، والرعايا — أعلى الله كعب الأمير — شُرُدٌ مُرُدٌ لا تساق إلى مراشدهـا ، وتُحْدَى إلى مواردها إلاّ سواق الابل الجُرب إلى الهناء ، والغريم العديم إلى القضاء ، فضراعَتُنَا إلى [الأمـير] — وصل الله تأييده — [ ][1] يقطع العُدَد ويحصن البلد ويحمل الناس على اقتناء الأسلحة ، ويثوب فى نادينا بالمصلحة ، فتنفذ أوامره فى طاعة الأمير ، ومصالح الجماء الغفير ، وتبلغ النفسُ عذرَهـا فى الاجتهاد ، والاستعداد للجهاد ، والاستظهار على الأعادى ، والله يفــل دوننا جيوش العوادى ، الروايح والغوادى ، ويدفع عن الحاضر منا والبادى ، ويطيل عمر الأمير الأجل مصلحاً للفساد محصناً للبلاد ، مقيما للمعوج المنآد ، آمين بعزته والسلام » .

*

وفيما يلى نص الوثيقة الثامنة :

« رسالة لابن طاهر إلى ابن عبد العزيز ٤٨٨ / ١٠٨ أ

سيدى الأعلى ، وظهيرى فى الجُلّى ، أطال الله بقاءك ، وأدام تمكينك وعَلاءك . تابعْتَ إلىّ — أعزك الله — مطالعتك الكريمة بعادتك من البر

---

(١) هذه الفقرة مطموسة تماماً ، وقد يستقيم المعنى لو وضعنا مكانها : أنْ .

والفضل ، فكان لها موقع القطر فى زمن المحل ، ورأيتَ ما آل الأمر إليه بوقوع الحرب ، وشروع النقب ، وأنه وضعَت الملاطيس[١] ، فقلتُ : الآن حمى الوطيس وأرجو أن يُصْحَب الوطَرُ ، ويُسْعِفَ القدر ، بحول الله وقدرته .

وحُدِّثْتُ أنه دعيتَ إلى نزال ، فكنتَ أولَ نازل ، فقلتُ لمحدثى : أمُجِدٌّ أنت أم هازل ؟ سيِّدى — أعزَّه الله — أشدُّ بأساً وأعز نفساً ، من أن يُرَى يوم جلاد ، إلا على ظهر جواد ، فإن لبس زَغْفاً ، هزم ألْفاً ، وإن تقلَّد صِمصامه ، لم يبق هامَه ، ولكنى أذكر هذه الشهامة بقول أبى دُلامَة :

ولو أن بُرْغُوثاً على ظهر قملة تكر على صَفَّى تميم لولّتِ

وودتُ — أعزك الله — أنِّى أنظر عند الصيحة إلى الحكيم أبى جعفر ، فتُجلى العين منه بأحسن مَرْأً ومنظر ، لا سيما وقد صف مراهمه ، وجمع دراهمه[٢] ، وأما جارنا أبو الخطاب فبين القنا الخطّار ، وخَصَصْتهما بالتقديم للصداقة والجوار ، وأما صَفِيُّنا الفقيه أبو مروان ، فرايح فى قميصه المدلوك[٣] ، وعليه نصف جلجل من الوشْى المحوك ، ونترك ساير الإخوان ، لغير هذا الزمان . بقيتَ نِظاماً للجميع ، فى ثوبى عز وترفيع » .

الوثيقة التاسعة

نشرت فى أحد الأبحاث السابقة نموذج أمر بتعيين قاض فى إحدى النواحى ؛ وليس لدى من جديد أضيفه فى التعليق على الوثيقة التى أقدمها هنا ، وهى نموذج أمر ثان مشابه للأول ، لا يختلف عنه إلا فى قليل .

---

(١) الملاطيس جمع مِلْطَس ، وهو المعول الغليظ لكسر الحجارة ، أو حجر يُدَقُّ به النوى كالملطاس .

(٢) هذه الفقرة تعطينا فكرة عن رأى الناس فى أخلاق أبى جعفر الخشنى ، وخاصة أصحابه .

(٣) دلكه بيده مَرَسَه وَدَعَكه .

٤٨٨ / ١٨١ « كتاب صك

كتاب ترفيع و إظهار أمرَ بعقدِه الرَّييس(١) الأجَلّ أبو فلان ، للفقيه صاحب الأحكام فلان بن فلان(٢) ، تَوَلاّ(٣) فيه شَدَّ أزره وعَضْدَ أمره ، والإشادةَ برفعة مكانه ، والإطلاقَ من يده ولسانه ، والارسال لشأوه وعنانه ، فى ما عُصِبَ بدينه المتين ، وإدراكه المكين ، ونِيطَ بمضايه ، وقُلِّد يمين انتضايه ، من القضا بجهات فلانة وفلانة [٨٧ ب] لِيُنْفذَ الحقوق غير مرتاب ، ويجاهرَ فيها غير مُحَابٍ ، ويأخذ الواجبات بقوة ومُنَّة ، ويقيمَها على السَّنَن الصالح والسنة ، مقتديا فيما يُحْكِمُه ، ومُعَوِّلاً فيما يمثله ويرسِمُه ، على الطريقة الواضحة ، والجادة اللايحة ، التى مضى عليها العمل وتداولته السير ، وتَلاَزَمَ بها النظرُ ، غير عادل عن سوايها ، ولا ناكب عن مادةِ استوايها ، مستضيئاً بالكتاب الكريم ، مقتفياً للسَّنَن القويم ، موثراً لما وقع عليه الإجماع ، وذَلَّلَه الاستنباطُ والاختراع . فمن قراه وقرئ عليه من المسلمين بالمواضع المذكورة ، حرسها الله وأبقاهم ، فليوقِّر نِصَابَه ، وليشكر منابه ، وليقدِّم أدابه ، وليرض بما تَوَجَّه عليه من قضاه ، ولينفر إلى أحكامه وافقت أو خالفت رضاه ، مما يذهب مع الحق ويسلك مسلك الصدق . ومن استخف بشئ من أوامره ونواهيه ، أو تعرض إلى أدنى صغيرة من مُنَاقَضة مقاصدِه ومناحيه ، فقد تعرض لمولم الانكار ، واستوطأ مركب العثار ، واستمرّ على مريرة القس والأحبار ، وبالله التوفيق لا رب غيره » .

حسين مؤنس

---

(١) كذا بدون همزة . والرييس الأَجَلّ أو الريِّس الأجل ، أو الرائس الأجـل ، هو اللقب الرسمى الذى كان يخاطب به أولئك الذين كانوا يستقلون بناحية صغيرة ويدخلون فى نفس الوقت فى حماية أمير كبير من أمراء الطوائف .

(٢) لاحظ تكنية إسم الرئيس وذكر اسم القاضى دون تكنية .

(٣) كذا فى الأصل ، وهى صورة إملائية شائعة فى هذه النصوص .

ملحق ١

صفحة ١٢٠ من المخطوط ٤٨٨

[ ](١) يشتمل على ضروب من الآداب والأشعار لعلماء جلة يطول تفصيل أسمائهم وتنويع مقاصدهم وأنحائهم منها تأليف للفتح بن خاقان فى ذكر الفقيه أبى محمد بن السيد يحتوى على [قدر](٢) عظيم من آدابه ومراسلات بينه وبين جماعة من أدباء عص[ره](٣) وقطعة صالحة من فاخر شعره ومن رسايل الفتح بن خاقان ورسالة عن أمير الم[سلمين](٤) يعقوب (٥) بن تاشفين لتميم ابن المعز فى فتح المغرب وهزيمة أذفونش طاغية [ ](٦) ورسالة لابن شرف فى فتح أقليش ورسالة من قاضى سرقسطة لبنى تاش[فين](٧) الحصار ورسالة ابن أبى الخصال لقبر النبى عليه السلام وأخرى فى معناها لابن السيد ورسايل لابن أبى الخصال ورسالة للمنفتل الشاعر ورسايل عن أمير المسلمين ابن تاشفين لابن أبى الخصال وغيره ورسالة من أمير المؤمنين المستظهر بالله لابن تاشفين ورسالة لابن حسان ورسايل لأدباء شتى ومقامات للفتح بن خاقان وغيره ومن شعر ابن أبى الخصال وشعر منظوم فى صداق لابن علقمة وقصيدة لابن الخصم وقصيدة لابن عبد الصمد يرثى المعتمد وقصيدة للبستى ومن شعر ابن عمار وقصيدة لابن اللبانة يرثى المعتمد وقصايد له وشعر لابن زيدون ورسالة الانتصار لابن أحمد(٨) ورسايل لابن طاهر ورسالة لابن القلاس وقصيدة لابن حبيب ومن كتب ابن عبد العزيز مغاور وتعزية لأبى إسحاق بن فرقد واختصار رحلة ابن

---

(١) كلمة ناقصة عسرة القراءة . والسطر السابق على هذا كله ممحو .

(٢) ما بين القوسين لازم لفهم العبارة .

(٣، ٤) ما بين القوسين ممحو فى الأصل وما أثبتناه فى الموضعين هو ما يقتضيه سياق العبارة .

(٥) كذا فى الأصل وصحتها يوسف بن تاشفين .

(٦، ٧) ما بين الأقواس فى الموضعين ممحو فى الأصل وما أثبتناه فى (٧) هو تتمة مناسبة لمبدأ الكلمة .

(٨) كذا فى الأصل ، وصحتها لأبى حيان .

أهل سبتة لأهل الجزيرة الخضراء ومضحكات وغرائب . بالله يثق وعليه يتوكل ويعتمد مالكه محمد بن يوسف بن محمد .

وفيه رسالة للامام الخونجى فى المنطق ورسالة لابن أبى الصلت فيه أيضاً وفيه المراسم الجدلية ومسائل من أصول الفقه والحمد لله حق حمده .

كان من دعاء بعض الصالحين : اللهم لا تجعلنا بثنا [ء] الناس مجتدين[(١)] ولا بألسنتهم مفتونين واجعلنا ممن يؤمن بلقايك ويرضى بقضايك [ ][(٢)] بعطايك ويخشاك حق خشيتك يامن بلغ أهل الخير الخير وأعا [نهم][(٣)] أصلحنا وأعنا عليه ياملك يانور يامن ليس له بديل .

---

(١) الكلمة غير واضحة فى الاصل .

(٢) ما بين القوسين ممحو فى الاصل .

(٣) لم يظهر من هذه الكلمة غير الحروف الثلاثة التى قبل القوس ، وما بين القوسين ممحو بالاصل .

مصحف مذهب من العصر الغرناطى

بخزانة كتب الفقيه السيد محمد بن داود بتطوان

تقدمت الدراسات الخاصة بالفنون والآثار الإسلامية الإسبانية فى السنوات الأخيرة تقدماً ملحوظاً وحظيت بعناية علماء الآثار والمتخصصين فيها ، غير أن هذه العناية لم تشمل — للأسف الشديد — مختلف المنتجات الفنية الإسلامية إذ اقتصرت على أنواع معينة منها ، وظلت الأنواع الأخرى فى حاجة إلى كثير من العناية والاهتمام والتوفر على دراستها ، ولعل الأمر فى ذلك راجع إلى كثرة ووفرة القطع الفنية التى وصلت إلينا من المجموعة الأولى مما ساعد على دراستها وقلة ما نعرفه عن المجموعة الثانية ؛ الأمر الذى يقف حجر عثرة فى سبيل دراسة الأساليب الفنية والعناصر الزخرفية وتطورهـا على مر العصور ، وكل هذا من شأنه أن يجعل من الصعب علينا تأريخ القطع الفنية ويعرض استنتاجاتنا وأحكامنا للتغيير والتبديل المستمر .

وفن التذهيب أحد هذه الميادين التى لا نعلم عنها الكثير ، إذ قليل ما وصل إلينا من المخطوطات الفنية ومن هذه : مخطوطة فى جامع القيروان تؤرخ من القرن ٥ هـ (١١ م)[١] وبعض أوراق من مصحف من القرن ٦ — ٧ هـ (١٢ — ١٣ م)[٢] ومصحف من القرن ٧ هـ (١٣ م) كان فى مجموعة مارتن[٣] وآخر فى مكتبة الدولة بميونخ[٤] . ولدينا مصحفان مؤرخان من القرن ٨ هـ (١٤ م) تاريخ أحدهما — وهو محفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس —

---

(١) Migeon: *Manuel d'art Musulman* (1927) p. 120

(٢) Dimand: *Handbook of Mohammedan Art* (1947) p. 69 fig. 39

(٣) Kühnel: *Maurische Kunst* (1924) Pl. 136 ibid: *Jslamische Kleinkunst* (1925) fig. 39

(٤) Kühnel: *Op. Cit.* Pl. 137—138; *Op. Cit.* fig. 16

٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م)(١) (شكل ١١ — ١٢) وتاريخ الآخر ٨٠١ هـ (١٣٩٨ — ١٣٩٩ م)(٢) وعلاوة على هذين المصحفين المؤرخين ، نجد جزءا من مصحف من نفس القرن فى متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد(٣) (شكل ١١ — ١٢) وجزءاً آخر فى مجموعة الفقيه السيد محمد بن داود بتطوان وهو موضوع هذا البحث . ووصل إلينا كذلك مصحف من القرن ٩ هـ (١٥ م) ينسب إلى غرناطة أو فاس وكان فى مجموعة أوبنهيم(٤) . وفى مكتبة الاسكوريال مصحف بديع من القرن ١٠ هـ (١٦ م) تاريخه ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) وهو المصحف المعروف بمصحف مولاى زيدان(٥) وبكل من دار الكتب المصرية(٦) ومكتبة وجامع الجزائر(٧) مصحف من هذا القرن ١٠ هـ (١٦ م) ، وتحتفظ دار الكتب المصرية أيضاً بمصحف من القرن ١٢ هـ (١٨ م) تاريخه ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م)(٨) .

وهكذا نرى أن مجموعة المخطوطات المذهبة المعروفة لنا ترجع إلى مختلف القرون وتمثل بذلك الإنتاج الفنى على مر العصور ، غير أنها من القلة بحيث لا تفى بالغرض المقصود من الدراسة التى ترمى إلى معرفة مختلف الأساليب الفنية والعناصر الزخرفية التى لجأ إليها الفنانون المسلمون فى أسبانيا أو المغرب لزخرفة المخطوطات وتزيينها بالرسوم وتطورها ؛ تلك الدراسة التى تحتاج إلى توفر المخطوطات لكى نطمئن إلى صحة النتائج التى نصل إليها ، ولذا فإننا لا زلنا فى حاجة إلى

(١) Blochet: *Les Enluminures des Manuscrits Orientaux* (1926) Pl. XVII ; Migeon: *Op. Cit.* p. 120

(٢) Lévi-Provençal: *Note sur un Qor'ân Royal du* XIV *siècle.* Hespèris (1921) T. I, 1er Trim. p. 83—6

(٣) Glück & Diez (Gómez Moreno) *Arte del Islám* (1932) Pl. LVI. p. 752

(٤) Kühnel : *Op. Cit.* Pl. 139; *Op. Cit.* fig. 5; Migeon. *Op. Cit.* p. 119

(٥) Kühnel: *Op. Cit.* Pl. 140; Migeon *Op. Cit.* p. 120 fig. 8—9 Lévi-Provençal: *Les Manuscrits Arabes de l'Escorial* (1928) T. 3° Pls. 1—2

(٦) Migeon: *Op. Cit.* p. 119

(٧) Migeon: *Op Cit.* p. 120

(٨) Kühnel: *Maurische Kunst* Pl. 141; Migeon *Op. Cit.* p. 120

نشر كل ما يمكن أن نعثر عليه من هذه المخطوطات سواء أكانت فى المكتبات العامة أو الخاصة أو المتاحف حتى تتاح لنا الفرصة لتكوين فكرة صحيحة بقدر الإمكان عن هذا النوع من الإنتاج الفنى الإسلامى فى إسبانيا أو المغرب .

ويسرنى أن أساهم فى العمل على تحقيق هذه الغاية بالتحدث عن جزء من مصحف مذهب عثرت عليه فى عام ١٩٥٢ فى مكتبه الفقيه السيد محمد بن داود بتطوان وقد سمح لى مشكوراً بدراسته وتصويره كما تفضل فوافق على نشر صوره .

وأوراق المصحف من رق غزال عاجى اللون به آثار رطوبة ويشتمل على ٣٤ ورقة أبعادها ١٨,٧ × ١٦,٥ سم وبه صفحتان مذهبتان هما ورقة ١ ا (شكل ١) وورقة ٣٤ ب (شكل ٢) عـلاوة على العناوين المذهبة وسائر العناصر الزخرفية التى اعتاد المذهبون أن يرسموها فى المصاحف مثل فواصل الآيات وعلامات الأعشار والأخماس والإطارات المشتملة على عناوين السور وبعض العناصر الزخرفية فى هوامش الصفحات .

والجزء الذى عثرنا عليه هو بعض من الجزء التاسع والأربعين من المصحف على ما جاء فى الورقة ٣٤ ب إذ نجـــد النص الآتى : « كمل الجزء التاسع والأربعون بحمد الله وعونه » (شكل ٢) . ونلاحظ أن التقسيم المغربى هذا يخـالف التقسيم الشرقى للمصحف إذ أن آيات السور الواردة به وهى سورة الشورى ورقة ٥ ا وسورة الزخرف ورقة ٢٨ ا (شكل ٤) تقع فى الجزء الخامس والعشرين من التقسيم الشرقى للمصحف .

وقد استخدم الكاتب نوعين من الخط (شكل ٣ ورقة ١ ب) الأول خط أندلسى جميل لكتابة آيات السور ، وقد اعتاد الخطاط أن يكتب فى الصحيفة الواحدة ستة أسطر وذلك فيما عدا الصفحات التى نجد بها عناويناً أو إطارات مذهبة إذ يقل عدد الأسطر عن ستة وتتراوح مساحة الجزء المكتوب بين ١٣ — ١٥ × ١٢ سم ؛ أما النوع الثانى من الخط فهو الكوفى كتبت به عناوين

السور أو التعويذة أو البسملة . . . الخ . وقد كتبت الحركات بالمداد الملون فاللون الأحمر للفتحة والكسرة والضمة واللون الأخضر أو الأزرق الضارب إلى الخضرة للسكون والشدة .

وفواصل الآيات على شكلين ، الأول دائرة مركزها نقطة حمراء ومقسمة إلى ثمانية أقسام أو فصوص ملونة باللون الذهبى ، وبمحيطها ثمان نقط حمراء وخضراء على التوالى (شكل ٤) . والشكل الآخر على هيئة نصف قلب تقريباً (شكل ٥ ورقة ٢٥ ب) . وقد اتخذ الخطاط للأعشار علامة تخالف علامة الأخماس فعلامة الأعشار أربع دوائر متحدة المركز الأولى من الداخل ذات لون بنى مكتوب داخلها لفظ عشر والثانية زرقاء اللون والثالثة مقسمة إلى ثمانية أقسام ذهبية اللون والرابعة زرقاء (شكل ٤) . أما علامة الأخماس فدائرة يعلوها شكل مثلث بداخله زخرفة بسيطة كأنها فرع وورقة نباتية (شكل ٥) قريبة الشبه بالزخرفة الموجودة فى زوايا المربع الأوسط فى شكل ٢ .

ومن العناصر الزخرفية الأخرى التى استخدمها المذهب فى تزيين هوامش الصفحات دائرة مكونة من أفرع نباتية متداخلة متشابكة وقد اعتاد أن يربط بينها وبين العناوين كما فى (شكل ٤) أو الإطارات كما فى شكل ٦ (ورقة ٣٤ ا) والإطار هنا مستطيل الشكل أبعاده ٤, ١٢ × ٩, ٣ سم . بضلعه الأعلى عقدان مفصصان وبداخل المستطيل عبارة « صدق الله العظيم » مكتوبة بالخط الكوفى .

وإذا كان الإطار السابق بسيطاً خالياً من الزخرفة فإن الإطار المرسوم فى الورقة ١ ب (شكل ٣) غنى بها وهو على هيئة مستطيل أيضاً نقرأ بداخله « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » بالخط الكوفى الجميل على أرضية من الأفرع النباتية الملتوية والأزهار الطبيعية المتقنة ويحيط بهذا إطار به عصابة مجدولة . ويخرج من زواياه خطوط قصيرة .

وزخرفة الورقة ١ ا (شكل ١) عبارة عن دائرة داخل مربع أبعاده ١٢,٣ × ١٢,٢ سم . أما الدائرة فمركزها عبارة عن نجمة ذات ثمانية أطراف فراغها مزين برسوم توريق أى الأفرع النباتية المتداخلة ، وتمتد أضلاع النجمة إلى الخارج فيتكون عن هذا الامتداد أشكال مستطيلة تظهر أضلاعها المقابلة لأطراف النجمة كأنها عقود نصف دائرية أقواسها غير تامة إذ تمتد أقسام الأقواس إلى الخارج مرة أخرى مكونة عقوداً مدببة تخرج منها خطوط إلى اليمين وإلى الشمال فتتقابل مكونة أشكالا مربعة ، ويتكون من هذه الخطوط محيط الدائرة التى تظهر مساحتها كأنها مملوءة بالخطوط المتداخلة والمتشابكة ، وقد ملئ الفراغ بينها برسوم الأفرع النباتية . أما الرسوم المحصورة بين زوايا المربع ونقط تماس الدائرة بأضلاعه فعبارة عن توريق ويحد هذا كله إطار به عصابة مجدولة تشبه تلك الموجودة فى الإطار المرسوم فى الورقة ١ ا (شكل ١) ويخرج من زوايا المربع الخارجية خطوط قصيرة ، كما نجد زخرفة من توريق فى هامش الصحيفة وخارجة من أحد الضلعين القائمين للمربع .

أما زخرفة الورقة ٣٤ ب (شكل ٢) فمن دائرة أيضاً بوسطها نجمة متعددة الأطراف بداخلها النص الآتى « كمل الجزء التاسع والأربعون بحمد الله وعونه » الذى سبقت الإشارة إليه . والفراغ المحصور بين هذه النجمة ومحيط الدائرة مملوء بأشكال هندسية متنوعة ورسوم عقد على أرضية مورقة . وقد زين الفراغ المحصور بين زوايا المربع والدائرة برسم ورقة نباتية على هيئة قلب يخرج منها فرعان نباتيان . أما الإطار الخارجى للمربع فمزخرف برسوم توريق من فرع نباتى ملتوى يخرج منه نصف مروحة نخيلية . ويخرج من زوايا المربع الخارجية خطوط قصيرة وكذلك نجد الزخرفة من التوريق بهامش الصحيفة ومتصلة بأحد ضلعى المربع القائمين .

والألوان السائدة فى هذا المخطوط هى الذهبى والأزرق والبنى والأحمر والبنفسجى .

وجزء المصحف هـذا الموجود فى تطوان يشابه الجزء الموجود فى متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد فى الخط والزخارف والألوان ولذا نرى أن كلا منهما يرجع إلى مصحف واحد . (قارن الأشكال ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ بالأشكال ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) .

ويدل نوع الخط والأساليب والعناصر الزخرفية فى جزء تطوان وجزء مدريد على أن المصحف يرجع إلى القرن ٨ هـ (١٤ م) . فنجد تشابهاً بين هذا المصحف والمصحفين المؤرخين من القرن ٨ هـ (١٤ م) . فمن حيث الخط يشابه مصحف الجزائر المؤرخ ٨٠١ هـ (١٣٩٨ — ١٣٩٩ م)[١] ، ويشابه مصحف المكتبة الأهلية بباريس المؤرخ ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) فى الزخارف ، فالتصميم العام للصفحات المذهبة قريب الشبه جداً بالرغم من الاختلاف فى بعض التفاصيل (قارن شكل ١٠ وشكل ١٢) وكذلك نجد التشابه فى الدوائر التى تزخرف هوامش الصفحات (قارن شكل ٣ ، ١٠ بشكل ١١ ، ١٢) كما يشابه تصميم زخرفة جلد كتاب محفوظ فى جامع ابن يوسف بمراكش[٢] .

وعلاوة على ذلك تتشابه عناصره الزخرفية بعناصر التحف التى ترجع إلى القرن ٨ هـ (١٤ م) . فتجد أن الرسوم الموجودة فى شكل ٩ قريبة الشبه من رسم على إحدى جدران قسم الحريم بقصر الحمراء[٣] . كما نجد الإطار النباتى فى شكل ١ ، ٩ ، ١٠ على علبة من النحاس الأصفر[٤] . وأخيراً نجد الإطارات المجدولة بكثرة فى زخارف بلاطات القاشانى التى تغطى قصر الحمراء[٥] وفى الجص بهذا القصر[٦] .

(١) Lèvi-Proveaçal: *Op. Cit.*

(٢) Torres Balbás: *Ars Hispaniae* (1949) T. V. fig. 51

(٣) Ibid: fig. 196

(٤) Ibid: fig. 249

(٥) Macario Golferich: *La Alhambra De Granada* (1929) Lámina después de la página 150 Calvert: *The Alhambra,* (1904) fig. 301 Torres Balbás: *Op. Cit.* fig. 190;

(٦) Calvert: *The Alhambra* Pl. L.

ويذهب الأستاذ جومث مورينو إلى نسبة الجزء المحفوظ من هذا المصحف بمدريد إلى النصف الاول من القرن ٨ هـ — ١٤ م[١]، غير أن التشابه الشديد بين خط هذا المصحف وزخرفته وخط وزخرفة الإطار فى المصحف الذى يرجع إلى ٨٠١ هـ (١٣٩٨ — ١٣٩٩ م) تجعل الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ جومث مورينو محل شك ، والحق إنه لمن الصعب علينا أن نحدد فترة بعينها خلال القرن ٨ هـ — ١٤ م ينسب إليها هذا المصحف إذ ليست لدينا الأدلة الكافية أو المخطوطات أو المصاحف المؤرخة التى يمكن أن نعتمد عليها فى تحديد الفترة من القرن ٨ هـ — ١٤ م التى يمكن أن يرجع إليها هذا المصحف وإلى أن يتيسر لنا ذلك نكتفى بنسبته إلى القرن ٨ هـ — ١٤ م .

Glűck & Diez (Gómez Moreno). *Op. Cit.* p. 725 (١)

باب التعريف

هذه صفحات قليلة رأينا أن نخصصها لباب جديد من أبواب المجلة أطلقنا عليه إسم « باب التعريف » لنتحدث فيه إلى قرائنا والمهتمين منهم بصفة خاصة بنشر المخطوطات عما قد تضمه جدران المكتبات العامة من المخطوطات القيمة الجديرة بأن تنشر مستقلة وتضيق عنها صفحات المجلة ، أو ننشر هنا بعض المخطوطات الصغيرة التى يسمح هذا الباب بنشرها فيه ، أو نصف ما قد تحتويه المتاحف من بدائع الفن الإسلامى .

وستكون خطتنا فى نشر المخطوطات فى هذا الباب هى أن نقدم المخطوطة إلى القراء كما هى دون إجراء تصحيحات فى نصها أو تعليقات ، وعلى ذلك لن يكون لنا من فضل إلا نقلها من مخطوطة إلى مطبوعة يسهل تداولها بين القراء لتكون عوناً لهم فى أبحاثهم ودراساتهم ومعيناً لمن يكون منهم فى صدد نشر غيرها من المخطوطات التى تتحدث عن نفس موضوعها ولا تسمح له ظروفه بالاطلاع عليها .

ونرجو أن نكون قد حققنا بذلك غرضاً من تلك الأغراض التى أنشئ من أجلها هذا المعهد ألا وهو التعريف بما تضمه إسبانيا من كنوز وتراث إسلامى .

* * *

والمخطوطة التى نبدأ بها اليوم هى مخطوطة « التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة » لمؤلف عاصر هذه الإصلاحات التى أجريت فى عهد السلطان العثمانى سليمان الأول ٩٢٧ — ٩٧٤ هـ (١٥٢٠ — ١٥٦٦ م) واستغرقت سبع سنوات إذ بدأت فى عام ٩٣٩ هـ (١٥٣٢ م) وانتهت عام ٩٤٨ هـ (١٥٤١ م) اما مؤلفها فهو الإمام الجلالى محمد بن خضر الرومى الحنفى قاضى الحنفية بها والمتوفى عام ٩٤٨ هـ (١٥٤١ م) .

وتتحدث المخطوطة عن هذه الإصلاحات فتصف بعض الأعمال وتذكر أسماء المشرفين عليها وأسماء بعض المهندسين وتعرج على حالة البلاد حينئذ فتشير إشارة خفيفة إلى القحط وإلى حالة الأمن وإلى النزاع الذى كان قائماً بين الحنفية والشافعية فى المدينة .

ولقد وردت بعض إشارات عن هذه الإصلاحات فى كتاب « نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين » الذى وضعه السيد جعفر بن السيد اسماعيل المدنى البرزنجى فى عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) وأضاف إليه إضافات فى ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) نقلا عن كتاب « الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة » للسيد محمد كبريت المدنى المتوفى عام ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) .

والمخطوطة غير مؤرخة ويرجعها الأستاذ ليفى بروفنسال إلى القرن (١٨ م) وهى جزء من مجموعة محفوظة بالاسكوريال تحت رقم ١٧٠٨ ويبلغ عدد أوراقها ٦ ورقات تبدأ من ٨٨ ا وتنتهى فى ٩٣ ب أبعادها ٢٣ × ١٧ سم وبالصحيفة ١٧ سطراً وهى المخطوطة الوحيدة المعروفة لنا — حتى الآن — ولم يسبق نشرها وهذا ما دعانا إلى نشرها راجين أن يكون هذا النشر سبيلا لإظهار ما قد يكون موجوداً من نسخ أخرى لهذا التأليف لم يتيسر التعرف عليها إلى الآن .

كتاب التحفة اللطيفة ، فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة
تأليف العلامة الإمام شيخ الإسلام قاضى الحنفية بها الجلالى محمد بن
خضر الرومى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته امين

(٨٨ ب) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، محمد وآله وصحبه والتابعين ، أما بعد فهذه نبذة لطيفة ونخبة شريفة ، تتضمن ما وقع من العماير الشريفة بسور المدينة النبوية والمسجد الشريف والمنارة السنية ، وذلك أنه لما أنهى إلى مولانا السلطان الأعظم ، والخاقان الأكرم صاحب السيف والقلم ، والبند والعلم ، ظل الله فى الأرضين ، قهرمان الما والطين ، قامع الكفرة والمبتدعة والمشركين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، حسنة الله فى الأرض ، القايم بالسنة والفرض ، خادم الحرمين الشريفين ، والمحلين المنيفين ؛ سلطان الغرب والعراقين والشرق واليمن والروم والحجاز وعدن ، سلطان الإسلام والمسلمين ، السلطان ابن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان أبو . . . خان السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم شاه بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان بايزيد خان نصره الله تعالى نصراً عزيزاً مؤيداً ، وفتح له فتحاً مبيناً سرمداً ، وأدام أيام دولته الزاهرة ، وجعلها مسعودة على اعدايها متظاهرة . بجاه سيد أهل الدنيا والآخرة ، أن سور المدينة قد تهدم أعاليه ، وأشرف الباقى على السقوط بمعاليه ، وأن أهل المدينة المنورة يحصل لهم بخراب السور ضرر كثير من العربان ، وفساد عظيم على طول الزمان ، وأنهم قد رفعوا شكواهم ، وبثوا (٨٩ ا) نجواهم إلى مولانا السلطان الأعظم خلد الله دولته ، فحينئذ برز الأمر العالى ، من مولانا السلطان الأعظم المشار إليه أعز الله نصرته إلى وزيره المقام العالى ، ذى العز المتعالى ، مدبر الممالك الإسلامية ، كافل الأقطار المصرية والحجازية ، آصف عصره ، ولقمان دهره ، حضرة سليمان باشا أعز الله تعالى مقامه ، وأدام أيامه ، بأن يتقدم المقام العالى بتجهيز المال من الخزانة الشريفة بالقاهرة المحروسه لعمارة سور المدينة المنورة ، وبجهيز ما يحتاج إلى ذلك من الدواب والعدد والمعلمين والبنايين والحمارين وغيرهم ، وتجهيز ما يحتاج ذلك من الغلال بالسمع والطاعة ، وشمر على ساق الجد والاجتهاد لما يعود نفعه لأشرف البلاد ، وجهز الأموال

الشريفة صحبة الجناب العالى الزينى محمود جلبى كاتب جدة المعمورة كان ، وعينه أمينا على العمارة الشريفة ، وجعل الناظر على العمارة الجناب العالى السيد احمد الرفاعى شيخ الحرم الشريف النبوى ، وجهزت الجمال والبهايم نحو مايه جمل ومايه بهيم صحبة أمير الحج الركب المصرى ، وجهزت الغلال من القمح والشعير والفول من البحر على ظاهر المراكب الشريفة إلى أن وصلت إلى الينبوع ، وكان وصول ذلك كله فى غرة سنة تسع وثلاثين وتسعمايه ، وكان المهندس على العمارة المذكورة المعلم على بن الصياد ، والمعلم عبد القادر القليوبى ، وكان جملة البنايين والحجارين والنحاتين والعتالين والنجارين والطوابين والحمالين والترابين أكثر من ثلاثمماية نفراً من غير الفعلة وتوابعهم وكان (٨٩ ب) وكان فى خدمة العمارة الشريفة من المماليك السلطانية نحو خمسون نفراً ، منها أرباب الخيل نحو خمسة وعشرين نفراً والباقون رماة بالبندق والقوس ، ثم أنهم شرعوا فى هدم سور المدينة المنورة ، فأول ما هدم باب سويقة غربى المدينة المسمى بباب المصرى ، ثم هدم أعالى الجدار الغربى من السور من الباب الصغير الشامى إلى باب سويقة المذكورة ، ثم من باب سويقة إلى الركن القبلى ، وطول ذلك سبعماية ذراع وأربعة عشر ذراعاً بذراع العمل ، وإنما لم يهدم إلى أساسه ، لأن الجدار المذكور جدده الملك الأشرف قايتباى وبناه بالحجر الى أعالى العقود التى من خلفه من داخل المدينة المنورة وبنا أعاليه باللبن ، فهدموا اللبن المذكور وعرضوه بالآجر ورمموا ما احتاج فيه إلى الترميم ثم أنهم هدموا الباب الصغير الشامى والباب الكبير الشامى ، وشرعوا فى بنا الباب المصرى بالأحجار المنحوته بعد أن حفر له لذلك أساس جيد ، ثم أن بعض المهندسين ذكر للناظر أن الحجر المنحوته يذهب عليه مال عظيم ، فأمرهم ببناء الباب الصغير الشامى بالحجر الغشيم ، فلما أن كمل بنا الباب المصرى والباب الشامى المذكور ، وشاهد الناظر حسن الباب المصرى بالحجر المنحوت وقباحة الباب الشامى بالحجر الغشيم أمرهم ببنا الباب الشامى الكبير بالحجر المنحوت ، ثم بعد مدة يسيرة بعد الشروع فى البنا حصل بين الناظر السيد الرفاعى المذكور وبين محمود جلبى

الأمير المذكور شنآن عظيم، ثم انتقل محمود جلبي المذكور إلى رحمة الله تعالى فى سابع عشر رمضان (٩٠ ا) المعظم قدره سنة تسع بتقديم التا وثلاثين وتسعمايه ودفن ببقيع العرفة ، ثم ان الناظر المذكور باشر على العمارة الشريفة بنفسه خصوصاً الباب الشامى الكبير والصغير ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في عشر ذى الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وتسعماية توجه غالب المعمارية إلى الحج إلى بيت الله الحرام، واستمرت العمارة بطالة ، وكان من قضا الله وقدره أن مولانا الباشا المذكور عين عوض الزينى محمود جلبي المذكور بسبب مكاتبات السيد الرفاعى فيه أمينا على العمارة الشريفة وكاتب الأمين هو الجناب الزينى مصطفى جلبي أحد ساهين الدولة العادلة العثمانية ، والكاتب هو الزينى نصوح أحد الأعيان من العساكر العثمانية بالطور ، ووصل صحبتهم أيضاً مهندس على العمارة كلها من طايفة الأروام يسمى مصطفى خليفة ، فوصلوا جميعاً من البحر إلى المدينة المنورة عن صفر الخير سنة اربعين وتسعماية ، ولما وصل إلى مولانا الباشا المذكور خبر وفاة السيد الرفاعى شيخ الحرم الشريف ، برز أمره الكريم الزينى إلى مصطفى جلبي الأمير المذكور، بأن يضبط معلقات شيخ الحرم الشريف ، ويباشر المنصب المنيف إلى أن يرد من الأبواب الشريفة الجندكاريه ما يعتمد عليه ، فاستمر الزينى مصطفى جلبي المذكور مع الكاتب نصوح والمباشر المذكور والمهندس المذكور بخدمته سور المدينة المنورة، فشرع فى هدم الجدار القبلى منه إلى الأساس لكنه لم ينقض أساسه ، وبناه بالحجر إلى أعاليه . (٩٠ ب) وجعل عليه الشراريف الموجودة الآن ، واستمر فى بنا الجدار القبلى ، ثم ان الزينى نصوح الكاتب المذكور انتقل إلى رحمة الله تعالى فى سلخ ذى الحجة الحرام سنة أربعين وتسعماية ، ثم وصل فى العام المذكور من البحر إلى مكة المشرفة مولاى المقر الكريم العالى المولوى الدخرى عين الأماثل والأدان نخر الأماجد والأعيان المتحصن بعنايه الملك المعبود الزينى محمود جلبي وهو متوليا لمشيخة الحرم الشريف ، وناظر على العمارة السلطانية ، فوصل إلى المدينة المنورة غرة سنة احد وأربعين وتسعماية ، وباشر خدمة الحجرة الشريفة ، وقام بالنظر على العمارة المنيفة كما ينبغى ، واستمر المهندس مصطفى خليفه المذكور قايما بهندسة البنا المذكور ، من الركن الغربى من جهة القبلة إلى الباب الشرقى باب بقيع الفرقد

وطول ذلك سبعماية ذراع بذراع العمل ، ثم انتقل المهندس المذكور إلى رحمة الله تعالى ، وكان لما وصل بالبنا إلى مشهد السيد اسماعيل أدخل بعض البنا داخل المدينة المنورة من غير أساس تحته ، فبعد وفاته هدمه أمين العمارة الزينى مصطفى جلبى المذكور مع المهندس على بن الصياد المذكور ، قايما ببنا باب البقيع أتم قيام بعد أن وصلوا بأساسه إلى الما ، وشرعوا بهدم سور المدينة المنورة من باب البقيع من الجهة الشامية إلى أن وصلوا بالهدم إلى الباب الشامى الكبير ونقض جميع أساسه ، بنى على هذه الهيئة الموجودة عليه الآن على زيادة الإحكام والإتقان ، ثم قصر النفقة على العمارة ، واقتضى الحال إلى أن توجه الأمين مصطفى المذكور للقاهرة المحروسة من البر (١٩١) صحبه القاصد ، فوصل إلى القاهرة المحروسة فوجد مولانا الباشا سليمان المذكور قد اعتد إليها ، وكان قد صرف خسرو باشا ، ثم أن الباشا سليمان دفع للأمين المذكور ما تحتاج إليه العمارة الشريفة من الأموال ، وأمر نايب جدة المعمورة بأن يدفع له جميع ما يحتاج إليه من الأموال ، وجهز من البحر غلالا كثيرة ، وعين صحبته كاتباً على العمارة الشريفة وهو الجناب العالى الزينى رمضان جلبى ، ووصلا جميعاً إلى المدينة المنورة سنة أربع وأربعين وتسعماية ، ووصل أيضاً فى هذا العام من البحر عسكراً معيناً بسبب الإقامة بالقلعة التى بالمدينة المنورة ، وهو نحو ستون نفراً رماة بالبندق ، وجعل عليهم باش ويسمى دزدار ، فوصلوا إلى المدينة المنورة ستة فى أوسط سنة أربع وأربعين وتسعماية ، واستمروا مقيمين بالمدينة المنورة ، وكانت القلعة حينئذ لم يشرع فى بنايها ، ثم إن الأمين مصطفى جلبى المذكور أتم باقى السور وباب البقيع وهدم القلعة القديمة وكانت مبنية على هيئة القاعة من غير أبراج ، ثم ان الأمين المذكور غيرها وأحكم بناها وشيد أبراجها واحدث لها جدارا وبابا من داخل المدينة المنورة ، وجعل البنا محيطا بها ، وجعل بيوتا للعسكر فى داخلها ، وجعل بيتا لنايب القلعة على الجبل الذى هناك فى محل القلعة ، وذرع داير القلعة من الباب الشامى الكبير إلى الباب الصغير خمسماية وثمانية عشر ذراعا وذرع الجدار الشرقى لها من داخل المدينة المنورة ماية واحد وستون ذراعا وذلك بذراع العمل ، واستمر فى بنا ذلك وتكميل ما بقى من سور المدينة المنورة إلى أن تم جميع

ذلك (٩١ ب) فى النصف من شهر شعبان المعظم قدره سنة ست وأربعين وتسعماية ، فكان مدة الاقامة بالبنا بسور المدينة سبع سنوات ونصف سنة بما فى ذلك من تخلل البطالات المذكورة ، وفى هذا التاريخ تم بنا جميع سور المدينة المذكور بما فيه الأبواب والأبراج من التجاويف نحو اربعين ألف ذراعا ، وبدون التجاويف المذكورة ثلاثة آلاف وأربعماية واثنين وثمانين ذراعا بذراع العمل ، وفى آخر الشهر المذكور توجه كل من الأمين مصطفى المذكور والزينى رمضان جلبى الكاتب المذكور إلى الأبواب العالية ، وسمعت من الأمين المذكور ان المصروف بسبب بنا السور المذكور على من تقدم ذكرهم من العسكر والبنايين وغيرهم من الغلال كالقمح والشعير والفول نحو خمسة عشر ألف اردبا ، والمعروف من الذهب السليمانى الجديد الوازن نحو ماية الف دينارا ذهبا ، وكان المقر الكريم العالى ذو الخصايل الحميدة والآرا السديدة الزينى محمود جلبى شيخ الحرم الشريف النبوى وناظره أعزه الله تعالى وأدام أيامه ، توجه إلى الأبواب العالية السلطانية ، فكان مما عرضه على مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم ، احتياج المسجد الشريف النبوى إلى بنا وترميم بجدرانه ، وهدم المناره المسماة بالسنجارية وغير ذلك من المشاهد والآثار ، فبرز الأمر الشريف العالى ببنا ذلك ، فجهز مولانا المقام العالى ذى المجد المتعالى من الجمال والدواب والبنايين والحجارين والنحاتين ، وجهز من البحر ما يحتاج إليه من الغلال وجهز من البحر (١٩٢) أيضا الأهلة المجهزة من الأبواب الشريفة برسم القبة المنيفة ، فوصل إلى المدينة الشريفة ووضع الهلال على القبة الشريفة فى تاسع عشر شوال المبارك سنة ست وأربعين وتسعماية ، وهو الموجود على القبة الشريفة الآن ، وهو من نحاس مطلى بالذهب ، وأرسل أيضا بخمسة أهلة لكل منارة هلال ، وللمنبر الشريف هلال أيضا ، ووضع ذلك عليهم ويقال أن المصروف على طلاء الأهلة من الذهب السليمانى المسكوك الف وثمانماية دينارا ذهبا ، وفى ذى الحجة الحرام سنة ست وأربعين وتسعماية وصلت الجمال والبهايم المذكورة صحبة الأمين الذى عين للعمارة الشريفة ، وهو الجناب العالى الزينى حسن أحد المماليك السلطانية وعدتها ماية جمل وخمسون بهيما ، ووصل من البر المعلمين المذكورين ، وفى أوايل ربيع الثانى سنة سبع وأربعين وتسعماية وصل الكاتب على

العمارة ، وهو الزينى عبدى جلبى ، والمباشر على ذلك وهو تاج الدين الخضيرى ، وصحبتهم الغلال الشريفة من القمح والشعير والفول ، ثم أن أمين العمارة المذكور ورد بالمراسيم الشريفة التى من مضمونها أن ما يحتاج إليه المسجد الشريف من العمارة يعمر ، والنظر فى جميع ذلك جزئيه وكليه لمولانا المقر العالى شيخ الحرم الشريف المذكور ، فجمع مولانا شيخ الحرم الشريف السادة القضاة ، والأمين المذكور ، والمهندس على العمارة المذكورة وهو المعلم على بن تبك ، ومن حضر من البنايين الواردين إلى المدينة المنورة والمقيمين بها ، فكشفوا على المسجد الشريف النبوى ، فكان مما رآه المهندس والبنايين فى ذلك أن بعض جدار المسجد الغربى مع باب الرحمة محتاج إلى الهدم والاعادة ، وأن الباقى (٩٢ ب) من الجدار الغربى مع الجدار الشرقى محتاج إلى الترميم بهدم بعض أسافله وترك العلو على حاله ، وان باب النسا محتاج إلى تقويته بأبراج خلفه من خارج المسجد ، وأن المنارة السنجارية التى هى فى الركن الشامى من جهة الشرق تحتاج إلى هدمها كلها ، فاقتضى الحال الشروع فى الهدم والبنا ، فأول ما بنى ، باب الرحمة ، ورمم الجدار الذى يليه غربى المسجد النبوى ، وكان مايلا من جهة المنارة الخشبية التى هى فى الركن الشامى غربى المسجد النبوى ليرى هل الميذ فى النزايه أم لا ، ثم هدمت المنارة المذكورة ونقض أساسها ، وزيد فى الحفر على الأساس القديم إلى أن وصل الماء ، بحيث أن الماء تزايد على المعلمين حتى نقلوه بالقرب ، فلما رأوا أيضاً نقله بالقرب لا يفيد ، جعلوا ثلثه دواوير كبار من الخشب السمر ، ووضعوها فى الماء ، وبنوا على الأخشاب ، إلى أن على البنا على الأخشاب قدر قامة ، ثم حفروا تحت الدواوير حتى نزلت بما عليها من البنا إلى أصل الأرض الطيبة ، ثم أزيل الماء المجتمع فى جوف الدواوير ، ودك وسطها بالحجر ، فالمونة الطيبة الجيدة ، وكان عمق أساسها ثلاثة عشر ذراعا بذراع العمل وعرضه سبعة أذرع فى سبعة أذرع ، وبنيت بالحجر المنحوت ، ثم لما وصل البنا إلى وجه الأرض ، اختصر من عرضها ذراع ، وبنيت على التربيع إلى أن تعلت على سطوح المسجد تمّنتْ ، وفى أثناء ذلك هدم ما يحتاج من الهدم من الجدار الشرقى جدار المسجد الشريف النبوى ورمم ، ولم يهدم شئ من أعاليه وإنما نقض

بعض أسافله من خارج المسجد ، وبني أيضا باب النسا وجعل له برجين عظيمين تقوية ، وكتب التاريخ على كل من البابين باب الرحمة وباب النسا باسم مولانا السلطان (١٩٣) السلطان الأعظم نصره الله تعالى وأدام أيامه ، واستمرت العمارة فى المنارة الشريفة ، ثم فى عدة محرم الحرام سنة ثمان وأربعين وتسعماية توجه مولانا المقر الكريم العالى محمود جلبى شيخ الحرم الشريف المذكور إلى الأبواب العالية صحبة المصرى لعرض أحوال أهل المدينة المنورة وما هم عليه من الآذاء والشدة بسبب تأخير إرسال قمح الدشيشه وغيره ، كتب الله تعالى سلامته وأنجح مقاصده آمين ، ثم بيض داخل المسجد الشريف النبوى واسطواناته مما كان محتاجا إلى التبييض ، فجئ على حاله وكتب التاريخ ايضا باسم مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى فى جدار المسجد الشريف من جهة الغربى فى الخشب المسقوف برفوف عليه ، كما جعل للملك الأشرف قايتباى فى الجدار القبلى والشرقى ، وكانوا فى أواخر سنه سبع وأربعين وتسعماية ورد صحبة أمير الحاج المصرى مراسيم شريفة من مضمونها تجديد محراب الحنفية وتقديمه ليحاذى محراب الشافعية ، وتقديم القاضى الحنفى على القاضى الشافعى فى جميع الأمور من الجلوس والمصالح والأنظار وغير ذلك ، وفى سابع عشر محرم الحرام سنة ثمان وأربعين وتسعماية ، شرع فى بناية محراب الحنفية وجعله محله بين المنبر وحد المسجد النبوى محاذيا لمحراب الشافعية ، وحصل من بعض الشافعية بسبب ذلك كلمات سامحهم الله فى ذلك ، ولا شك أن الإمامين منزهين من ذلك ، نسأل الله العظيم أن يوفقنا لاتباعهم فى العلم والعمل بحق محمد وآله وصحبه أجمعين ، وفى ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ثانى عشر ربيع الاول (٩٣ ب) تقدم إمام الحنيفة وصلى فى المحراب المذكور ، وجعل من الروضة الشريفة إلي حد المسجد النبوى درابزين من الخشب أمام محراب الحنيفة ، وجعل مقابل الروضة المطهرة درابزين عاليه تمنع ضرر المار لكى لا يقطع الصف ، ثم مد الوتر الخشب الذى يوضع عليه القناديل الصغار فى الليالى الشريفة فزيد فيه من الروضة المطهرة إلى حد المسجد النبوى وكان أولا. إلى حد الروضة المطهرة فقط وكان متعلقا إلى جهة المنبر الشريف تم ذلك بحمد الله وعونه والحمد لله .

باب الكتب والمجلات

بعث الدراسات اليونانية والرومانية فى مصر الحديثة

لقد سبقتنا الدول الأوربية إلى تعلم اليونانية واللاتينية لما بين هاتين اللغتين واللغات الأوربية من علاقة قوية ، لذلك اهتم علماء الغرب بدراسة هاتين اللغتين وتناولوا تراثها الخالد بالبحث والتنقيب واعتبروه المصدر الأول لبناء حضارة جديدة ، فأخذوا عنه قوانينهم ونظم الحكم عندهم ، واستمدوا منه آدابهم وفلسفتهم . ولقد أدركنا نحن المصريين منذ ربع قرن أننا لسنا بأقل حاجة من هؤلاء الغربيين إلى تعلم اليونانية واللاتينية ؛ فصلة اليونان القديمة بمصر الفرعونية قوية جداً ، يتحدث عنها كثير من أدباء اليونان وفلاسفتهم ، وفضل الإسكندرية فى المحافظة على الآدب اليونانى كبير ، إذ كانت مركزاً للآداب والفنون عندما نزح إليها أدباء اليونان الذين ضاقت بهم بلادهم بعد زوال عظمة أثينا . أما عن صلة الرومان بمصر فكانت أقوى لأن هذه بقيت ولاية رومانية لمدة ستة قرون خضعت فيها لسلطان الرومان وعرفت قوانينهم وعنى أهلها بتعلم لغتهم . يضاف إلى ذلك أن الأدب اليونانى أثر تأثيراً شديداً على الفكر العربى نتيجة لحركة الترجمة والتعريب التى قويت فى العصر العباسى . يتضح من ذلك أن دراسة تاريخنا دراسة دقيقة مفصلة تتطلب الاهتمام بتعلم اليونانية واللاتينية لنقف على ما احتوته مؤلفات اليونان والرومان عن بلادنا ولننشر الوثائق البردية وندرس الآثار اليونانية والرومانية التى تضيق بها متاحفنا والتى تزال تنتظر المختصين ليفكوا رموزها ويعرفوا محتوياتها .

كان من الطبيعى إذن أن يعتني الذين أشرفوا على إنشاء الجامعات المصرية بتعليم اللغتين اليونانية واللاتينية ، فأوجدوا بكليات الآداب أقساماً لتدريس هاتين اللغتين وآدابها وما يتصل بها ، وشجعوا الطلاب على التخصص فى هذا الميدان ، وكان وما زال الأستاذ الدكتور طه حسين أول من نادى بإدخال هذه الدراسات

فى الجامعات المصرية ، واهتم بشأن المتخصصين فيها ؛ ولقد أثمرت مجهوداته إذ خرجت هذه الأقسام عدداً من الشبان الأكفاء الذين أتقنوا هذه الدراسات وأحرزوا فيها أعلى الدرجات الجامعية من مصر والخارج ، وأصبحوا الآن أساتذة لهذه الدراسات بالجامعات المصرية . وما أن تولى هؤلاء تدريس هذه المواد إلا وعملوا على تعريبها وبعث التراث اليونانى الرومانى ، فأخذوا يوجهون طلابهم إلى التخصص فى مختلف فروع هذه الدراسات ، فتخصصوا فى دراسة الأديان والأساطير ، أو تعمقوا فى الأبحاث الأدبية والتاريخية ، أو عكفوا على نشر الوثائق البردية وقراءة النقوش . وما أن ازداد عدد هؤلاء المتخصصين إلا وألفوا لهم جمعية تعرف « بجماعة إحياء الدراسات القديمة » إهتمت بتحقيق رسالتهم التى كانوا قد وضعوها نصب أعينهم عندما تخصصوا فى هذه الدراسات . فوضعوا الكتب فى قواعد اللغة اليونانيــة واللاتينية وترجموا إلى العربية بعض نصوصها التى تتصل بتاريخ مصر ، وعربوا بعض الكتب الغربية التى تبحث فى هذه الدراسات . وإلى القارئ بعض أثارهم فى هذا الميدان .

١ — البدائع : تأليف الدكتور محمد سليم سالم ، أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية بجامعة عين شمس . الجزء الأول . الناشر مكتبـــة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٤٥ .

هذا أول كتاب أصدرته جماعة إحياء الدراسات القديمة ، واختار له المؤلف هذا الإسم ليكون عنوانا لسلسلة يترجم فيها هو وزملاؤه روائع الأدبين اليونانى واللاتينى . وقد ترجم المؤلف فى هذا الجزء مسرحية « أندروماخا » من نظم يوربيديس ، وقدم للترجمة بفصل شامل عن حياة الشاعر وأعماله ، درس فيه كثيراً من خصائص فن يوربيديس المسرحى ؛ فتعرض لموقفه من الدين وفسر آراءه السياسية والاجتماعية وتكلم عن ثورته ضد التقاليد وفصل التجديدات الفنية التى أدخلها على المسرحية اليونانية . ثم ترجم النص ترجمة دقيقة ، فى أسلوب طلى بديع .

واشترك فى إصدار هذا الجزء أيضاً الدكتور عبد اللطيف أحمد على والدكتور محمد صقر خفاجه الأستاذان المساعدان بجامعـة القاهرة . فترجم الأول خطبة

ليزياس عن « مقتل اراتوسثنيز » الذى قتله غريمه يوفيليتوس عندما فاجأه فى أحضان زوجته الخائنة . والخطبة تعطينا فكرة واضحة عن حياة الآثينيين الاجتماعية كما تعبر عن مميزات أسلوب ليزياس الذى اشتهر بسهولته إذ كان الخطيب أول من استخدم لغة الحياة اليومية فى كتاباته الأدبية واستطاع أن يخلق من كلام رجل الشارع أسلوباً أدبياً خالصاً ، كان سهلا ممتنعاً . وترجم الثانى خطبة الأولنثية الأولى التى ألقاها ديموسثنيز ، أعظم خطباء العالم ، فى الجمعية العمومية ليحث الآثينيين على مساعدة مدينة أولينثوس عندما هددها بالغزو فيليب ملك مقدونيا ، لكن الخطيب لم ينجح رغم بلاغته وحماسه إذ سقطت المدينة فى يد العدو قبل أن تصلها المساعدة الآثينية .

٢ — تاريخ هيردوتوس : الجزء الثانى « هيردوتوس فى مصر » ترجمة الدكتور وهيب كامل المدرس بجامعة القاهرة . الناشر دار المعارف . القاهرة ١٩٤٦ .

يعتبر هذا الجزء من مؤلف المؤرخ اليونانى مرجعاً هاماً لتاريخ مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد وينقسم هذا الجزء إلى ثلاثة أقسام ؛ يحتوى أولها على الفصول (١—٣٤) ويتكلم فيه المؤرخ عن جغرافية مصر ، ويشمل القسم الثانى الفصول (٣٥—٩٦) ويصف فيه هيردوتوس عادات المصريين و يتحدث عن دينهم ، أما القسم الأخير فقد خصصه المؤرخ للكلام عن تاريخ مصر . ويمكن تلخيص محتويات الكتاب فى النقط التالية . يبدأ المؤرخ حديثه بالكلام عن قدم الحضارة المصرية ثم ينتقل إلى الحديث عن أصل مصر وكيف تكونت تربتها ويشيد بالدور الذى لعبه النيل فى تكوين الجزء الأعظم من تربة الأراضى المصرية بفضل ما يحمله معه من طمى ، وينتهز هذه الفرصة ليتكلم فى إسهاب عن مائه وينابيعه وعن طوله وعن اتجاه مجراه . وبعد ذلك يتناول بالوصف العادات الدينية ويفصل الحديث عن واجبات الكهنة وامتيازاتهم واختيار الضحايا وطقوس التضحية وفن العرافة والحيوانات المقدسة التى يعظمها المصريون ؛ وبعد التحدث عن الحيوانات ينتقل المؤرخ إلى الكلام عن السكان أنفسهم ، فيتكلم عن صحتهم وعن غذائهم وملبسهم وحياتهم الاجتماعية ، ويطيل فى الكلام عن

أعيادهم وأغانيهم وأخلاقهم ، ثم ينهى المؤرخ كتابه بالكلام عن تاريخ مصر من الأسرة السادسة والعشرين حتى القرن الخامس .

ومع أن علماء الآثار قد فندوا الكثير مما ورد فيه لكن الكتاب ما زال محتفظاً بقيمته التاريخية ، فهو مرشد لمن يدرس تاريخ مصر فى هذه الفترة لأن علماء الآثار لم يوفقوا بعد إلى اكتشاف آثارها .

٣ — مقدمة فى اللغة اللاتينية : تأليف الدكتور عبد اللطيف أحمد على والدكتور محمد صقر خفاجه . جزءان ، الناشر مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٣ .

يتضمن الجزءان عرضاً لقواعد اللغة اللاتينية وتطبيقات عليها من النصوص اللاتينية ويهدف الكتاب بجزئيه إلى تمكين الطلبة ، بعد دراسته ، من قراءة نصوص الأدب اللاتينى التى تتصل بفروع تخصصهم المختلفة . ولقد حاول المؤلفان نقل القواعد اللاتينية إلى اللغة العربية ، رغم الصعوبات التى صادفتهما نتيجة لاختلاف اللغتين وعدم وجود شبه بين كثير من قواعدهما . ومع ذلك فقد حقق الكتاب هدفاً أساسياً من أهدافه وهو تعليم اللغة اللاتينية باللغة العربية فى الجامعات المصرية ، وأنقذ الطلبة المصريين من مشكلة تعلم هذه اللغة عن طريق لغة أجنبية أخرى كما كان الحال منذ عشرين عاماً عندما كان يقوم بتدريس اللاتينية أساتذة انجليز وفرنسيون .

٤ — تاريخ مصر فى عصر البطالمة : تأليف الدكتور ابراهيم نصحى ، أستاذ التاريخ القديم بجامعة عين شمس . جزءان ، الناشر مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٤٦

أول بحث مسهب فى الموضوع ، قضى المؤلف فى إعداده سنوات كثيرة ، رجع فيها إلى أهم المصادر اليونانية واللاتينية ، وناقش أشهر آراء الباحثين الغربيين ، فوافق على بعضها ودعمها أحياناً بأدلة من عنده ، وفند البعض الآخر ببراهينه الخاصة . ويعتبر الكتاب أهم مرجع فى المكتبة العربية ضمنه المؤلف تحليلا دقيقاً للسياسة الدينية والاقتصادية والنظام المالى والقضائى والحياة الاجتماعية والآداب والعلوم والفنون . فأصبح الكتاب ، منذ ظهوره ، المرجع الوحيد الذى يعتمد عليه طلاب الجامعات المصرية ، والمهتمين بدراسة هذا الموضوع .

وجدير بالذكر أن للمؤلف كتاباً آخر باللغة الانجليزية عن « الفنون فى مصر البطلمية » طبع فى أكسفورد عام ١٩٣٧

Noshy (I); Arts in Ptolemaic Egypt, Oxford, 1937

٥ — مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربى : تأليف هـ . ا . بل ، ترجمة الدكتور عبد اللطيف أحمد على والدكتور محمد عواد حسين الأستاذ المساعد بجامعة عين شمس . الناشر مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٥ .

هذا الكتاب عبارة عن عدة محاضرات ألقاها المؤلف بجامعة ويلز فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ ثم جمعها ونشرهـا فى فبراير سنة ١٩٤٨ . ويبدأ المؤلف الفصل الأول بالكلام عن علم البردى والوثائق البردية ، ويتناول فى إيجـاز ووضوح دراسة كثير من الموضوعات التى تتصل بأوراق البردى ، فيشرح صناعتها ويتكلم عن مكان وجودها وتاريخ اكتشافها ، ونشأة علمها وأهميتها كمصدر من مصادر التاريخ . ثم تناول فى الفصول الثلاثة الأخرى دراسة أهم مظاهر حضارة مصر فى العصر البطلمى والرومانى والبيزنطى ، وعرض المؤلف فى هذه الفصول كثيراً من المعلومات الهامة عن التطور الاقتصادى والاجتماعى والإدارى فى تاريخ مصر منذ فتح الأسكندر حتى فتح العرب . لذا كان اختيار الزميلين هذا الكتاب موفقاً لصلته الوثيقة بتاريخ البلاد . ولم يقتصر مجهودهما على الترجمة الدقيقة بل تعداها إلى تبويب الكتاب وعرضه بطريقة واضحة تسهل قراءته ، فقد نقلا مثلا الحواشى الملحقة بآخر الكتاب وكتباها فى نهاية الصفحات بعد أن أضافا إليها كثيراً من التعليقات توضيحاً لما غمض وزيادة فى الشرح ، كما أضافا إلى كل فصل أسماء المراجع الخاصة به ليمكننا القارئ من الوقوف على أحدث المؤلفات التى ظهرت فى هذا الموضوع بعد ظهور كتاب « بـل » . ولقد سد الكتاب فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية وساعد الطلبة الجامعيين وغالبية المثقفين على استيعاب هذه الفترة وفهم خصائصها .

٦ — La Poésie Alexandrine, Ph. E. Legrand; Paris 1924

شعر الإسكندرية : تأليف ف . إ . لجران ، ترجمة الدكتور محمد صقر خفاجة .

يعطى الكتاب فكرة واضحة شاملة عن عصر الإسكندرية ، إذ يدرس المؤلف الموضوعات التى تخص هذا العصر دراسة علمية دقيقة ، إعتمد فيها على تحليل نماذج كثيرة من قصائد الشعراء واستخلص منها خصائصهم وميولهم وقارن بينهم وبين أسلافهم ووضح أهم الفروق بين العصر الهلينى والهلينستى . والكتاب فى مجموعه يهتم بنشر صفحة من تاريخنا القديم يوم أن لعبت مصر دوراً عظيما فى المحافظة على تراث اليونان وتنميته وفتحت أبوابها لشعراء اليونان الذين نزحوا إلى الاسكندرية ، عاصمة الآداب وقتذاك ، وفيها أنتجوا تراثاً علمياً خالداً حاول المؤلف تحليله ودراسته فى هذا الكتاب ، ولكى نسهل على القارئ غير المختص قراءته وفهمه ، شرحنا بعض الاصطلاحات الفنية والتعبيرات الخاصة التى وردت أثناء الكلام عن أوزان الشعر وبينا مدلولات بعض الأسماء النادرة أو غير المألوفة .

هذا قليل من أعمال المصريين الكثيرة التى ظهرت فى ميدان الدراسات اليونانية واللاتينية لبعث هذه الثقافة ونشر صفحات من تاريخ مصر القديم . وسنحاول أن نحدث القارئ ، فى فرصة أخرى ، عن جانب آخر من نشاطهم .

محمد صقر خفاجة
أستاذ الأدب اليونانى المساعد جامعة القاهرة

طبقات النحويين واللغويين

لأبى بكر محمد بن الحسن الزُبيدى

حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم — وطبعه سامى الخانجى
القاهرة سنة ١٩٥٤ — فى ٤٠٨ صفحة

مؤلف هذا الكتاب هو الزبيدى الإشبيلى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ = ٩٨٩ م (أنظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ١٣٣ من الأصل و ج ١ ص ٢٠٣ من الملحق) . كتبه استجابة لأمر الحكم المستنصر (المتوفى سنة ٣٦٦) كما ذكر ذلك فى مقدمته (ص ٩) . ومحقق الكتاب الأستاذ أبو الفضل ممن تمرس بالنصوص العربية القديمة ونشر عدداً منها آخره كتاب « إنباه الرواة على أنباء النحاة » للقفطى الذى صدر منه جزءان ، ثالثها فى طريقه إلى الصدور .

وقد عرف الناس من كتاب الزبيدى مختصراً نشره العالم المستشرق كرنكو فى مجلة RSO وبقى الكتاب ينتظر نشرة كاملة محققة نهض بها الأستاذ أبو الفضل معتمداً على مخطوطة (نور عثمانية) . وقدم لنشرته بمقدمة موجزة ووضع حواشى عن بعض الأعلام التى ورد ذكرها فى النص ، واتبع ذلك بفهارس للأعلام والبلدان والكتب والأشعار .

وقد خص الزبيدى الأندلسى بلده بنصيب من كتابه يتناسب حجماً مع ما التزمه المؤلف من الترجمة للنحاة فى العالم الإسلامى كله حسب طبقاتهم مبتدأ بالبصريين والكوفيين ثم بالمصريين والقرويين ، مقدماً النحاة على اللغويين . ثم ختم طبقاته بالأندلسيين فجعل هؤلاء فى ست طبقات ترجم فيها لمائة وأربعة منهم ، مبتدئاً بأبى موسى الهوارى فى ص ٢٧٥ منتهياً بمحمد بن يحيى الرباحى المتوفى سنة ٣٥٨ فى ص ٣٤٠ . وتراجمه فى الجملة مختصرة ولكنه يتوسع فى بعضها

ويستطرد إلى أمور لها خطرها فى الكشف عن جوانب من الحياة الثقافية والاجتماعية فى الأندلس .

والنشرة جيدة والنص مستقيم والأغلاط المطبعية نادرة ، ولكننا كنا نرجو أن يوفق المؤلف فى مراجعة النص الذى اعتمد عليه على نسخة أخرى منه فى المتحف البريطانى حسبما ذكر بروكلمان . إن النسخة التى اعتمد عليها المحقق قديمة كتبت فى سنة ٦٥٨ وهى فى جملتها جيدة . ولكنها لم تبلغ من الدقة الحد الذى يجعل المحقق يهمل ما عداها . ولدينا شواهد على أن فى النسخة نقصاً ، فقد ذكر المؤلف أسماء نحاة ولم يترجم لهم ، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ أبو الفضل وترك بياضاً للدلالة على ذلك . وكان يحتمل أن يكون هذا النقص من فعل المؤلف لا الناسخ ، ولكننا وجدنا السيوطى ينقل ترجمة لواحد منهم ويسند إلى الزبيدى بعض ما نقل . قال السيوطى ص ٣٣ من البغية مترجماً لمحمد ابن الحسن بن دينار أبى العباس الأحول « وذكره الزبيدى فى طبقة المبرد وثعلب ، وقال كان يورق بالأجرة ، وكان قليل الحظ من الناس وجمع دواوين مائة وعشرين شاعراً » . وهذا النص لا يوجد فى مخطوطة الزبيدى التى اعتمد عليها الأستاذ المحقق حيث ذكر الإسم (محمد بن الحسن الأحول فى ص ٢٢٨ بعد ذكر ثعلب فى الطبقة الرابعة من اللغويين الكوفيين ولم يترجم له . ولدينا شاهد آخر طريف يتصل بالأندلس :

ذكر الزبيدى فى ترجمة عبد الملك بن مختار ص ٢٨٧ من المطبوع ما يلى : « وأخبر عن بعض الشيوخ أنه نبتت سن لبعض ولد الأمير عبد الرحمن ابن الحكم رحمه الله ، فأحدث فيها ما يحدث عند نبات أسنان الصبيان ، فقال الأمير للوزراء : هذا الذى يسمى الناس بالعجمية ، هل روى للعرب فيه شئ ؟ فسئل غير واحد من المنتسبين إلى العلم بقرطبة فلم يوجد عندهم فى ذلك علم ، حتى انتهت المسألة إلى ابن مختار ، فقال أخبرنى ابن حرشن عن أبى موسى الهوارى أن العرب تسميها السّنية » . هكذا ورد النص وبه تنتهى الترجمة ، وواضح أن هنالك نقصاً وأن لا بد من كلمة أعجمية يشتمل عليها النص لتكون فى مقابلها كلمة (السنية) المذكورة . وقد وجدت فى كتاب ابن هشام الإشبيلى

السبتى عن لحن العامة مخطوط الاسكوريال ورقة ٥٢ من النسخة التى تحمل رقم ٤٦ ما يلى :

« ويقولون للطعام الذى يصنع عند نبات الأسنان للأطفال الدِّنْتِيله باللام والصواب الدِّنْتِينَه بالنون وهو إسم أعجمى . وحكى الزبيدى فى كتاب طبقات النحويين واللغويين قال : أخبرنى بعض الشيوخ أنه نبت سن لبعض ولد الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله ، فأحدث فيه ما يحدث الناس عند نبات أسنان الصبيان ، فقال الأمير للوزراء : هذا الذى يسميه الناس بالعجمية الدنتينة هل رُوى عن العرب فيه شئ ؟ فسئل غير واحد من المنتسبين إلى العلم بقرطبة فلم يوجد عندهم فى ذلك علم ، حتى انتهت المسألة إلى ابن مختار فقال أخبرنى بعض أشياخى ، وذكر اسمه ، عن أبى موسى الهوارى أن العرب تسميها السِّنِّيَّة . قال الزبيدى : وهذا إسم ما سمعت به قط ، وإنما موَّه بهذا . قال المؤلف : « وهذا القول لا يلزم لأن الإحصاء ممتنع ، وقد يبلغ واحداً ما لا يبلغ غيره . » انتهى .

ويتضح من نص ابن هشام أن مخطوطة الزبيدى لم تسقط اللفظ الأعجمى وحده وإنما أسقطت تعليق الزبيدى ، وكلا اللفظ والتعليق طريف ، وواضح أن ابن مختار ترجم معنى اللفظ الأعجمى لأنه مأخوذه من اللاتينية (Dens, dentis) الذى انتقل إلى اللغات الحديثة والذى هو فى الإسبانية (Diente) ومعناها (السن) .

وكنا نود فوق ذلك أن يبرأ النص من بعض تصحيفات لا يقع فيها من يقرأ النصوص الأندلسية مثل كتابة العلم الجغرافى (موزور) بالزاى بدلا من الراء ، وهو تصحيف تكرر فى مواضع كثيرة جداً من النص المطبوع . ومن بعض أخطاء فى التعليقات مثل الخلط بين عبد الملك بن جهور الذى عاش فى أيام الناصر وبين جده الذى عاش فى أيام عبد الرحمن بن الحكم (تعليقة رقم ٢ ص ٢٩١) . كما كنا نود أن يراجع المحقق تراجم الزبيدى على نظائرها فى كتب المؤلفين الأندلسيين ، وخاصة إذا التبس رسم الأعلام أو ضبطها مثل (أبى حرشن) ومثل (الأفشنيق) وغيرها . ولم نكن فى حاجة ألى أن يعرِّف

المحقق لنا أشخاص عبد الرحمن الداخل والخليفة هشام بن عبد الملك وسائر الأمراء والخلفاء بقدر ما كنا فى حاجة إلى التعريف بأصحاب التراجم أنفسهم ومواضع ترجماتهم وضبط أسمائهم .

ومهما يكن من شئ فجهود الأستاذ المحقق مما يشكر عليه ، وإن لأبى الفضل لفضلا فى إخراج هذا النص القيم ، وتمكين جمهور العلماء من الوقوف عليه والاستفادة منه ، واستدراك ما حالت الظروف بين الأستاذ وبين استكماله . وله بعد الميزة الكبرى فى سلامة النص وصحته من الناحية اللغوية واستقامة ما فيه من شعر ونثر وزناً ولفظاً وهو ما لا يستطيعه إلا متمكن فى لغة العرب عارف بأساليب القدماء كثير الاطلاع على النصوص القديمة وللأستاذ المحقق النصيب الأوفى من كل ذلك . (ع. م. الأهوانى)

مقدمتان فى علم القرآن

مؤلف الأولى مجهول ، ومؤلف الثانية ابن عطية الغرناطى

حققها أرثر جفرى A. Jeffery نشره الخانجى . القاهرة ١٩٥٤ فى ٣٢٣ صفحة

هاتان المقدمتان تتعرضان لعلوم القرآن وعليهما اعتمد المستشرق الألمانى نولدكه فى دراسته عن تاريخ القرآن . والأولى منهما — وهى أطولهما وأحفلهما — مقدمة لتفسير مخطوط فى مكتبة برلين ، سقطت الورقة الأولى منه فلم يهتد المحقق ولا من سبقه للكشف عن إسم المؤلف الذى سمى تفسيره أو مقدمة التفسير «كتاب المبانى لنظم المعانى» ويرجح الأستاذ المحقق أن المؤلف مغربى ولا يقدم دليلا إلا قوله فى المقدمة القصيرة التى كتبها (ويظهر لنا من لغته وأسانيده أنه من علماء المغرب) . وكنا نود أن يوضح هذا ، فإننا لم يظهر لنا ونحن نقرأ النص هذا الذى ذكره . وإن الإنسان ليعجب كيف لا يهتدى إلى المؤلف وهو صاحب تفسير ضخم نص على أنه ألفه فى سنة ٤٢٥ هـ. ونص على إسم كتابين أو ثلاثة ألفها وذكر عناوينها خلال مقدمته ، وذكر فوق ذلك بعض شيوخه الذين روى عنهم !

أما مقدمة ابن عطية (عبد الحق بن أبى بكر بن عبد الملك الغرناطى المتوفى حوالى سنة ٥٤٣ فهى لتفسيره المشهور بين أهل الأندلس والمشرق المسمى (الجامع المحرر الصحيح الوجيز، فى تفسير القرآن العزيز) . وقد اعتمد المحقق على أصول ثلاثة ذكر أماكنها وأرقامها ولكنه لم يصفها إلا وصفاً مجملا فى المقدمة الإنجليزية التى جعلها فى آخر الكتاب .

وقد عوّدنا الأساتذة المستشرقون — وعنهم أخذنا فى العصر الحاضر — إثبات الخلافات بين النسخ الأصول فى هامش النص المطبوع . وكانوا يسرفون أحياناً فى هذا فيثبتون ما لا شك فى تصحيفه ، ولكن الأستاذ جفرى أضرب عن هذا الأسلوب ، فلم يثبت فى نص ابن عطية خلافاً واحداً بين النسخ . ووددنا لو سلك الطريق الوسط ، مع تقديرنا لصحة النص المنشور وسلامته وتوفيق المحقق فى إخراجه . ذلك أننا نجد فى الصفحات الأولى من مقدمة ابن عطية — حيث حرص المؤلف على السجع والاحتفال بالأسلوب — عبارات قلقة تستلزم أن يقف المحقق عندها .

قال المؤلف ص ٢٥٣ « وبعد : أرشدنى الله وإياك ، فأنى لما رأيت العلوم فنوناً ، وحديث المعارف شجوناً وسلكت ، فإذا هى أودية وفى كل السلف مقامات حسان ، وأندية ، رأيت أن الوجه . . . الخ » — (الفواصل المثبتة عن المطبوع) — والعبارة كما يرى القارئ قلقة والفواصل فى غير أماكنها . واستقامة النص أن يكون (. . شجوناً سُلكت [بغير واو وبالبناء للمجهول] فإذا هى أودية ، وفى كلٍ [بالتنوين] للسلف [باللام] مقامات حسان وأندية ، . . الخ)

وفى الصفحات التالية بعض تصحيفات وتحريفات سهلة التصحيح لو عنى المحقق بها مثل ص ٢٥٥ (وعلى غايتى من الإيجاز وجدت فضول القول) فصوابها (وحذف فضول القول) ومثل (فهى تتقصى من الصدور تقصى الإبل من العقل) وهذا الفعل بالفاء لا القاف وقد اقتبسه المؤلف من الحديث النبوى (أنظره فى النهاية لابن الأثير) والمحقق لم يعن بمراجعة الأحاديث النبوية ولو خالف اللفظ أمامه قواعد النحو ، أورد فى ص ٢٥٦ الحديث النبوى فى فضل القرآن « . . . فإن الله عز وجل يأجركم بالحرف منه عشرة حسنات . . . »

والنحاة يقرؤون أنهـــا في مثل هذا «عشر حسنات» لا «عشرة» . فهل أجمعت النسخ الخطية على إثبات التاء المربوطة فيها ؟

أما أخطاء الضبط فغير قليـلة فى النص ، لم تسلم منها حتى بعض الآيات القرآنية (ص ٢٦١) حيث رسم (مُدَّكِر) بفتحة فوق الكاف بدلا من الكسرة . وهذه المسائل وأمثالها كان يمكن تداركها لو منح النشر بعض العناية كما قلنا . والنصوص المنشورة حين تظهر فيها هذه النقائص اليسيرة تضعف ثقة القارئ العربى بجهود المستشرقين وتجعله يسئ الظن بأعمالهم العلمية ويتهمهم بالضعف والعجز رغم ما نعرفه عن جدِّهم وصبرهم وحسن الاستعداد لدى كثير منهم . فليتهم يتداركون هذا ويجدون الوسائل التى تجعل النصوص التى ينشرونها بريئة من هذه الهنات ! وحكمنا على نشرة الأستاذ جفرى لهذا النص — رغم ما ذكرنا — هو الرضى والاستحسان .

(ع . م . الأهوانى)

ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب

بتحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال — القاهرة سنة ١٩٥٥

طبعت هذه الرسائل فى مطبعة المعهد الفرنسى ، وصدرت ضمن سلسلة النصوص والترجمات الشرقية وهى المجلد الثـــانى من تلك السلسلة
Textes et Traductions d'Auteurs Orientaux. Tome II

أما الرسالة الأولى من الرسائل الثلاث فهى رسالة محمد بن أحمد بن عبدون التجيبى ، وتشغل ٦١ صفحة من المجـلد . وقد سبق أن نشرت هذه الرسالة بتحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال فى المجلة الأسيوية (J A) فى عام ١٩٣٤ . ثم ترجمها الأستاذ إلى اللغة الفرنسية وشفعها بقاموس للمصطلحات فى سنة ١٩٤٧ . وها هو يعيد نشرها مرة ثانية ، لتكون فى متناول الجمهور المثقف فى العالم العربى ، كما ذكر فى المقدمة الفرنسية الموجزة التى قدم بها لهذا المجلد . ومعروف أن الأستاذ جارثيا جومث قد ترجمها إلى اللغـــة الإسبانية سنة ١٩٤٨ بالتعاون مع الأستاذ ليفى بروفنسال .

أما الرسالة الثانية فهى لأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف الذى يرجح المحقق أنه أندلسى عاش فى (عصر متقدم نسبياً) . وتشغل هذه الرسالة من ص ٦٩ إلى ص ١١٥ .

وأما الثالثة فهى لعمر بن عثمان بن العباس الجرسيفى وهو مغربى عاش فى الأندلس فى عصر متأخر . وهذه الرسالة فى عشر صفحات وبها ينتهى المجلد .

وقد وعد الأستاذ المحقق أن يشفع هذا المجلد بآخر يشتمل على نصوص أخرى لا تزال مخطوطة ، تتصل بالحياة الاجتماعية والاقتصادية فى اسبانيا الإسلامية ، ثم يشفعه بثالث يضم قاموساً لغوياً مفصلا لهذه النصوص ولكتاب السَّقَطى فى الحسبة ، وهو الكتاب الذى سبق أن نشره الأستاذ ليفى بروفنسال بمشاركة زميله الأستاذ جورج كولان (G. Colin) وطبع فى سنة ١٩٣١ . وإننا لنتمنى أن يخرج سريعاً المجلدان الموعودان ، لما لهذه النصوص من خطر فى الكشف عن البيئة الأندلسية من جوانبها المختلفة ، وخاصة الجانب الاجتماعى منها ، ثم لما لها من قيمة فى المجال اللغوى فى الأندلس العربية .

ولا يسعنا إلا أن نحيي الأستاذ الفرنسى الكبير بمناسبة ظهور هذه النصوص التى تضم إلى مجهوده الطويل الخصب الموفق فى دراسة النصوص الأندلسية ، وفى كتابة تاريخ الأندلس ، على أساس علمى سليم ، بعيد عن الهوى ، برئ من التعصب .

ولغة هذه الكتب (كتب الحسبة) تختلف فى أسلوبها وتراكيب الجملة فيها وفى مفرداتها عن سائر الكتب ، إذ نلمح فيها تأثير اللغة العامية ، لذلك يصعب فى كثير من الأحيان على الدارس أن يقطع برأى حاسم فيما يبدو لأول وهلة أنه تصحيف أو تحريف أو سقط فى الأصل المخطوط . فمثلا نجد فى أول رسالة ابن عبدون « فالعدل أبدا مألوف ، والخير محبوب ، والقوام مرغوب ، والخلاف مرفوض ، والشر مبغوض » فلفظ (القوام) لا يرد فى كتب القدماء فى مثل هذا المعنى ، ولذلك قد يتبادر إلى ذهن القارئ أن يكون اللفظ محرفاً عن (الوئام) مثلا . ولكننا نجد فى أزجال ابن قزمان لفظ (القوام) مستعملا بمعنى (الاستقامة) فى عدة مواضع نذكر منها قوله « أنا هو منجل ، قوامى فى

العوج » وقوله « لس هو عندك قوام ولا هو فلاح » . وابن عبدون ينهى القاضى عن كثرة دخول أعوانه عليه وخروجهم بغير استدعاء منه قائلا ص ١٠ « فإن بالدخول والخروج يتحرفون على الناس وربما ارتشوا » وأسلوب القدماء هنا أن يقولوا « فأنه أو فأنهم » هذا زيادة على استعمال هذا الفعل (تحرف على) فى معنى لا يتفق تماماً مع الاستعمال اللغوى المنصوص عليه . لهذا كله يتحرج الباحث من القول بتحريف فى مواضع من النص الذى نشره الأستاذ بروفنسال ، وكل ما يستطيعه أن يقترح ليعود المحقق إلى التأكد من رسم الكلمات فى المخطوطات . فمثلا نجد فى حديث ابن عبدون عن الخراص ص ٥ « لا خوف ولا حياء ولا دين ولا صلاة لهم » فهل لفظ (صلاة) هنا محرف عن (خلاق) . وفى رسالة ابن عبد الرؤوف نجد ص ٩٧ فى الحديث عن سوق السمك « يجب على المحتسب أن يتخذ لبياعى الحوت مكاناً يكون فيه سوقهم بمعزل عن الطريق ، لما تعوّده من الرائحة ، ولما هم عليه من الهبّة والحال » فهل لفظ (تعـوّده) تحريف عن (يُصدِره) ولفظ (هـبّة) عن (هيئة) ؟ نكاد نعتقد أن الثانية مصحفة . أما ما جاء فى ص ٩٩ من بيع « العينة » فنحن نعتقد أنها (الغيبة) . وقوله ص ١٠٦ « ولا تقصى أخياط الموازين ولكن تطـال علائقها » أحسبه (تقصر) . وفى الرسالة الثالثة ص ١٢٠ «وتخليعها من جميع الشوائب» وأعتقد أنها (تخليصها) وأحسب أنه خطأ مطبعى .

ولهذا كله حرص الأستاذ المحقق على إثبات خلافات النسخ فى نشرته الأنيقة المتقنة ولهذا أيضاً وعد بالجزء الثالث المشتمل على قاموس لغوى اصطلاحى . وإنا لنرجو أن يشتمل القاموس فوق الألفاظ الجمل والأساليب .

وكنت أود أن أعرض على الأستاذ المحقق كل المواضيع التى أثار النص فيها شكى ، ولكننى وجدت أمر ذلك يطول ، ولعل أن يتاح لى فى فرصة أخرى .

(ع . م . الأهوانى)

سيرة الأستاذ جوذر

تصنيف أبي على منصور العزيزى الجوذرى

تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادى شعيرة

نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٥٤

قام بتحقيق هذا النص الخطير والتعليق عليه عالمان من خيرة العلماء المصريين وهما الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادى شعيرة . والكتاب فى نحو مائتى صفحة من القطع المتوسط . وهو المجلد الحادى عشر من (سلسلة مخطوطات الفاطميين) التى يقوم بإخراجها الدكتور محمد كامل حسين والتى تتصل بالمذهب الإسماعيلى والدعوة الفاطمية ، وهو الموضوع الذى توفر عليه الأستاذ محمد كامل حسين منذ سنوات طوال وأنتج فيه إنتاجا ضخما ووفق فيه إلى اكتشافات علمية رائعة فتحت للدراسين آفاقاً جديدة وألقت أضواء ساطعة على نواحى من تاريخ مصر كانت مجهولة أو كانت مهملة أو كانت محلا للريبة وسوء الظن على خطرها وبعد أثرها فى الحياة المصرية قديماً وحديثاً .

والقارئ لهذا النص يغتبط لما وفق إليه المحققان من الدقة فى إخراجه وتقويم نصه ويغتبط فوق ذلك لجهود المحققين فى التعليقات القيمة الغنية التى شفعا بها النص والتى اشتملت على ٤٠ صفحة والمقدمة الرصينة التى تقع فى ٣٢ صفحة زيادة على الفهارس والحواشى .

وقد عاش مصنف الكتاب فى القرن الرابع الهجرى . وصنف هذا الكتاب ذاكراً فيه حياة أستاذه ومولاه جوذر . وجوذر هذا ممن صحب الدولة العبيدية منذ نشأتها فى افريقية وتقلب فى مناصبها وكانت مكانته خطيرة فى البلاط الفاطمى ومنزلته عظيمة عند المهدى ، وولى عهده القائم ثم عند إبنه المنصور الذى خلع عليه لقب مولى « أمير المؤمنين » ثم عند المعز . ومات جوذر فى برقة والجيش العبيدى فى طريقه إلى مصر . ودفن فى مسجد بموضع هنالك يعرف بمياسر . وقد صار جوذر صاحب بيت مال الدولة العبيدية فى افريقية وكان إسمه يكتب على الطرز والبسط وكان يستخلف على سائر البلاد ويتولى أمور الأسرة المالكة

ويستفتى فى المشكلات ويؤتمن على الأسرار الكبرى التى تتصل بالخلفاء وبولاية العهد .
والنص — كما قلنا — خطير يكشف عن شخصية ضخمة كانت مجهولة — هى شخصية جوذر — وعن شخصية المصنف أيضاً وهو شبه مجهول . وهو فوق ذلك يكشف عن شئون الدولة العبيدية فى أدوارها الأولى حين كانت فى المغرب وهى فترة غامضة نذرة الأخبار . إلى ما فيه من وثائق رسمية خطيرة وتوقيعات وخطب للأئمة الفاطميين وتوضيح لحياة المجتمع المغربى فى النصف الأول من القرن الرابع وعن صلة الدولة العبيدية بصقلية : وهى سيرة حية كتبها المصنف عن حياة رجل صحبه وعن عصر عاش فيه .

(ع . م . الأهوانى)

مجلة معهد المخطوطات العربية

عرف الناس فى الشرق والغرب المهمة الجليلة التى يضطلع بها معهد إحياء المخطوطات العربية الذى أنشئ منذ سنوات تابعاً لجامعة الدول العربية والذى أسندت إدارته وقت نشأته إلى الأستاذ العالم السورى الدكتور يوسف العش . ولقد بذل الدكتور العش مجهوداً عظيما ليحقق المعهد المهمة التى أسندت إليه من جمع صور للمخطوطات العربية الموزعة فى أنحاء العالم على (ميكروفيلم) لتكون تحت تصرف الباحثين من العلماء . ولقد وفق المعهد فى هذا السبيل توفيقاً كبيراً فأرسل البعوث إلى مختلف البلاد وصور من المكتبات العامة والخاصة حتى اجتمع له قدر ضخم من صور تلك المخطوطات . ثم جاءت مرحلة جديدة فى تاريخ المعهد حين أسندت إدارته إلى العالم السورى المعروف الدكتور صلاح الدين المنجد . وقد وفق الدكتور المنجد إلى تحقيق أمنية عزيزة على الدارسين والمتصلين بالمعهد وهى إصدار مجلة نصف سنوية تحمل إسم المعهد وتعالج الأمور المتصلة بالمخطوط العربى وبالنصوص القديمة وبفهارس المكتبات ومحتوياتها وتمت الخطوات العملية ولا يظهر هذا العدد من مجلة المعهد المصرى بمدريد إلا ويكون قد صدر العدد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية . وهو يشتمل على مقالات كثيرة وتقريرات عن مكتبات خاصة وعامة ، وقوائم لمخطوطات مجهولة

وعرض وتحليل لنصوص قديمة نشرت هذا العام فى الشرق والغرب . وإنها لبشرى جديرة أن تحمل إلى الناس ، ونستطيع حتى يتم ظهور العدد أن نذكر بعض ما اشتمل عليه من مواضيع .

سيجد فيه القارئ تقريراً عن مكتبات حلب كتبه الدكتور أسعد طلس ، وتقريراً عن المكتبة الظاهرية بدمشق كتبه الدكتور كحاله .

ومقالة عن تاريخ المكتبات فى تونس بقلم الأستاذ العالم حسن حسنى عبد الوهاب باشا وأخرى بعنوان (رسالة فى الخط المنسوب) بقلم الدكتور خليل عساكر وأخرى بعنوان (كتب برامج العلماء فى الأندلس) بقلم الدكتور عبد العزيز محمد الأهوانى .

وبهذه المناسبة نذكر أن الدكتور صلاح الدين المنجد كان قد قام فى العام الماضى برحلة إلى اسبانيا موفداً من قبل الحكومة السورية لدراسة المخطوطات العربية التى لم تفهرس فى اسبانيا . وعاد وهو يحمل فى حقيبته عدداً كبيراً من الأوراق التى تتحدث عن تلك المخطوطات . وقد آثر أن يخص المعهد المصرى فى مدريد بهذا الجهد القيم النافع فينشر فيه ابتداء من العدد القادم بعض ما درسه من تلك المخطوطات فى مدينة مدريد . والمعهد المصرى يرحب بهذا ويشكر الأستاذ العالم على هذا الفضل الكبير[1] .

(ع . م . الأهوانى)

---

(١) إن إدارة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد تضم صوتها إلى صوت الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهوانى مرحبة بهذا التعاون شاكرة للاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد فضله وتخصيصه المعهد بنشر دراساته وأبحاثه عن هذه المخطوطات　(إدارة المعهد)

أنبـاء

سجل صور الآثار :

كان مقرراً أن يشتمل المعهد منذ إنشائه على سجل صور الآثار الإسلامية غير أن الظروف لم تساعد — للأسف الشديد — على تحقيق هذه الرغبة فيما مضى ، أما وقد تمكنا الآن من تحقيق هذه الأمنية فيسر إدارة المعهد أن تعلن للمهتمين من علماء الآثار والمتخصصين فيها أنها فى صدد استكمال هذا السجل ولقد بلغ مجموع الصور التى لدى المعهد إلى الآن ٢٧٢٩ صورة .

متحف الفن الإسلامى :

وقد تقرر إقامة متحف للفن الإسلامى بدار المعهد ليضم تحفاً من الفن الإسلامى عامة والمصرى خاصة . ولقد اختيرت فعلا القطع الأثرية اللازمة لهذا المتحف من بين مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة وإدارة حفظ الآثار العربية بها وهى وإن كانت هذه المجموعة قليلة فى عددها إلا أننا نأمل أن تسد فراغاً ملحوظاً إذ أن متاحف الآثار الإسبانية تكاد تكون خالية تماماً مما يمثل الفن الإسلامى فى شرق العالم الإسلامى ، كما نرجو أن تكون إقامة هذا المتحف عوناً لعلماء الآثار فى اسبانيا فيما يقومون به من أبحاث ودراسات . ونحن نأمل أن تصل هذه القطع قريباً من القاهرة .

المطبوعات :

أصدر المعهد بحثاً للأستاذ خاثينتو بوش بيلا الأستاذ بجامعة سرقسطة وعنوانه :

El Oriente Arabe en el Desarrollo de la Cultura de la Marca Superior

ولقد حصل المعهد على الاذن بترجمة الكتب الآتية :

Torres Balbás: *La Alhambra y el Generalife*
Torres Balbás: *La Mezquita de Córdoba y Madinat Al-Zahra*
Camps Cazorla, Emilio: *Módulo Proporciones y Composición en la Arquitectura Califal Cordobesa*

ويرجو المعهد أن تظهر قريباً لقراء اللغة العربية .

القاموس الإسبانى العربى — العربى الإسبانى :

وهذه بشرى سعيدة نزفها إلى المهتمين بالدراسات الأندلسية إذ تم الاتفاق بين إدارة المعهد والأستاذ جارثيا جومث الأستاذ بكلية الآداب بجـامعة مدريد ومدير المدرسة العربية والمعهد الإسبانى العربى للثقافة على تكوين لجنتين إحداهما إسبانية برياستـه وتتولى وضع القسم العربى الإسبانى والأخرى مصرية برياسة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهوانى بكلية الآداب بجامعة القاهرة وتتولى القسم العربى الإسبانى من القاموس . ويسرنا أن نقول أن العمل قد بدأ فعـلا فى وضع هذا القاموس .

المحاضرات العامة التى ألقيت بدار المعهد :

١ — السيد الأستاذ عبد القادر مختار
« مصر كما يجب أن يراها السائح » ٢٤ / ١١ / ١٩٥٤
(مصحوبة بعرض بالفانوس السحرى)

٢ — الدكتور اشتياق حسين قريشى
رئيس وفد الباكستان فى اليونسكو ، ومدير التعليم بالباكستان سابقاً
« باكستان كجزء من العالم الاسلامى » بالانجليزية ٢٥ / ١١ / ١٩٥٤

٣ — الأب ج . كابار
« حوريس فتى مصر القديمة » بالفرنسية ١٧ / ٢ / ١٩٥٥
(مصحوبة بعرض بالفانوس السحرى)

٤ — الأب ج . كابار

«الفن المصرى فى عهد الأسرة الثانية عشرة» بالفرنسية ٢٢ / ٢ / ١٩٥٥

(مصحوبة بعرض بالفانوس السحرى)

٥ — الدكتور أرنولد شتيجر

«التأثيرات والمصادر العربية فى مؤلفات الفونسو العاشر الحكيم» ٨/٣/١٩٥٥

٦ — الدكتور قدرى حافظ طوقان

« النزعة العلمية فى التراث العربى » بالعربية ١٩ / ٤ / ١٩٥٥

كما نظم المعهد اجتماعين آخرين بداره أحدهما فى ١٨/١٢/١٩٥٤ حيث قام السيد عزيز بلوش الملحق الثقافى بسفارة الباكستان بإلقاء عدة أغانى باكستانية وإسبانية صحبها إذاعة أغانى عربية والآخر فى ١٠/٥/٥٥ نظم للذين يدرسون اللغة العربية بالمعهد وحضر هذا الاجتماع بعض أعضاء السفارة المصرية وبعض الطلبة المصريين . وقد عرضت عليهم فى هذا الاجتماع صوراً بالفانوس السحرى للآثار الفرعونية .

رسائل الدكتوراه :

إنتهى الطلبة المصريون فى إسبانيا من دراساتهم وتقدموا بأبحاثهم التى أعدوها للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة مدريد وقد حصل الجميع على هذه الدرجة وها هى أسماؤهم وموضوعاتهم وتواريخ المناقشة :

١ — السيد الدكتور جودة عبد الرحمن هلال

« أبو الوليد سليمان الباجى » ٤ نوفمبر ١٩٥٤

٢ — السيد الدكتور أحمد مختار العبادى

« محمد الغنى بالله (الخامس) سلطان غرناطة وعصره » ٤ نوفمبر ١٩٥٤

٣ — السيد الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل

«الشاعر ابراهيم بن سهل الاسرائيلى حياته وشعره» ٤ نوفمبر ١٩٥٤

٤ — السيد الدكتور محمود على مكى

«التيارات الثقافية المشرقية وأثرها فى تكون ثقافة الأندلس» ٣ فبراير ١٩٥٥

٥ — السيد الدكتور السيد مصطفى غازى

« ابن خفاجة الجزيرى عصره وحياته وشعره » ٣ مايو ١٩٥٥

٦ — الآنسة الدكتورة علية ابراهيم العنانى

« النسيج الأندلسى » ٢٦ مايو ١٩٥٥

معرض الفنان محمد صبرى :

أقام الفنان المصرى السيد محمد صبرى المدرس بكلية الفنون التطبيقية والموجود الآن بإسبانيا فى إجازة دراسية لاستكمال دراسته بإسبانيـا معرضه الثانى بإسبانيا وذلك فى إحـدى صالات نادى الفنون الجميلة بمدريد تحت رعاية السيد حسين عزيز سفير مصر فى اسبانيـــا وقد أفتتح المعرض فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٥٥ واستمر حتى ١٦ مايو سنة ١٩٥٥ وقد لاقى معرضه إقبالا عظيما وحظيت رسومه بإعجاب وتقدير كل من شاهدها .

حلقة الدراسات العربية :

قام بتنظيم هذه الحلقة هذا العام معهد الدراسات السياسية والمعهد الإسبانى العربى للثقافة بالاشتراك مع بعثـات التمثيل الدبلوماسى العربى ولقد ألفت لجنة تحضيرية لهذا الأسبوع برياسة الأستاذ جارثيا جومث مدير المعهد الإسبانى العربى للثقافة ومثل فيها الجانب الاسبانى الأستاتذة كورديرو توريس وخيل بن أمية من أساتذة معهد الدراسات السياسية والأستاذ فرنسيسكو أوترای من رجال السلك السياسى والسكرتير العـام للمعهد الاسبانى العربى للثقافة ومثل الجانب العربى الأستاذ رفيق جويجاتى القائم بأعمال المفوضية السورية والدكتور جمال محرز

الملحق الثقافى بالسفارة المصرية ومدير المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ولقد ألقيت فى هذه الحلقة المحاضرات الآتية :

١ — الدكتور قدرى حافظ طوقان
عضو مجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى للتعليم بالأردن
« مشكلة اللاجئين » فى ٢٠ / ٤ / ١٩٥٥

٢ — السيد رودولفو خيل بن أمية
الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية
« إسبانيا والعالم العربى » فى ٢٥ / ٤ / ١٩٥٥

٣ — الدكتور أحمد السمان
عميد كلية الحقوق بجامعة دمشق
« تصنيع سوريا والدول العربية الأخرى » فى ٩ / ٥ / ١٩٥٥

٤ — السيد خوسيه ماريا كورديرو توريس
الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية
«البحر الأبيض حلقة التعاون الإسبانى العربى» فى ١٦ / ٥ / ١٩٥٥

٥ — الأستاذ بول خلاط
عضو مجلس الإنماء الاقتصادى بلبنان
« مشاكل التقدم الاقتصادى فى الدول العربية » فى ٢٧ / ٥ / ١٩٥٥

٦ — الدكتور جمال محرز
الملحق الثقافى بسفارة مصر بمدريد ، ومدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد
«الاصلاحات الاقتصادية فى مصر وآثارها الاجتماعية» فى ٣٠/٥/١٩٥٥

المعهد الإسبانى — العربى للثقـــافة :

يسر المعهد المصرى أن يعلن لقرائه افتتاح المعهد الاسبانى العربى للثقافة التابع لوزارة الخارجية الاسبانية ، ويشغل المعهد جزءاً من مبنى المدرسة الدبلوماسية

الكائنــة بالمدينة الجامعية بمدريد . وقد عين مديراً له الأستاذ جارثيا جومث ووكيلا الأستاذ ميجيل كروث فرناندز وسكرتيراً عاماً الأستاذ فرنسيسكو أوتراى . ويتجلى فى اعداد هذا المعهد الذوق الفنى الجميل الأمر الذى نشاهده فى مختلف المنشئات الإسبانية ، ويحتوى المعهد علاوة على مكاتب الادارة — على مكتبة وقاعة للدرس وزود بآلة للتسجيل وفانوس سحرى وآلة للعرض السينمائى .

ونحن إذ نقدم تهانينـــا إلى القائمين على أمره بمناسبة افتتاحه نرجو لهم النجاح والتوفيق فى مهمتهم .

وأن المعهد المصرى ليغتبط كل الاغتباط بهذا المعهد الشقيق وكلنا أمل فى أن تثمر الجهود المشتركة بين المعهدين فتتحقق الآمال المعقودة عليهما من بعث الدراسات الأندلسية وتوثيق عرى التعاون الثقافى بين البلدين الصديقين .

ملخصـــات

للأبحاث المحررة بالاسبانية أو الفرنسية من هذا المجلد

كامون أثنـار : الأساليب الفنية المستمرة فى الفن الإسلامى

تمتـاز اسبانيا بموقع جغرافى خاص جعل منها طريق الاتصال بين أوربا وافريقية وأرضها مكان العبور من القارة الواحدة إلى الأخرى ، وكان لذلك أثر كبير فى فنونها فأكسبها اصالة واستقلالا ولذلك كان من الواجب على من يريد أن يفهم الفن الاسبانى ألا يقيسه بالمقاييس التى يطبقها على الفنون الأوربية الأخرى بل بمقاييس خاصة به .

وأول ما يلفت النظر هو ذلك التناقض أو الازدواج بين أوربا وافريقيـة على سطح شبه الجزيرة الايبيرية إذ كانت هناك وجهتان احداهما تتجه نحو أوربا والأخرى نحو افريقية وهذا الازدواج أو هذا التنـافس كان له أثره العظيم فى خلق هذه الاصالة ولولا اسبـانيا وجمعها بين النقيضين لظل كل من الثقافتين الأوربية والافريقية غريباً عن الآخر .

وإذا ما رجعنـا إلى فن ما قبل التاريخ وجدنا ثقـافة أوربية الطابع من العصر الحجرى القديم فى الاقليم المسمى بالفرنسى الكنتبرى ممثلة فى رسوم الكهوف كما فى التاميرا وتمتـاز بأن التهذيب يؤدى إلى ابراز الصفات الخاصة ونرى فيها الانسان يقبع وراء الحقيقة وهيئة الأشياء . أما فى اقليم الليبانت فنجد ثقافة افريقية ممثلة فى رسوم الكهوف وتمتاز بأنها تأثرية تهذيبية تميل إلى التناسق وهى وصفية تعنى بالتأثيرات ولذلك لا تعنى بابراز صفات الفرد بل تهتم بابراز مجموعة الافراد وحركاتها .